درس الجمعة بالأزهر

للشيخ صالح الجعفري

الجزء الثاني

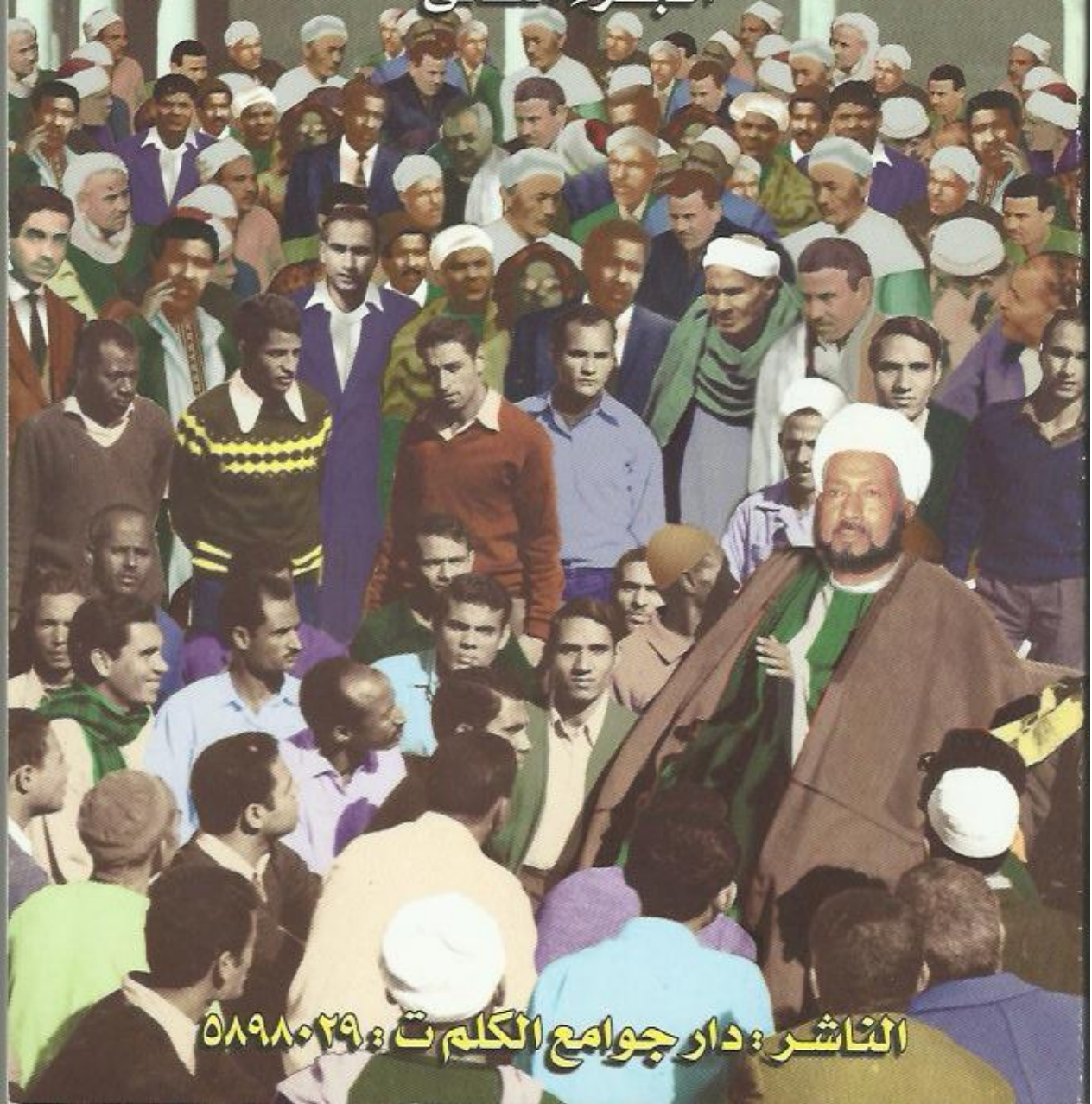

الناشر: دار جوامع الكلم ت: ٥٨٩٨٠٢٩

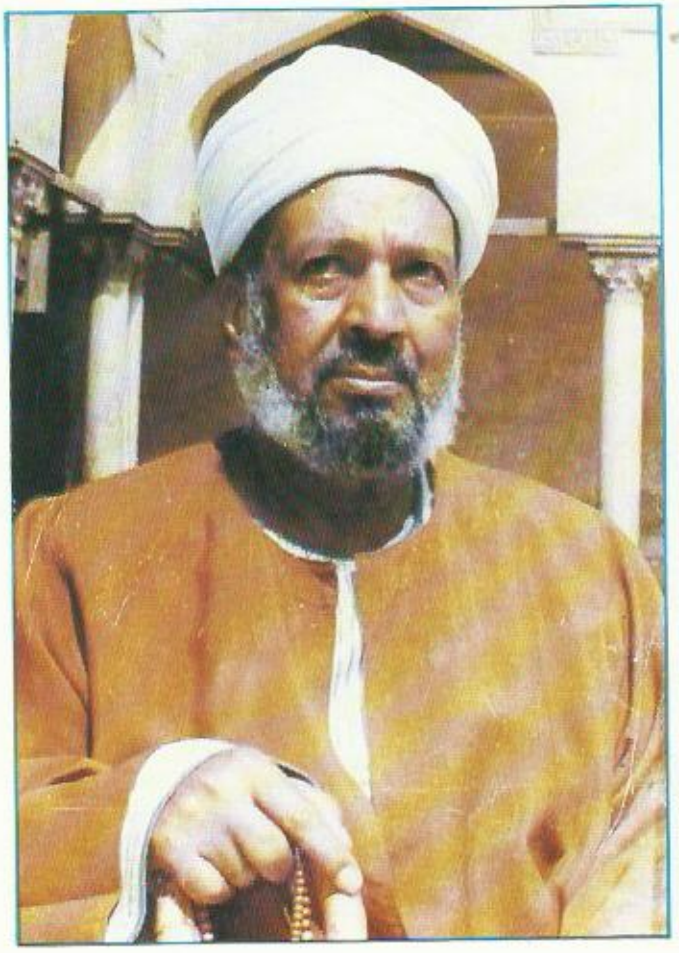

صورة العارف بالله تعالى الإمام الأزهرى
شيخ المادحين وقدوة الواصلين سيدى
الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح
الجعفرى شيخ عموم الطريقة الجعفرية
الأحمدية المحمدية بمصر والسودان

درس الجمعة بالأزهر

لإمام الجامع الأزهر

فضيلة الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه

الجزء الثاني

الناشر
دار جوامع الكلم
١٧ شارع الشيخ صالح الجعفري ـ الدراسة ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى كرم العلم والعلماء ، وجعلهم أهلاً لمعرفته وخشيته ، وأمر الناس بالاقتداء بهم ، والانتفاع بعلمهم ، فقال ـ عز وجل ـ : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ (١) ، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ (٢) .

وصلى الله ـ تبارك وتعالى ـ على سيدنا ونبينا ومولانا محمد ، إمام العلماء وقدوة الصلحاء ، الذى حمَّل العلماء أمانة العلم ، وأمرهم أن يبلغوه للناس ، ودعا لهم بالرحمة والمغفرة ، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

«رحم الله خلفائى ، قالوا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ ، قال : الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى » . رواه الطبرانى فى الأوسط .

ودعا للعلماء بالنور والبركات فى الدنيا والآخرة ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها » . رواه الإمام أحمد والترمذى .

أما بعد :

فهذا هو الجزء الثانى من كتاب درس الجمعة للإمام العارف بالله ـ تعالى ـ شيخنا سيدى صالح الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وجزاه عن العلم والعلماء خير الجزاء ـ.

---

(١) ٢٨ : فاطر .

(٢) ٤٣ : النحل .

ولقد يسَّر الله ـ تعالى ـ لنا الطريق إلى إخراج الجزء الأول من درس الجمعة ، فلقى بحمد الله ـ تعالى ـ استجابة وقبولاً من القراء ، ولا ريب فى أن العلم النافع والموعظة الحسنة تجد الرضا ، وتقع الموقع الحسن من قلوب المؤمنين ، لأن أنوار العلماء العارفين المخلصين تسبق كلامهم ، فتدخل إلى سويداء القلوب فتنيرها ، وتطرد الوساوس والأهواء والأغيار منها ، يقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى ـ رحمه الله ـ :

« تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ، فحيث صار التنوير وصل التعبير ، وكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز » .

وتلك كانت حال شيخنا الإمام الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ ، كما عرفه أبناؤه وأحبابه ومريدوه ، وكما تشهد بذلك طريقته وسيرته ، وآثاره ومؤلفاته ، فكان يجعل دروس العلم فى حلقته بالأزهر المعمور وسيلة إلى تربية النفوس ، وطريقاً إلى العلم النافع الذى تكون غايته الكبرى معرفة الله ـ تعالى ـ وعبادته .

وإن الذى سعد برؤية شيخنا ـ عليه رضوان الله تعالى ـ وفاز بسماع صوته ليدرك هذه المعانى تمام الإدراك ، فلقد كان العلم يخرج من قلب الشيخ ، وقد اكتسى بأنوار المعرفة ، فيعبر عنه بلسان أودع الله ـ تعالى ـ فيه حلاوة النبرات وألقى على مخارج حروفه الخشوع والهيبة والوقار ، وكان الجالسون فى حلقة درسه ينتظرون كلامه بلهفة واشتياق ، حتى إذا سمعوه استقرت معانيه فى قلوبهم فتحيا به كما تتلقى الأرض المجدبة ماء السماء ، فكنت ترى فيه ما أراد لقمان أن يعلمه لابنه حين قال له :

« يا بنى : جالس العلماء ،وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله ـ تعالى ـ يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة ، كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء» .

ولقد كان هدفنا الأول من إخراج هذه الدروس إلى القراء هو نقل صورة من درس الجمعة ـ كما كان شيخنا ـ رضى الله تعالى عنه ـ يلقيه بعد صلاة الجمعة بساحة الأزهر الشريف ـ مع المحافظة على روح الدرس وطريقته ، ليلتقى أبناء الشيخ وأحبابه ومريدوه بروحه تخاطب عقولهم وقلوبهم ، فإن القارئ لهذه الدروس ليجد فيها ـ بتوفيق الله تعالى ـ بغيته من علم إلى علم ، ومن حكمة إلى حكمة ، ومن إجابة على سؤال فى الفقه والحديث والتوحيد والتصوف وسائر العلوم ـ إلى إنشاد بعض القصائد فى مدح النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وآل بيته الطاهرين ـ إلى غير ذلك من لطائف الدرس ، وكأن المتابع لدرس الشيخ يرتاد روضة غناء مثمرة عامرة بأصناف الفواكه وألوان الزهور ، فيأكل من هذه ، ويقطف من تلك ، لا يمل ولا يسأم مهما طال به الوقت ، وامتد به الطريق .

ونحن ـ بعون الله تعالى وتوفيقه ـ نعد القراء أن نلتقى معهم مرة أخرى حول مجموعة أخرى من دروس الشيخ التى تمثل ـ بحق ـ خير ما تركه الإمام الجعفرى لما فيها من العلم الذى ينتفع الناس به ـ بإذن الله تعالى ـ إلى يوم الدين .

ورضى الله ـ تبارك وتعالى ـ عن شيخنا سيدى صالح الجعفرى وأرضاه ، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء ،وصلى الله ـ تبارك وتعالى ـ على سيدنا ونبينا ومولانا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الدرس الأول

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلعَالَمِين . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

بمناسبة موسم الحج ـ ذلك الفضل الكبير من الله العلى القدير على الأمة الإسلامية ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ عليم بخلقه وأحوالهم ،وأنهم يخطئون ويذنبون وأنهم فى حاجة إلى كفارات تكفر السيئات ، وتغفر الخطايا ، ففرض فرائضه على عباده لحكمتين :

الأولى : تطهير العباد من الذنوب .

والثانية : يدخلهم بها الجنة .

وهذا من حكمته ـ سبحانه وتعالى ـ ، علم بذنوب خلقه ، واحتياجهم بعد الموت إلى دور يسكنونها ، ورزق يأكلون منه ، فكتب الفرائض ، وجعلها كفارات للخطايا ، وسبباً فى سكنى الجنة ، وراحة للعباد بعد الموت .

ذلك هو التشريع الذى سمى صاحبه نفسه العليم الحكيم ، وهو لا يخطئ ، ولا يخلو تشريعه من الحكمة ، فى الدنيا والآخرة ، فالمشرع ـ سبحانه ـ هو رب الدنيا والآخرة ، وهو المشرع للعالمين ، فلا يجاوز الصواب تشريعه .

وأما الذين يشرعون من دونه فلا يعلمون شيئاً ، وفاقد الشئ لا يعطيه ، كيف يشرعون وهم لا يخلقون ؟ كيف يشرعون وهم فى بعد عن العباد ،

---

(١) ٩٦ ، ٩٧ : آل عمران .

لا يعلمون ما فى قلوبهم ، ولا أرزاقهم ولا موتهم ولا حياتهم ؟ ، فالمشرع من دون الله مغتصب ، ولا ينفع تشريعه أحداً ، لأنه عادى المشرع الحق فيما يقول ، ولأن لازم المقدمات بحسب المقدمات آت ، وإذا كانت المقدمات كالخيال ، فقد سبقتها لوازمها بكونها من الخيال أيضاً .

أما الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فتشريعه ملئ بالحكم الدنيوية والأخروية ، وقد شرع الله ـ تعالى ـ الحج ، وأودعه حكماً كثيرة ، ومنافع عديدة ، لا يحصيها مخلوق ، ولا يمكن لمخلوق أن يدرك أسرار الحج كلها .

ولما كان الحق ـ سبحانه وتعالى ـ منزهاً عن الجهة والمكان ، فقد بنى بيتاً ، ونسبه إليه ، فتشرف البيت بنسبته إلى الله ـ تعالى ـ وسماه «البيت العتيق » أى القديم الذى تشرف منذ أمد بعيد ، والمسلمون إذا وصلوا إليه طافوا حوله ، فما الحكمة فى ذلك ؟

يعلمهم الله ـ سبحانه ـ أنه ليس كمثله شئ ، فمن ذهب لبيت دخل على صاحبه من الباب ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [1] ـ هذا للمخلوقين .

أما الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يؤتى من باب ، والله سبحانه وتعالى ليس بظرف ولا مظروف ، فجعل عباده إذا جاءوا يطوفون حول البيت . وهذا لا يتأتى لأحد سوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا نطوف ببيت مخلوق أبداً ، بل لله ـ تعالى ـ وحده ، وذلك إشارة إلى أنه ليس لله ـ تعالى ـ زمان ولا مكان فإذا طفنا حول بيته ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [2] ـ أى هناك وجه الله أينما توجهتم : يميناً أو يساراً فالله معكم .

---

(١) ١٨٩ : البقرة .

(٢) ١١٥ : البقرة .

فبيت رب الأرباب ليس كبقية البيوت ، وإنما هو رمز وامتحان لعباده ، يذهبون للبيت امتثالاً للأمر ، وهو تعالى هنا .. هنا .. هناك .. هناك ، ويكون الذهاب اختباراً للإيمان ، ونطوف حول البيت فى حالة شهود ربانى ،والطائف بالبيت يعتريه حال لا يعتريه فى مكان آخر ،وفى عبادة أخرى ، فقلبه يشعر بالقرب الربانى ، فيتلقى أسراراً عليا ، ويشعر بخضوع وخشوع لله ـ تعالى ـ ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاته زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ [1] ، ومعنى « آياته » أدلة وعلامات تدلّ على وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ومن أجَلِّ الآيات : القرآن الكريم ، فهو آيات عظيمة تدل على وجود الله ، والبيت العتيق آية كبرى من آيات الله ، فإذا وصلت إلى البيت ، وطفت به ، علمت أنه ليست له جهة ، ولا تمسه الأيدى ، ولا تدركه الأبصار . سبحانه خلق الخلق وجعل لهم صفات ، وتنزه أن يتصف بصفة من صفات خلقه ـ ملائكة وإنساً وجناً ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . والإنسان يحترم الإنسان إذا استقبله ، فيستلم يمينه وقد يقبل هذه اليمين احتراماً ، والمؤمن يستلم الحجر الأسود ، ويقبِّله ، تعظيماً وإجلالاً لله ـ تعالى ـ كلما سمع حديث المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذلك الحديث الذى قرأته فى « النهاية » لابن الأثير .

« الحجر الأسود يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده » ورواه الخطيب البغدادى وابن عساكر عن جرير ، وإنما قبَّله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما علم أنه بمنزلة يمين الله فى الأرض ، هذا الكلام قاله ابن الأثير ، وما رأيت إنساناً تكلم بمثل هذا الكلام ، تعالى الله عن يمين ، وإنما المعنى فى التقبيل : الاحترام والتعظيم ، هذا حجر ؟ نعم ، أقبله احتراماً وتعظيماً لله ـ تعالى ـ ، وهذا البيت مبنى من حجارة ؟. نعم ! أطوف به احتراماً وتعظيماً لله ـ تعالى ـ .

---

(١) ٢: الأنفال .

أما عن سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فعندما استلم الحجر وقبله رأى حوله من المؤمنين من كان حديث عهد بالإسلام ، وكانوا من زمن قريب مشركين يعظمون الحجارة ، فأراد أن يفرق بين احترام المسلمين للحجر ، واحترام المشركين له ، فقال : والله إنى لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ثم أراد أن يتبرأ من حوله وقوله وأن يبين أنه ليس مشرعاً ، فقال : ولولا أننى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقبلك ما قبلتك .

فمقالة عمر الأولى إنما هى للتفريق بين المسلمين والمشركين ،وليسمع عبدة الحجارة أن المسلم بتعظيمه للحجر الأسود إنما يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر بشئ ، ولكن إنما يقبله احتراماً وامتثالاً لشريعة الله والرسول ، فالتقبيل سنة .

فيا معشر المسلمين : قبلوا الحجر الأسود من أجل العمل بالسنة ، والناس اليوم يحرفون كلام عمر ـ رضى الله عنه ـ ويزعمون أنه ينهى عن زيارة الأولياء !! كما زعموا أن شجرة بيعة الرضوان قطعت حتى لا يعظمها الناس .

وقد رأيت فى صحيح مسلم بشرح النووى أن الصحابة جاءوا فى العام التالى للبيعة فضلت عنهم الشجرة ـ أى لم يهتدوا لمكانها ـ وهذا معناه أنها لم تقطع .

وهذا الحديث بإسناد صحيح ، ولم تحدث فتنة بين الصحابة أبداً ، فقد تلقيت عن الشيخ عبد المجيد اللبان فى التفسير أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قد ثبت فضلهم بالآيات القرآنية المتواترة ، وهذا لا ينقضه إلا المتواتر مثله فلا نعتقد فى الصحابة إلا ما وصفهم الله ـ تعالى ـ به ، ولانتكلم فى سلوك الصحابة ولا فى أخلاقهم ، إلا إذا جاءنا حديث صحيح متواتر .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ﴾ [1] ، ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [2] لم تحضروهم ، وماتوا من قبلكم ، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من الخير ، ﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ .

فهذا أحسن حديث وأحسن جواب .

حديث : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **اللهَ اللهَ فى أصحابى ـ يذكرنا بهم ـ لا تتخذوهم غرضاً من بعدى** » [3]

يعنى : لا تغتابوهم ، ولا تتكلموا فيهم بما لا يليق .

وقال العلامة الشيبانى فى منظومته :

وأن قاتلهم ومقتولهم فى جنة الخلد قد خُلِّدا

فمن أنت حتى تتكلم عن الصحابة ؟ ، قل يا أخى : رضى الله عنهم .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إذا ذكر أصحابى فأمسكوا** » [4] .

وذلك فى غير المدح وذكر الخير فى حقهم ، إذا ذكر الصالحون فحيهل بعمر ، وبذكرهم تتنزل الرحمات : تتنزل عليك وعليهم ، وإذا اغتبت ميتاً ينزل العذاب للمغتاب ، ولا يصيب الميت شئ .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بيت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً ﴾ لم تكن هناك بيوت فى الأرض للعبادة ، فأولها بيت الله (الكعبة) ، وقد بنته الملائكة ، (الذى) هو موجود (ببكة) تسمى بكة ومكة ، فهى تبك الجبارين عنها أى تدفعهم كما بكَّت أصحاب الفيل ، وتسمى كذلك : أم القرى .

---

(١) ٣٨ : الأنعام .

(٢) ١٣٤ ، ١٤١ البقرة .

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند عن عبد الله بن فضلة المزنى .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر .

(مباركاً) فيه بركة ، وما هى البركة ؟ : عندما تزرع حديقة فيها فاكهة ، وتقول : يا عباد الله : ـ كل من يدخل يأكل كما يحب بلا حساب ، فإن الناس يدخلون خماصاً ، ويعودون بطاناً ، ومعنى (مباركاً) : فيه بركات كثيرة جداً ، فمن جاء مذنباً أخذ المغفرة ، ومن جاء فقيراً أخذ الغنى ، ومن جاء ضالاً أخذ الهدى ، ومن جاء غضوباً أخذ الحلم ، ومن جاء بعيداً عن الله أخذ القرب ، ومن جاء بخيلاً أخذ الكرم ، ومن جاء سيئاً أخذ الإحسان ، فهو مكان فيه بركات لكل من جاء من العباد والبركات فى البيت العتيق لا ترى بالنظر ، بل تدرك بالقلب والعقل فهى روحانيات رحمانية ، فإذا وصلت طارت إليك كالطير فيملأ قلبك بالنور والحكمة ، (مباركاً وهدى) ، فالهدى هو تلك الأسرار التى تهبط على قلبه ، فتهديه إلى الله ﴿ **يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ** ﴾ (١) .

(للعالمين) : تدل على ما سوى الله ، والمراد به ها هنا المؤمنون ، لأن الكفار لا مكان لهم فيها ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ** ﴾ (٢) (فيه آيات بينات) : سبحان الله ، قد بين المقصود بالعالمين ، حتى لا يسأل أحد فيقول : هذه الآيات : أهى للصالحين أم للمتقين ؟ بل هى للعالمين كلهم ولو كان ذلك الزائر من الفساق ، فهذه حكمة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وهذا البيت بنته الملائكة أولاً ، ووضعوا الحجارة فى أساسه ، ثم بنوا فوقها ، فلما جاء الطوفان ـ نقض نوح ـ عليه السلام ـ حجارة البيت حتى لا يجرفها الطوفان ، ثم أخذ الحجر الأسود ونادى جبل أبى قبيس أن خذ هذا الحجر ،واحفظه حتى يأتى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأعطه له .

ثم جاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، فأمر بحفر موضع البيت ، فأخذ

---

(١) ٣٥ : النور .

(٢) ٢٨ : التوبة .

يحفر هو وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ في الموضع الذى حدده جبريل ـ عليه السلام ـ ، حتى ظهر الأساس ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ﴾ [1] يرفعانها : يظهرانها من الأرض ، ولقد أخبرنا الله ـ تعالى ـ أن الذى بنى البيت هو إبراهيم ، فلما ظهرت القواعد أخذ يبنى فوقها ، فلما ارتفع البناء جاء بحجر ووقف عليه ، فكان الحجر يرتفع به ويهبط ـ كالمصعد ـ فقد أوجده الله ـ تعالى ـ لإبراهيم من قبل أن تخترعوه ، وكذلك المنطاد أوجده لسيدنا سليمان قبل أن تخترعوه ، والقنابل أوجدها لأصحاب الفيل ، واللاسلكى أو الراديو ـ أوجده لسيدنا عمر بن الخطاب فتكلم وسمع المخاطب كلامه على بعد مسيرة شهر كامل !

فكان الحجر يرتفع بسيدنا إسماعيل ، ثم يهبط به مرة أخرى ، فالبَنَّاء كان إبراهيم والمناول هو إسماعيل . والمهندس هو جبريل بأمر الملك الجليل .

ولما تم البناء وقف سيدنا إبراهيم على الحجر ، فغاصت قدماه فى الحجر الصلب وهذا الموضع موجود إلى اليوم ، وهو مقام إبراهيم ، وهو ليس بمقام الدفن فهو مدفون فى مدينة الخليل ، وإنما المقام مكان الوقوف ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يكلمنا ويعلمنا أن البانى إبراهيم ، والعلامة هى أثر قدميه فى الحجر ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ** ﴾ : فيه علامات دالات على صدق كلامى بأن البانى إبراهيم ، والعلامات هى مقام إبراهيم ـ مكان قدميه ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ .

ولقد سمعت كلاماً واضحاً من الشيخ الشنقيطى ـ رحمه الله ـ قال :

أنا وضعت الماء مكان قدمى سيدنا إبراهيم وغسلت وجهى وشربت

---

(١) ١٢٧ : البقرة .

منه ، ولما ذهبت لبيت المقدس وضعت الماء فى مكان قدم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقارنت بين الاثنين ، فوجدت مقاربة فى الطول والعرض بين القدمين .

وفى حديث الإسراء والمعراج ـ الذى رواه البخارى ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « ورأيت إبراهيم الخليل مستنداً إلى البيت المعمور وإذا أشبه الناس به صاحبكم » فالشيخ الشنقيطى ـ رحمه الله ـ صادق فى كلامه .

(آيات) : علامات دالات على صدق القول ، فالمكان الذى أثرت فيه قدما إبراهيم ـ عليه السلام ـ باق إلى يوم القيامة .

﴿ **وَمَن دَخَلَهُ** ﴾ : أى البيت الحرام ، ﴿ **كَانَ آمناً** ﴾ وكلام الله ـ تعالى ـ لا يبدل ﴿ لا مُبَدِّلَ لكَلماَته ﴾ [1] هذا حكم الله ، فمن دخله كان آمنا من مخاوف الدنيا والآخرة ، وهذا من أسرار الحج ، وهذا الأمن جعل بعض الأئمة يرى ألا يقام الحد على أحد وهو فى الحرم ، ورأى البعض الآخر أن يضيق عليه حتى يخرج من الحرم ، والبعض الآخر قال : يقام عليه الحد . فقد ورد فى صحيح مسلم عن عمرو بن سعيد أنه قال : «**إن الحرم لا يعيذ عاصيا ، ولا فارّا بدم ، ولا فارّا بِخَرْبَة** » ، والخَرْبة هى سرقة الإبل وتطلق على كل خيانة ، وقد تلقيت ذلك عن فم الشيخ السمالوطى الذى قرأه فى صحيح مسلم .

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقرئ ـ بفتح الخاء ـ فى قراءة ومعناها أن الأمم السابقة كانت تصلى فيه ، وشرع ما قبلنا شرع لنا ، ما لم يرد ناسخ .

ومعنى قراءة الكسر : أى صلوا فيه ، فما هى درجته ومنزلته لنصلى عنده ؟ لأن فيه أثر خليل الله ـ عليه السلام ـ مكان قدمى سيدنا إبراهيم

(١) ١١٥ : الأنعام .

الخليل والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد احترم هذا المكان وعظمه ، وأمر عباده أن يتخذوه مصلى ، وأمرهم بالدعاء عنده ، فهو يقبله إكراماً للخليل ـ عليه السلام ـ ولأثره ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ ،والله ـ سبحانه وتعالى ـ رفع قدر الأنبياء وآثارهم فى أى مكان جلسوا فيه ، أو ساروا عليه . والصلاح والتقوى من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وفى رحلة الإسراء قال جبريل للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : انزل صل ركعتين ها هنا ، فنزل وصلى ، ولما فرغ من صلاته قال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟قال : لا ، قال : صليت عند الشجرة التى استراح إليها موسى بعدما سقى لابنتى شعيب ، فاستراح عندها من التعب ، وقال : ﴿ **رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير** ﴾ (١) .

أى إننى فقير إليك فى هذه الساعة لما أعطيتنى من خير فيما مضى ، فأعطنى من فضلك الذى لا ينقطع .

وقال الشيخ الدردير ـ فى حاشيته على قصة الإسراء والمعراج لنجم الدين الغيطى :

من هذا الحديث يؤخذ جواز التبرك بآثار الأنبياء والصالحين ا هـ لأن المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نزل من على البراق من أجل قطعة الأرض التى جلس فيها موسى بن عمران ، احتراماً وإكراماً له ، وشكراً لله ـ تعالى ـ .

ويكرم الرجل إذا كان أبواه صالحيْن ، أوجدُّه ، قال الله تعالى فى شأن اليتيميْن صاحبى الكنز :﴿ **وكان أبوهما صالحاً** ﴾ (٢) ، قال ابن

---

(١) ٢٤ : القصص .

(٢) ٨٢ : الكهف .

عباس ـ رضى الله عنهما ـ كان الصالح ـ هو جدهما التاسع ، فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ قد احترمهم وأكرمهم من أجل الجد التاسع .

إبراهيم وإسحاق وسارة ـ عليهم السلام ـ مدفونون فى فلسطين ، هم وكثير من الأنبياء ، كيف دفنوا ؟ سبحانك ! قولوا :سبحان الله ! هناك جبل عال أعلى من المئذنة ـ وهذا الجبل متسع من أعلاه ، وفى وسطه باب منحوت ، يدخل منه ثلاثة نفر مجتمعين ، وإذا نظرت فى هذا الباب شممت رائحة طيبة ، ولا ترى شيئاً ، بل هو مكان عميق مظلم ـ هذه هى مقبرة سيدنا إبراهيم وسارة وإسحاق ، وقد بنوا مسجداً على هذه الفتحة وجعلوا لهم مقامات ـ على الظن ـ أو اليقين ، والقبور تحت المقامات ولا يمكن لمخلوق الوصول إليها ، وحدث أن ربطوا رجلاً إيطالياً وأنزلوه فى تلك الفتحة ، فخرج منها أصم أبكم أعمى !! .

ثم قيل بعد ذلك : إن سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ هو صاحب القبر الموجود أعلى الفتحة ، لأن سيدنا يوسف دفن بمصر ، ثم لما جاء الفيضان غطى الصندوق ، وفى زمن موسى ـ عليه السلام ـ أمر بنقله إلى فلسطين فبحث عن قبره ، فدلته عليه امرأة عجوز ، فدعا لها بالجنة ، فقد روى يونس بن عمران عن أبى موسى قال : نزل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأعرابى ، فأكرمه فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أكرمتنا فأحسنت ، سل حاجتك ، فقال : ناقة نرحلها ، أو عنز تحلبها أهلى ، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل ، فقالوا : يا رسول الله : وما عجوز بنى إسرائيل ؟ ، فقال :

« إن بنى إسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق ، وأظلم عليهم الليل ، فقالوا : ما هذا ؟ فقال علماؤهم : إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ

علينا موثقاً من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا ، قال موسى : فمن يعلم موضع قبره ؟ ، قالوا : عجوز لبنى إسرائيل ، فبعث إليها موسى فأتته فقال : دلينى على قبر يوسف فقالت له : وتعطينى حكمى ، قال : وما حكمك ؟ قالت :أن أكون معك فى الجنة ، فكره أن يعطيها حكمها ، فأوحى الله إليه : أعطها حكمها ، ففعل . (١) .

فنقل موسى عليه ـ السلام ـ يوسف ـ عليه السلام ـ فى صندوق خشبى إلى فلسطين ، حيث دفن مع سيدنا إبراهيم ـ عليهم جميعاً السلام ـ ولا يفعل موسى ـ عليه السلام ـ ذلك إلا بوحى من الله ـ تعالى ـ .

فاعلموا وتعلموا من احترام الله ـ تعالى ـ لعباده الأنبياء ـ أحياءً وأمواتا ـ واقرأوا قوله ـ تعالى ـ ﴿ **ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته** ﴾ (٢) فإن الجن كانوا يدعون علم الغيب ،وكانوا يبنون بيت المقدس ،وكانت قد بقيت سنة على إتمام بنائه، فلم تعرف الجن بوفاة سليمان ـ عليه السلام ـ لأنه كان مستنداً إلى عصاته سنة كاملة ـ إلى أن انتهى البناء .

فدلت الآية على حفظ أجساد الأنبياء ، ولو كان الواقف غير سليمان لتمزق جسده وتحلل .

والآية الأخرى : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون** ﴾ (٣) ولقد جاء الأنبياء ليلة المعراج إلى بيت المقدس بلحاهم وأجسادهم وملابسهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبى ، وثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً ، منهم خمسة وعشرون ذكروا فى القرآن

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبى .

(٢) ١٤ : سبأ .

(٣) ١٤٣ ، ١٤٤ : الصافات .

الكريم ، نعرفهم ، كلهم حضروا ، وصلى بهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إماماً .

يقول العارف بالله : السيد أحمد البدوى ـ أحد أقطاب التصوف ـ فى صلواته :

« من اندرجت النبيون تحت لوائه ، فهم منه وإليه » .

اللواء : الراية ـ أو البيرق ـ ، ويوم القيامة تكون بيد على بن أبى طالب والحسن عن يمينه ،والحسين عن شماله ، وكل نبى أو رسول ، كلما رفع رأسه وجدها فوقه ، ولهذا قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى » رواه الترمذى .

فقول السيد البدوى « فهم منه » أى إنهم فى الحقيقة خلقوا من نوره . وما اتخذ الله ـ تعالى ـ من ولى جاهل ، فالله ـ تعالى ـ إذا تجلى على العبد أعطاه الولاية وأعطاه العلم ، فهم أهل القرآن والحديث والدين .

يقول عمر بن الفارض : ـ

وفى ساعة أو دون ذلك من تلا بمجموعة جمعى تلا ألف ختمة

أى يتلو القرآن ألف مرة ، ومن هذا نعلم أن الأولياء يزيدون فى فهم القرآن والأحكام والحديث كثيراً عن غيرهم .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتجلى على الولى فى الظاهر والباطن ، فعلم الحقيقة كالشجرة ، والباطن كالظل ، ولا ظل بغير شجرة يستظل بها صاحبها .

(ومن دخله) أى الحرم ، وأما البيت فلم نؤمر بالدخول فيه ، ودخله النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصلى فيه .

قال عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : دخلت البيت وسألت بلالاً : أين صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فدلنى على المكان ، ولم أسأله كم صلى من الركعات بل سألته عن المكان فقط .

س : رجل قتل رجلاً ثم ذهب ليحج ودخل الحرم فهل تقبل توبته ؟

ج : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق** ﴾ إلى قوله ﴿ **إلا من تاب** ﴾ (١) ، فلو تاب فى بلده يغفر الله له ، فكيف إذا دخل الحرم ؟ .

وقد أجمع العلماء على أن القاتل له توبة بنص الآيات السابقة .

﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (٢) : إذا أسلم المشرك يغفر الله له ما أسلف ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾ (٣) . فكيف بالمسلم إذا تاب ؟!

﴿ **إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ (٤) ولو لم يحج المذنب ، فكيف إذا حج ؟

ورجل ظلم رجلاً ، ثم تاب ، ولم يأخذ المظلوم حقه فى الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة ذهب المظلوم إلى المحكمة ـ محكمة العدل الإلهية ـ يشكو الظالم ، فيُجاء به وقد حج وصام وصلى ، ولكن من حق المظلوم أن يأخذ حقه من الظالم فى ذلك اليوم فيأخذ بيد الظالم ،ويقف أمام الملك ـ سبحانه ـ ويقول : يارب : هذا الرجل لى عنده كذا وكذا ، والظالم يتوجه بقلبه إلى الله : يارب : أنا قد تبت إليك فى الدنيا ، ولن

---

(١) ٦٨ ـ ٧٠ : الفرقان .

(١) ٤٨ ، ١١٦ : النساء .

(٢) ٣٨ : الأنفال .

(٣) ٥٣ : الزمر .

يخلصنى من هذا الموقف إلا أنت سبحانك ، وقد حججت وصمت وتبت إليك ،وبينما الظالم والمظلوم فى هذا الموقف بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا هما يريان قصراً ما رأت العين مثله فى حسنه ، وينادى مناد : هذا القصر لمن له مظلمة عند أخيه المسلم ، ثم عفا عنه .

وعندما ينظر المظلوم إلى القصر يعجب به ، ويحببه الله ـ تعالى ـ فيه ، فيقول يارب : إذا عفوت عن أخى نلت هذا القصر ؟ فيسمع الإجابة : نعم ، فيقول أشهدك يارب أنى عفوت عنه .

يقول الشيخ الحفنى ـ شيخ الشيخ الدردير ـ : هذا من تمام العدل الإلهى :

ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يُرى المظلوم أنه لم يغفل عنه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ويجعل الظالم يقف أمامه هذا الموقف فى الاخرة ، ﴿ **ولا يظلم ربك أحداً** ﴾ (١) وأيضاً فإن الظالم الذى يتوب ، فإن الله ـ تعالى ـ لم يضيعه ، بل يكون معه حتى يدخل الجنة بتوبته وعفو المظلوم عنه .

ونحن لا نملك إلا أن ندعو ونقول : يارب : اغفر لنا وارحمنا وقنا شر الخطيئة :

لولاك لولاك ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وهذا هو نشيد حفر الخندق ، وكان رسول ـ الله صلى عليه وآله وسلم ـ يرد على الصحابة أيضاً بقوله : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فارحم الأنصار والمهاجرة .

ولقد كان المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مهاباً ، ومحبوباً ،

---

(١) ٤٩ : الكهف .

تهابه الأسد الضوارى وترتعد منه الملوك ، قال سيدنا على بن أبى طالب ـ فى وصفه صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه مدة يسيرة أحبه ، وقلبه يطمئن فلا يفارقه أبداً » .

يا نائر الوجه يا من نور جبهته يفوق للشمس والبدر الذى اتسقا

ويقول سيدى حسان بن ثابت :

له همم لامنتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لحسان وهو ينشد الشعر وهو على المنبر : « قل وروح القدس (جبريل) معك » .

وحسان ـ رضى الله ـ عنه هو الذى يقول :

وأجمل منك لم تر قط عينى وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال غيره .

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق

أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثنى على أخلاقك الخلاق

قالت أقمار الدياجى قل لأرباب الغرام

كل من يعشق محمد ينبغى ألا ينام

يا سلام على المحبين !

سيدى عبد الرحيم البرعى كان يمدح النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وكانت بينه وبين المدينة مسافة بعيدة ، فجاءته الروائح الطيبة من الروضة الشريفة ، فلما شمها ، التفت يميناً وشمالاً ، فلما لم يجد أحداً قال :

أنفحة طيب أم صبا طيبة هبا فأنعش قلبى للحبيب وقد لبى

وهيهات ما كل النسيم حجازيا ولاكل نور يملأ الشرق والغربا

تذكرنى الأشواق من لست ناسياً فتجرى دموعى فى محاجرها صبا

وسيدى عبد الرحيم البرعى من المحبين المخلصين .

ومدح رسول الله فال سعادتى أفوز به يوم السماء تمور

أى عنوان سعادتى ، وإن شاء الله أفوز به يوم السماء تمور .

وقت الحلق أو التقصير :

١ ـ فى الحج : بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر ، وإذا كان سيذبح هديه ، فإن التقصير أو الحلق بعد الذبح أفضل .

٢ ـ فى العمرة : بعد أن يفرغ من السعى بين الصفا والمروة .

ويجب أن يكون الحلق ـ أو التقصير ـ فى أيام النحر ـ وفى الحرم . ويكون الحلق بالموس ،والتقصير يكون بالمقص ، والمرأة لا يجوز لها الحلق وعليها التقصير .

مكان ذبح الهدى :

قال الله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ (١) .

عند المالكية : الذبح يكون بمنى أو بمكة ، ولكنهم شرطوا لصحته أن يجمع فيه بين الحل والحرم ، فإن اشتراه من الحل لابد أن يخرج به إلى الحرم والعكس .

ومذهب الإمام أبى حنيفة : يتعين أن يذبح فى الحرم مطلقاً ،ولو كان الهدى منذوراً ، ويسن أن يكون الذبح بمنى .

---

(١) ١٩٦ : البقرة .

وعند الإمام الشافعى : محل ذبح الهدى الحرم ، ولكن الأفضل للحاج أن يذبح بمنى ولو كان متمتعاً .

والأفضل أن يذبح بمنى يوم العيد ،ولكن إذا ذبح بمكة جاز على رأى الأئمة الثلاثة .

وعندما كنت أدخل مكة معتمراً ،وبعد التحلل من العمرة كنت أذهب إلى جماعة من فقراء المغاربة مقيمين بمكة ، فكنت أعطيهم الهدى (وكان كبشاً) وأعطيهم جنيهاً ، ثم انتظر حتى يذبحوا ويأكلوا ويشربوا الشاى ، وأقول : يارب هذا لك أنت .

ولقد ثبت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ **« نحر ثلاثاً وستين بدنة بيده الشريفة ، ثم أعطى سيدنا علياً ـ رضى الله عنه ـ فنحر ما غَبَر (أى ما بقى منها) وأشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة [1] ، فجعلت فى قدر فطبخت ، فأكلا منها ، وشربا من مرقها »** رواه مسلم .

قال الإمام النووى : ـ والظاهر أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نحر البدن التى جاءت معه من المدينة ، وكانت ثلاثاً وستين ـ كما فى رواية الترمذى ، وأعطى علياً البدن التى جاءت معه من اليمن فنحرها ، وهى تمام المائة التى ساقها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى تلك السنة .

فانظروا : كيف ذبح ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مائة بدنة ، ولم يتركها سدى ، كما يفعل الناس اليوم ،ولكن أكل من لحمها ، وشرب من مرقها ـ جميعاً ـ للترغيب فى الأكل من هدى التطوع وأضحيته .

ثم أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ علياً أن يقوم على

---

(١) أى قطعة منها .

بدنه ، وأن يتصدق بلحمها وجلودها وجلالها على المساكين ، وأن لا يعطى الجزار منها شيئاً ، وقال له : « نحن نعطيه من عندنا » رواه مسلم .

مسألة فى التحلل من الإحرام :

التحلل الأصغر : يكون بعد رمى جمرة العقبة والذبح وحلق شعر الرأس ، أو تقصيره ، وعند ذلك يباح للمحرم كل شئ حرم عليه بالإحرام ، إلا النساء ، وبعد أن يطوف طواف الإفاضة يتحلل من إحرامه التحلل الأكبر .

والمرأة فى ذلك كالرجل ، سواء كانت بكراً أم ثيباً ، أم متزوجة .

المبيت بمنى أيام التشريق :

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **واذكُرُوا اللَّهَ فِى أيَّام مَّعْدودَات** ﴾ (١) .

هى أيام التشريق الثلاثة التى يقضيها الحاج فى منى ليلاً ونهاراً ، فالمبيت بها واجب ، والمكوث بها نهاراً مستحب ، فمن ذهب إلى مكة ، فلا بد أن يرجع إلى منى ليبيت بها ، فإن بات بعيداً عنها فعليه دم ، لأنه ترك واجباً من واجبات الحج .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« تمنت الملائكة النزول من السماء إلى الأرض ليذكروا الله فى أيام معدودات » وإنما يظل الحاج فى منى ثلاثة أيام ليرمى الجمرات الثلاث : الصغرى ،والوسطى ، والعقبة : ثانى يوم العيد ، وثالث يوم العيد ، كل جمرة بسبع حصيات ، وهذا للقادر على الرمى ، وأما من عجز عن الرمى ، لكبر السن ، أو مرض ، أو ضعف ، فعليه أن يوكل غيره ليرمى

---

(١) ٢٠٣ : البقرة .

عنه ، وعليه دم عند المالكية ، وعند الشافعية : يوكل ولا شئ عليه ـ بشرط أن يرمى عن نفسه أولاً حتى يتم رمى الجمار الثلاث ثم يعود للرمى ثانية ، لما أخرجه ابن ماجه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : حججنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعنا النساء والصبيان ، فلبينا عن الصبيان ، ورمينا عنهم .

فرض الحج :

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [1] أى أن الله تعالى فرض الحج على الناس . إنسهم ، رجالهم ونسائهم ، ولكن بشرط البلوغ ، والعقل ، والإسلام ، فلا يجب الحج على صبى ، أو مجنون ، ولكن إذا حج الصبى فإنه يجوز له ذلك ، ويُحرم عنه وليه .

عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال :

« رفعت امرأة صبياً لها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقالت : يا رسول الله : ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر » رواه الترمذى .

ولكن عليه أن يحج مرة أخرى إذا بلغ الحلم ، لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أيما صبى حج ثم بلغ الحنث عليه حجة أخرى » رواه الطبرانى :

أعمال الصبيان ـ لمن يكون الثواب ؟ .

اختلف العلماء فى أعمال الصبيان من صلاة وصوم وحج وصدقة وغير ذلك : فبعضهم قال : إن الثواب لأمّه ، وبعضهم قال : إن الثواب لأبيه ،والثالث : أن الثواب يقسّم بينهما ، والرابع : أنه يدّخر له إلى ما بعد البلوغ ثم يكتب له .

---

(١) ٩٧ : آل عمران .

الاستطاعة فى الحج :

أجمع العلماء على أن الاستطاعة شرط لوجوب الحج وسنة العمرة ، كما أجمعوا على أنه يجب أن يكون عنده ما يكفى أولاده وأهله من نفقة وكسوة ومسكن إلى حين عودته حتى لا يضيعوا أو يلحقهم أذى شديد .

والاستطاعة ـ عند المالكية ـ هى : إمكان الوصول لمكة إمكانا عاديا بمشى أو ركوب براً أو بحراً بلا مشقة فادحة ، وأمن على نفس ومال له بال .

فإذا أمن على نفسه وكان له صنعة يرتزق بها ، وتليق بمثله : كنجارة وخياطة وحلاقة وخدمة بأجرة ، وكان قادراً على المشى : وجب عليه الحج .

وكذلك يجب الحج على من يمكنه الوصول إلى مكة بسؤال الناس ، إذا كانت عادته السؤال ، وظن الإعطاء .

والحج ـ عند المالكية ـ قيل واجب على التراخى ، وقيل : واجب على الفور إذا توافرت الشروط . خاصة إذا خاف المكلف فوات الفرصة بوقوع عجز ونحوه .

والرأى الراجح أنه واجب على الفور لا سيما إذا بلغ المؤمن الستين أو قاربها ، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **أعمارُ أمّتى ما بيْن السِّتّين إلى السَّبْعين ، وأقلّهم مَنْ يَجُوز ذلك** » رواه الترمذى وغيره .

قال الإمام حسن بن يحيى ـ وهو من علماء السلف الصالح ـ : يستحب لمن توفرت فيه شروط الحج وكان غنياً أن يكرر الحج كل

خمسة أعوام مرّة . لما روى فى الحديث القدسى أن الله ـ تعالى ـ قال : « **إنّ عَبْداً صَحَحْتُ له جِسْمَه وَوَسّعْتُ عَلَيْه فِى الْمَعيشَة تَمْضى عليه خَمْسة أعْوام لا يفد إلىّ لمحروم** » رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى .

س : ما حكم من سرق مالا وحج منه ؟

جـ : يسقط عنه فرض الحج ولكن لا ثواب له ، بل عليه إثم السرقة وهو فى هذا كمثل الشجرة التى لا تثمر .

ومثله من سرق ماء وتوضأ به وصلى . فقد سقط عنه الفرض وعليه ذنب السرقة .

النوافل اليومية عند الإمام مالك :

الضحى ، وأربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده ، وأربع ركعات قبل العصر ، وست ركعات بعد المغرب ، والشفع والوتر، وقيام الليل، ورغيبة الفجر .

أما الركعتان قبل صلاة المغرب ـ بعد الاذأن ـ : فقد قال الشافعية : إذا علم المصلى أن الإمام ينتظره حتى يصلى ركعتين خفيفتين جاز له ذلك ، وإلا فلا يصلى لأن الدخول فى الفرض أولى من النفل .

ويشهد لهم حديث البخارى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « **صلوا قبل صلاة المغرب ... قال فى الثالثة . لمن شاء .كراهية أن يتخذها الناس سنة** » رواه البخارى .

أما المالكية فإنهم لم يأخذوا بهذا الحديث لضيق وقت المغرب عندهم .

التنفل قبل الجمعة :

إذا دخل رجل مسجداً يوم الجمعة قبل أن يرقى الإمام على المنبر

فعليه أن يصلى ركعتين تحية للمسجد ، لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين** » رواه الشيخان .

أما إذا دخل والإمام يخطب فعليه أن يجلس ، لأن تحية المسجد سنة ، وسماع الخطبة واجب ، والواجب يقدم على السنة .

أما ما رواه البخارى عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قوله : «**بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ، ثم قال فى الثالثة : لمن شاء** » : فلم يأخذ به الإمام مالك للعلة السابقة .

التنفل جلوساً :

النوافل الليلية والنهارية تُصلى من قيام وتُصلى من جلوس ماعدا السُّنن المؤكدة[1] ، فالقيام فيها واجب ، غير أن ثواب القيام أكبر من ثواب الجلوس .

وقيام الليل من صفات عباد الرحمن . قال ـ تعالى ـ مثنيا عليهم : ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّداً وَقِيَاماً**﴾[2] .

رؤى وتأويلها :

من رأى فى منامه أنه صائم فهى صفة طيبة للرائى ، والله ـ تعالى ـ يعلمه الصمت وحفظ اللسان من كثرة الكلام فيما لا يعنيه .

رؤيا السبحة :

أحد الناس رأى رجلاً يسلفه فلوساً من فضة وورق ، فاشترى سبحتين ، وأعطى الذى سلفه : سبحة وأخذ هو الأخرى .

---

(١) وهى : صلاة الوتر وغيرها ككسوف الشمس ، وخسوف القمر والاستسقاء ،والعيدين .

(٢) الفرقان / ٦٤ .

تؤوّل هذه الرؤيا بـأنّهـا : هداية من اللـه ـ سبـحـانه ـ لـلرجلين لأنَّ السبحة يسبَّح عليها لله ـ تعالى ـ ..

ففى الرؤيا إشارة إلى تأويلها :

فإذا أعطاك أحد سكينا فهى إشارة إلى الذبح ..

وإذا أعطاك ملعقة فهى إشارة إلى الأكل ..

وإذا أعطاك مصحفاً فهو إشارة إلى قراءة القرآن ..

الدرس الثانى

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كهيعص ذكْـر رَحْمَةِ ربِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيّاً قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْم منِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً وَإِنِّى خِفتُ الْمَوَالِىَ من وَرَآئِى وَكَانَت امْرَأتِى عَاقِراً فَهَبْ لى مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾ (١) .

القرآن تارة يحدثنا عن توحيد الله وبيان صفاته وأسمائه الحسنى ، التى جلَّت عن إدراك البشر ، وتارة يبين التشريعات التى بها صلاح البشر ،وتارة يذكر قصص الأنبياء والمرسلين وأقوامهم ، ويبين عواقب الكافرين من هذه الأمم ، فى الدنيا والآخرة ، فالقرآن الكريم يحدثنا عن هذه القضايا الثلاث : ـ

فإذا تكلم ـ سبحانه ـ عن التوحيد ، فلا نظير لكلامه وهو أصدق القائلين . وإذا تكلم عن التشريع ، فلا نظام كنظامه ، وهو العلى الحكيم .

وإذا تكلم عن أحوال الأمم السابقة ، فحديثه أصدق الحديث ، وهو العزيز العليم . والآيات ـ التى معنا ـ تخبرنا عن قصة سيدنا زكريا ـ عليه السلام ـ وبماذا دعا ، وبماذا أجابه الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وفى هذا إرشاد للأمة المحمدية ،وكأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يقول لهم :

إنى أجيب الدعاء ، وأقضى الحاجات المتعثرة ، وقد قضيتها للسابقين ، فإذا أردتم قضاء شئ فارفعوه إلىَّ ، واسألونى فإنى أجيب .

فلم تأت هذه القصة عبثاً ،وإنما جاءَت لحكم ومنافع عظيمة .

---

(١) ١ ـ ٦ : مريم .

الحروف المقطعة :

بدئت السورة بهذه الأحرف الخمسة (كهيعص) ، وقد تكلم فى تفسيرها السلف والخلف : أما السلف فقالوا : هذا هو اسم الله الأعظم ، أو اسم القرآن أو اسم للسورة ، كل حرف منه يدل على اسم له ـ تعالى ـ .

أما الخلف فقالوا : إنها حروف هجائية ، تدل على أن القرآن من هذه الحروف ، فكيف يعجز العرب عن الإتيان بمثله وهو مكون من حروف لغتهم وكلامهم ؟

وقال الجلال المحلى ،وتلميذه الحافظ السيوطى : الله أعلم بمراده ، فكيف يقول الحافظ هذاالرأى ،وهو حافظ للحديث ؟ لعله لم يقف على حديث واحد صحيح الإسناد يفسر معنى هذه الحروف ، فقال : الله أعلم بمراده .

﴿ **ذكرُ رحمةِ ربِّك** ﴾ أى : يارسول الله : حدث أصحابك عن الرحمة التى رحم الله بها عبده زكريا ،وذكرهم بها ، لأنها رحمة عظيمة .

لماذا كانت رحمة عظيمة ؟ لأنها جاءت فى وقت نادى فيه زكريا ربه نداء خفياً ، قال الجلال : فى جوف الليل ، فى الخلوة ، فكان ذلك أسرع للإجابة . وقد سأل ربَّه سؤالاً عجيباً ، وأراد أمراً لا تتصوره العقول ، وهو الإنجاب فى هذا السن المتأخر ، مع كون زوجته عاقراً ، فماذا كان الجواب ؟ .

ونداء العبد لربه : دعاء ، ومعنى ادعوا الله : نادوه ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ**

﴿ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [1] ، أى نادوه .

والنداء عند العرب : دعاء ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ له أسماء كثيرة ، لأنه لا يشاركه الخلق فى أى شئ ، فإذا ناديت فقلت : يا ألله ، يارحمن ، يارحيم يقول لك : لبيك ، لبيك ، لبيك .. فسبحانه من إله عظيم .

وإذا نادينا الله ـ تعالى ـ مع علوه وعظمته وجلاله وكماله وجبروته ، فهل يجيبنا ؟ نعم ، فهو القائل : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [2] ، والله ـ تعالى ـ يجيب دعاءك ، ولكن ليس من الضرورى أن يحقق لك ما دعوت به فى الحال ، وكل ذلك يدخل تحت المشيئة ـ لله سبحانه وتعالى ـ .

دخل رجل على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال له : يا رسول الله : ادع الله لى أن يزوجنى بفلانة ـ فقال له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « لو دعا لك إسرافيل وجبريل وميكائيل وحملة العرش وأنافيهم ما تزوجت إلا المرأة التى كتبت لك » أورده النبهانى فى الفتح الكبير .

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ : يؤخذ من الآية أن الدعاء الخفى أفضل من الجهر الذى يسمعه الناس ، وأن الدعاء الخفى محبوب عند الله ـ تعالى ـ .

﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ : يعنى . يارب ، وهذا من أسمائه ، ومعناها : خالق ، مالك ، مدبر محيط ، هوالمربى للعباد بالنعم الظاهرة والباطنة .

﴿ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى ﴾ : أى كبرت سنى ، وضعفت عظامى .

﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ : هذا تمييز محول عن الفاعل ، وأصل الكلام : ـ واشتعل شيب الرأس .

---

(١) ١٨٠ : الأعراف .

(٢) ٦٠ : غافر .

﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أى : كنت أدعوك ، وكلما دعوتك استجبت لى ولم أكن شقياً محروماً من الإجابة . فقد تعودت الدعاء ، وعودتنى الإجابة ، وها أنذا أدعوك الآن :

﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ أعطنى ولداً يقيم أمور الدين من بعدى ، (ولياً) أى ناصراً ، فنعم الولى ،ونعم الناصر .

﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ من عندك ،وزكريا ـ عليه السلام ـ نبى رسول ، يتكلم بالتشريع يعنى : يارب يسّر لى زوجة أتزوجها حتى تلد لى ولداً ، أو أصلح لى من شأن زوجى العاقر ، حتى تلد ولداً ، وليس معنى هذا الدعاء : أنزل لى من السماء ولداً .

﴿ يَرِثُنِي ﴾: يحافظ على الشريعة من بعدى .

﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ أى وراثة العلم والشرع ، فإن الأنبياء لا يورثون المال .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « وأسألك قرة عين لا تنقطع » رواه النسائى .

فوهب الله له الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وقد تحقق فيها دعاء الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم تنقطع ذريتها .

﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ هذا دعاء للمولود ، أى يرضيك يارب ، ويرضينى بأفعاله .

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ أوحى الله إليه ، أو أرسل إليه ملكاً يخبره .. الله أعلم .

﴿ بِغُلَامٍ ﴾ ذكر ، ﴿ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ سماه الله يحيى لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد أحيا له الرحم بعد جفافه وعقمه .

﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سمِيًّا ﴾ وما سمى أحد بهذا الاسم قبله .

﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ : لما سأل زكريا ربه ولداً ، لم يخطر بباله أن يأتى الولد من امرأته العجوز العقيم ، بل كان يرجو أن يأذن الله ـ تعالى ـ له فى الزواج من امرأة صغيرة صالحة للحمل والولادة ، فلما قال الله ـ تعالى ـ له ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾ علم أن التى ستلد له الولد هى : زوجه العاقر ، فتعجب وقال : ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِراً ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ، قال المفسرون : معنى (عاقراً) لم تلد أبداً ، ومعنى (عتياً) نهاية الكبر ،ويروى أن زكريا ـ عليه السلام ـ قد بلغ آنذاك من العمر مائة وعشرين ، وامرأته سبعة وتسعين عاما .

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ .

قال له الملك ـ جبريل ـ ربك قال : هو على هين : أن أخلق ولداً فى بطن المرأة العجوز ،وليس هذا بالأمر الصعب ، وأفعال ربك لا تقاس على أفعال الناس ، فهو يخلق ما يشاء ويختار .

﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ ، فذكره بأنه ـ سبحانه ـ قادر عظيم يفعل ما يشاء ، ثم ذكره بأصله ،ومبدئه ، حين كان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، فالله القادر ، العظيم ، هو الذى جعل هذه المضغة عظاماً ، ثم كساها لحماً ، قادر على أن يجعل المرأة العقيم تلد .

وقد حدث مثل هذا فى قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقد قالت امرأته حين بشرتها الملائكة بالولد : ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخاً ﴾ [1] .

فقد جاءت الملائكة إبراهيم ، فى صورة شباب حسنة صورهم ، فسلموا عليه ، فأتاهم بعجل ، على مقتضى أخلاق الأنبياء الكرماء ،

---

(٢) ٧٢ : هود

(حنيذ) أى : مشوى ، فلما أحضر الطعام أعرضت عنه الملائكة ، لأنهم لا يقبلون رائحة الطعام بل يفرون منها ، ولكن يقبلون على رائحة الطيب والأعطار ، كما هو الحال فى السماء ، قال الشعرانى فى السيرة :

لما عرج بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورجع كانت تشم منه رائحة العروس .

فلما قدم العجل المشوى إلى الملائكة نفرت منه ، فلما رآهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ كذلك (أوجس منهم خيفة) ، لأن العادة كانت قد جرت على أن من يمتنع من أكل الطعام المقدم له فإنه يضمر الخيانة فى نفسه لصاحب الطعام .

والعوام يقولون : (اللى أكل عيشك وملحك لا يخونك) .

ولذلك أوجس منهم خيفة ، ﴿ **قَالُوا لا تَخَفْ إنا أُرْسِلْنَآ إِلَى قَوم لُوط** ﴾ أى نحن ملائكة ، لا نأكل ولا نشرب ، فما تباعدنا من الطعام إلا لذلك .

وكانت زوجه ـ سارة ـ قد استترت عند رؤية الملائكة ، فلما عرفت حقيقتهم أقبلت إليهم ، مندهشة لما سمعته منهم أنهم جاءوا ليبشروا إبراهيم بولد .

﴿ **فَصَكَّتْ وَجْهَهَا** ﴾ [1] أى لطمته على عادة النساء إذا أنكرت شيئاً ، قيل : إنه فى هذه اللحظة عاد لها شبابُها ونزل منها دم الحيض .

﴿ **وقالت عَجُوزٌ عَقِيم** ﴾ أى : أأحمل وأنا عجوز .

وقال الله ـ تعالى ـ فى سورة هود : ﴿ **فَضَحِكَتْ** ﴾ أى سروراً بالولد ، وقيل : تعجباً من مجئ الولد على كِبَر ، وقيل (فضحكت) أى حاضت .

قالت الملائكة : ﴿ **أَتعْجَبِين مِنْ أَمْرِ اللهِ** ﴾ الذى لا يُعجزه شئ .

(١) ٢٩ : الذاريات

وقد حدث مثل هذا من زكريا ـ عليه السلام ـ فهو قد تعجّب حين بُشِّر بالولد ، قال المفسِّرون : إنّه لم يشكّ فى قدرة الله ـ تعالى ـ وإنما أراد أن يعلم هل الولد من العجوز أم من غيرها ؟ فأعلمه الله ـ سبحانه ـ أنَّ الولد من زوجه العجوز ، فهو قادر على كل شئ .

﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّى آيَة** ﴾ : علامة تدل على أن زوجتى حملت ، لأُخْبِر الناس ويصدقونى .

﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً** ﴾ ، فلما حملت أوحى الله إليه ألا يكلم أحداً ، فخرج إلى المسجد فأشار إليهم : أن صلوا .

﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ** ﴾ ، بالإشارة ﴿ **أَنْ سَبِّحُوا** ﴾ الله ﴿ **بُكْرَةً وَعَشِيّاً** ﴾ شكراً لله ـ تعالى ـ ، وتخلُّصاً من القيل والقال فى كيفية حملها .

وبعد ولادة يحيى ، أوحى الله ـ تعالى ـ إليه ، وقد اختلف العلماء فى سنه حين نزول الوحى عليه ، فمنهم من قال : بعد سنة ، أو اثنين ، ومنهم من قال : عند البلوغ وهو الأقرب ، قياساً على غيره من الأنبياء .

﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾ .

الكتاب : التوراة ، والوحى لا يكون إلا بعد تمام العقل ، فكيف يؤتى الحكم وهو صبى ؟

قيل : بل المراد بالحكم : فهم التوراة ، وليس الحكم والنبوّة ، التى جاءت فى قصة داود وسليمان ﴿ **وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً** ﴾ [1] ، فسليمان ـ عليه السلام ـ كان صغيراً ولكن الله ـ تعالى ـ رزقه الفهم والحكمة فى الفصل بين الخصوم ﴿ **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ** ﴾ (الحكم) :

(١) ٧٩ : الأنبياء .

التوراة وفهمها ، كما قال ـ تعالى ـ على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ :

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الكِتَـابَ وَجَعَلَنِى نَبِيّاً ﴾ (٢) ، والمعنى سوف يؤتينى ذلك فى المستقبل ، وجاء التعبير بالماضى لإفادة تحقق وقوعه ، وهذه عادة العرب فى كلامهم أنهم يعبرون عن المستقبل المتحقق الوقوع بالماضى .

﴿ وَحَنَاناً ﴾ أى : رحمة للناس ، ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾ أى علمناه الرحمة من عندنا .

﴿ وَزَكَاة ﴾ يؤتيها الفقراء ، ﴿ وَكَان تَقِيّاً ﴾ هذه شهادة من الله ليحيى بالتقوى .

والذى ظهر لى من تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً وَحَنَاناً مِن لَّدُنَّا وَزَكَاة ﴾ أنّ هذه الأشياء اختص الله بها زكريا ـ عليه السلام ـ ، أى : وآتينا زكريا يحيى حناناً ورحمة وزكاة ، أى زيادة (فهى تُعْرب مفعولاً مطلقاً أى للرحمة) ، ومن صفاته أنه كان تقياً ـ والله أعلم ـ .

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَيْه ﴾ يمدح الله ـ تعالى ـ بر الوالدين ، فقد كان يحيى باراً بوالديه .

﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾ قال بعض العلماء . أى لم يكن عاصياً لله ـ تعالى ـ ، أو لأبيه أو لأمه ، ويروى أنه كان صائماً ـ نفلا تطوعاً ـ وأمرته أمه بالإفطار فأفطر .

س : كيف يقال هذا ، والرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول :

« لا طَاعَةَ لِمَخْلوقٍ فِى مَعْصِيةِ الْخالِقِ » رواه أحمد والحاكم ؟

جـ : عند المالكية : إذا صمت نفلاً ،ودخلت فى الصوم ، فحرام

قطعه لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولا تُبْطِلُوا أعْمَالَكُم** ﴾ [1] .

وعند الشافعية : يجوز له أن يقطع الصوم ويفطر ،واستدلوا بقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

: « **الصّائم المتطوّعُ أميرُ نَفْسه إنْ شاءَ صامَ وَإنْ شاء أفْطر** » رواه الإمام أحمد والترمذى .

وعن السيدة عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : « **دَخَل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَوْماً فَقَال : هَلْ عِنْدكم شَئ ؟ فقلتُ : لا ، قَال فَإنّى صائِم** » رواه النسائى .

وقد سمعت هذا الحديث من الشيخ السمالوطى ، وكان إذا تكلم بالحديث أحسست كأن المكان كله يتجاوب معه ويردد كلماته .

﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْه يَوْمَ وُلِدَ ويَوْمَ يَمُوتُ** ﴾ .

الله ـ سبحانه وتعالى ـ سلَّم يحيى يوم ولد ، فجعله فى أمان من الشيطان .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَد إلاّ مَسه الشيطانُ حِين يُولَدُ ، إلاّ مَرْيم وابنَها** » رواه الشيخان .

قال المفسرون : كذلك سلم الله ـ تعالى ـ يحيى ـ عليه السلام ـ منها ﴿ **يَوْمَ ولِدَ ويَوْمَ يَمُوت** ﴾ وقد فهمت من هذا الحديث أنّ سيدنا عيسى والأنبياء يسلمون منها ﴿**وَسلاَم عَلَيْه يَوْمَ وُلِد** ﴾ : من الشيطان ، وأمان عليه من فتنة الشيطان .

اللهم إنّى أعوذ بك من شر فتنة المحيا والممات ، فإنّ الشيطان يأتى للإنسان عند وفاته فى صورة إنسان مات قبله ويكون محبوباً لديه

---

(١) ٣٣ محمد .

«والده مثلاً » ويوسوس له قائلاً : لقد متُّ نصرانياً ، فوجدتُ النصرانية أفضل من الإسلام فكن مثلى ! فإذا كان المحتضر مؤمناً فإن الملائكة تطرد الشيطان الرجيم .

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ (١) .

ولكن : كيف مات سيدنا يحيى مقتولاً ؟

اعلم بأن القتل لا ينافى العصمة ، فقتله ـ عليه السلام ـ جمع له بين الشهادة والنبوة والرسالة ، فالقتل شهادة له ووسام .

والجنة درجات ،والنار دركات ، فمن يقتل إنساناً ـ عادياً ـ يدخل جهنم .

ومن قتل نبياً أدخله الله ـ تعالى ـ أشد أنواع العذاب ،وكل جريمة لها عقابها .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَكُلُّ شَئٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (٣) .

روى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما دخل بصفية بنت حُيى ـ بات أبو أيوب الأنصارى متوشحاً بسيفه ، يحرس رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ويطوف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتْ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك ، فروى أن

---

(١) ١٠٣ : الأنبياء .

(٢) ٨ : الرعد .

(٣) ٤٩ : الكهف .

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **عنّى أيُّها الناس فقد عَصَمَنِى الله ـ تعالى ـ** » . رواه ابن هشام فى السيرة .

س : ما هى وحدة الوجود عند الصوفية ؟ .

جـ ـ هى كما علمتها أن هذا الوجود خالقه واحد لا شريك له .

وقدرة الله تحركك ، كما تحرك أنت يدك ، فتتحرك صورتها فى المرآة ، فأنت تحرك صورتك على غير اتصال ، وكذلك تحرك قدرة الله ـ تعالى ـ الكائنات من غير اتصال .

س : إذا كان كل شئ مكتوباً فى اللوح المحفوظ ، فلماذا ندعو الله إذن ؟

جـ ـ لأن الله ـ تعالى ـ يحب الدعاء ،والعبد يفرح بالإجابة ، فإذا أصابه ضر دعا الله ـ تعالى ـ : يارب نجنى ، يارب الطف بى ، فإذا كشف الله هذا الضر فرح العبد ،وقال : قد استجاب الله دعوتى .

رؤية الله تعالى فى النوم :

روى عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : سمعتُ أبى يقول : رأيت ربَّ العزة فى النوم تسعاً وتسعين مرة ، فقلت فى نفسى : لَئن رأيتُه تمامَ المائة لأسألنّه ، فلما رأيتهُ سألتهُ : ما أفضل ما يتقرب به إليك المتقربون ؟ قال : بكَلامى يا أحمد ، قلتُ . بِفَهْم أو بغير فَهْم ؟ ، قال : بفَهْم وبغير فَهْم .

وهذه الرواية موجودة فى كتاب إجازات القراء .

وقد ورد كذلك عن الإمام أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ : رأيت رب

العزة فى المنام تسعاً وتسعين مرة ، فقلت فى نفسى : لئن رأيته تمام المائة لأسألنّه :بم ينجو الخلائق من عذاب يوم القيامة ؟ ، قال : فرأيته تمام المائة ، فقلت : يارب : عزّ جارُك ، وجلّ ثناؤك ، وتقدست أسماؤُكبم ينجو عبادُك يوم القيامة من عذابك ؟ فقال ـ سبحانه وتعالى ـ : من قال بالغداة والعشى : سبحان الأبدى الأبد ، سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان من رفع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد ، سبحان من خلق الخلق وأحصاهم عددا ، سبحان من قسم الأرزاق ولم ينس أحدا ، سبحان الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، سبحان الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد : نجا من عذابى يوم القيامة .

وقد رأيت ـ فى الرؤيا ـ وأنا فى السودان ، أنى ساجد ، والكون كله أنوار ، والناس جميعاً يقولون ـ وأنا معهم ـ مولاى .. مولاى .

فهذه الرؤيا تشبه الرؤيا التى رآها الإمام أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ .

ورؤية اليقظة مستحيلة فى الدنيا إلا للمصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال فى الشيبانية : ـ وهى المنظومة الأزهرية ـ .

ومَن قال فِى دَارِ الحَيَاةِ رَأيتُه ... فَذَلكَ زِنديْقٌ طَغَى وتَمرّدا

أما فى الجنة فالرؤية حاصلة للمؤمنين : قال الشيخ اللقانى :

وَمنه أن يُنْظرَ بِالأبْصار ... لكن بِلا كَيْفٍ وَلاَ انْحِصَار

أى : فى الجنة .

أما الرؤية فى الدنيا يقظة فلم يتشرّف بها إلا المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال اللقانى : هَذَا وَلِلمختارِ دُنيا ثَبَتت .

روى البخارى فى صحيحه عند تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ** ﴾ (١)

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ

: « هى رُؤيا عين أُريها النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ليلة أُسْرِىَ بِهِ » .

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ : بماذا يُرَدُّ على ما ورد عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ حين أنكرتْ إثبات رؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ربَّه لَيْلة المعراج ؟

فرد برواية حديث صحيح الإسناد أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **رَأيتُ رَبِّى لَيْلَةَ أُسرِى بِى** » .

وفى صحيح البخارى أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « من رآنى فى النوم فسيرانى فى اليقظة » وفى صحيح مسلم « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » .

وقد أخرج السيوطى بإسناده أن السيد أحمد الرفاعى حين دخل الروضة النبوية الشريفة أنشد :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ... تقبل الأرض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمدت له اليد الشريفة ، فقبّلها .

قال السيوطى : حدث هذا ، والناس ينظرون ، وكان ممن حضر ذلك سيدى عبد القادر الجيلانى ، وقد ألّف الحافظ السيوطى من أجل ذلك رسالة ذكر فيها أسماء من نالوا ذلك الشرف العظيم .

---

(١) ٦٠ : الإسراء .

وقد رُوِى أن السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ اجتمع مع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بحضور الخَضر ـ عليه السلام ـ ، فلقن الخضر الأوراد لشيخنا ابن إدريس ، ثم لقنها له النبى ـ صلى الله عليه وآله سلم ـ

وورد أيضاً أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لقن السيد أحمد ابن إدريس التهليل ولفظه :

« لاَ إله إلا الله محمد رسول الله فِى كل لمحةٍ ونفسٍ عَدَدَ ما وسِعَه علم الله »

وقال له : « خَزنْتُها لَكَ يَا أحْمد ، مَا سبَقَكَ بِها أحَدٌ ، علِّمْها أصْحَابَكِ لِيَسْبقُوا بها الأوَائل » .

ثم منحه الصلاة العظيمية والاستغفار الكبير .

فهو الذى أخذ الطريق عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم أرشد تلاميذه بعد ذلك إلى هذا الخير العظيم .

وقد عاش أكثر من ثمانين سنة ، وكانت طريقته : الكرسى والدرس فى كل بلد ، وكان من أعلم أهل زمانه .

س : هل هناك دعاء مخصوص لرؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى المنام ؟

جـ : فى الطريقة الأحمدية دعاء لنيل هذه الفضيلة ، وهو :

« اللهم إنّى أسْألك بِنُور الأنْوار الّذى هُو عَيْنُك لا غَيْرُك ، أن تُرينى وَجْه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كَما هُو عنْدَك .. آمين »

يقال هذا الدعاء مائة مرة قبل النوم .

ولكن مشايخنا ـ رضى الله عنهم ـ علمونا أنه ليس من الأدب أن تطلب رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من غير عمل ، بل علينا أن نعمل أولاً بالشرع الحنيف ونكثر الصلاة والسلام عليه ، مع كثرة التشوق إليه فإذا رأى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منك الأهلية لرؤيته ، أتاك بغير نداء أو دعاء .

﴿ وَاذْكُرْ فِى الكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ .

يقصُّ القرآن الكريم نبأ مريم ـ عليها السلام ـ ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًّا ﴾ أى : ابتعدت عنهم فى مكان بعيد جهة الشرق ، وكانت إذا أتاها الحيض امتنعت عن دخول بيت المقدس ، فلما أرادت أن تغتسل من الحيض ابتعدت عن أهلها ، وخلعت ثيابها واغتسلت .

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِم حِجَاباً ﴾ أى : ستراً .

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيهَا رُوحَنَا ﴾ جبريل ،وسمَّاه الله ـ تعالى ـ الرُّوح ، لأنَّ الله ـ تعالى ـ أحيا به القلوب والأديان ، كما أن الروح بها حياة الأجساد قال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (١) .

﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا ﴾ بعد أن لبست ثيابها ، رأت أمامها شاباً مكتمل الخلق ، فظنت أنه يريدها بسوء .

﴿ قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ أى : إن كنت تتقى الله ابتعد عنِّى ، فلست كسائر النساء ، فأنا منقطعة لعبادة الله ـ تعالى ـ .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أى : لست كسائر الرجال ، فكونى مطمئنة .

﴿ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا ﴾ : إنِّى مُكلَّفٌ من عند الله ـ تعالى ـ بنفخ الروح فى جسد مخلوق فى رحمك .

---

(١) ٥٢ : الشورى .

وفى هذا الأسلوب فائدة مهمة ، وهى : إسناد جبريل الهبة لنفسه (أهب) ، لأنه السبب المباشر ، مع أن الفاعل الحقيقى هو الله ـ سبحانه ـ وهذا من أساليب اللغة المعروفة ،والمعنى : أرسلنى ربى لأكون السبب فى أن يهب لك غلاماً زكياً ، فلما دنا منها وجد الجسد ـ جسد المولود ـ مخلوقاً كاملاً ، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : كان حملها وولادتها فى ساعة .

وفى العادة أن خلق الجنين يكتمل فى مائة وعشرين يوماً ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح .

والفرق بين سيدنا عيسى وبقية الخلق : أن روح عيسى ـ عليه السلام ـ جاء بها جبريل ـ عليه السلام ـ ، وليس بقية الخلق كذلك ، لأن أرواحهم تنفخ فى أجسادهم بواسطة ملك آخر غير جبريل ـ عليه السلام ـ .

والفرق الآخر : أن أجساد الناس تخلق من اجتماع منى الرجل والمرأة ، أما عيسى ـ عليه السلام ـ فقد خلق بـ (كن فيكون) .

﴿ **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** ﴾ أى : لم أتزوج بشراً فيباشرنى ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أى : لست بزانية ، فالمراد بالمسّ فى الآية : الجماع .

وكأنَّها دهشت عندما أخبرت بأنها تلد غلاماً مع عدم وجود أسباب ذلك .

﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ﴾ أى : أرسلنى ربك لأقول لك إن الله ـ تعالى ـ قال هذا ، وهذا أمر هين عليه ـ سبحانه وتعالى ـ .

﴿ **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ** ﴾ : علامة على قدرة الله ، وقد كان فى قومها من ينكر المعجزات وخوارق العادات ، ويقولون : إن الله لا يخلق بدون سبب فلا حمل بدون زواج ونكاح ، فجعله الله ـ تعالى ـ آية لهؤلاء

المنكرين ، أى علامة على قدرة الله .

﴿ **وَرَحْمَةً مِنَّا** ﴾ : نؤتيه الإنجيل ، يعلم الناس الصلاة والزكاة ، لينالوا رحمة الله .

﴿ **وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً** ﴾ : مبرماً نافذاً .

وما أن خرجت من بيت لحم ، حتى جاءها المخاض ، فألجأها إلى جذع نخلة فأثمرت فى غير موعدها .

ثم تذكرتْ ما سوف يقوله الناس فيها من إفك وبهتان ، فقالت : ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا** ﴾ قبل الولادة ﴿ **وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً** ﴾ .

ولعل الذى ، دفعها إلى هذا القول شدة الحزن ، الذى كاد ينسيها ما بشرها به جبريل ـ عليه السلام ـ

﴿ **فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا** ﴾ : ناداها عيسى وقرئ « مَنْ تحتَها » .

﴿ **قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً** ﴾ ، وقيل : ناداها جبريل ألا تحزنى على ما تم قضاؤه ، ثم أمنها من خوف الجوع والعطش ، ومقالة الناس ، فقال ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي** ﴾ فالأكل من رطب النخلة ،والشرب من السرى ، وهو النهر الصغير .

﴿ **وَقَرِّي عَيْناً** ﴾ أى افرحى ، ولا تكونى خائفة ، فقد أمنتِ المخافتين الجوع والعطش ، أما أمر الناس :

﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً** ﴾ أى صمتاً .

﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ** ﴾ بعد الولادة ، ﴿ **قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً** ﴾ أى : إثماً عظيماً ، فقد جئت بولد من غير أب .

﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ** ﴾ أى لم يكن زانياً ، ﴿ **وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** ﴾ : أى ولم تكن أمك كذلك :

هارون : رجل صالح ، كان يعبد الله معها ، أى : يا من كنت تتعبدين مثل هارون الصالح التقىّ .

﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** ﴾ أى : ولم تتكلم ، فتعجبوا منها : وقالوا ﴿ **كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيّاً** ﴾ ؟ .

وكان زكريا ـ عليه السلام ـ غائباً ، فحضر مهرولاً ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** ﴾ أى إلى المسيح ـ عليه السلام ـ ﴿ **قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيّاً** ﴾ بمعنى سيؤتينى الكتاب وسوف يجعلنى نبياً .

﴿ **وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً** ﴾ أى : ذا عون وبركة للناس .

﴿ **وَأَوْصَانِى بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بِوَالِدَتِى** ﴾ أى : إذا كبرت سأكون رجلاً مهدياً ، فصار الناس يتبركون بالسيدة مريم وبابنها المبارك ، وكان سيدنا زكريا متزوجاً من أختها ، فسيدنا عيسى ويحيى ابنا خالة .

﴿ **وَالسَّلاَمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ** ﴾ وفيه الأمان الكامل .

﴿ **وَيَوْمَ أَمُوتُ** ﴾ إشارة إلى عدم صلبه وقتله ، بل سيكون موته بغير قتل .

﴿ **وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً** ﴾ إشارة إلى أنه سوف يموت ويدفن تحت التراب .

فهذه الآية تدل على أن سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ لم يقتل ولم يصلب ، وتدل على أنّه قد رفعه الله ـ تعالى ـ إلى السماء ، ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾ [1] .

---

(١) ١٥٨ : النساء .

قال عليه ـ الصلاة والسلام ـ : « **يمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة ، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه** » رواه أبو داود عن أبى هريرة .

ولقد قص الله ـ علينا ـ قصة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ الذى امترى فيه اليهود والنصارى ، حيث أنكر اليهود فضله ، وجعله النصارى « ابن الله » ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ لذلك فقد فصل الله ـ تعالى ـ هذه القصة رداً على الفريقين ، وبياناً للحقيقة فى ولادة عيسى ـ عليه السلام ـ ورسالته .

كما قال ـ سبحانه ـ : ﴿ **ذَلِكَ عِيسى ابنُ مَرْيَمَ قولَ الحقّ الَذى فيه يَمْتَرونَ مَا كَانَ للهِ أن يتّخذَ مِنْ وَلَدٍ سُبحانَه إذَا قَضَى أَمْراً فَإنّما يَقُولُ لَه كُن فَيَكُون** ﴾ .

دعوات :ـ

اللهم يسر لنا أمور ديننا ودنيانا ، اللهم انظر لنا بعين عنايتك ، اللهم إنا نسألك الجنة ، وما يقرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ، واغفر لنا ذنوبنا ، وتب علينا ، اللهم امنحنا رضا الوالدين ، ونعوذ بك من عقوق الوالدين ، وارحم أحياءنا وأمواتنا ، واجعل بيننا وبين الكافرين حجاباً وسداً .

لا إله إلا الله ، والله أكبر (ثلاث مرات) .

لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الدرس الثالث

في تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ اللهُ نورُ السَّموات والأرْضِ مثَلُ نُوره كَمشْكاة فيها مصْباحٌ المصْباحُ في زُجَاجَة الزُّجَاجَة كأنّها كَوْكَبٌ دُرّى يُوقَدُ مِن شَجَرَة مُبَاركة زَيْتُونة لاَ شَرْقية وَلاَ غَرْبية يكادُ زَيْتُها يضيءُ ولَوْ لَمْ تَمسسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىَ نُور يَهْدى اللهُ لنُوره مَن يَّشَاءُ ويضرب الله الأمثال للناس وَاللهُ بكلّ شَيْءٍ عَليم ﴾ (١) .

إذا ختم القارئ قراءته قال : « صدق الله العظيم » ، لأن كل كلمة قالها الله ـ تبارك وتعالى ـ لابد أن تقع ، ولابد أن تكون مطابقة للواقع ، وإذا لم يستطع العقل أن يفهم منها شيئاً ، فإن ذلك من عجزه وقصوره .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ لاَ مُبَدِّلَ لكَلماته ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَمَنْ أصْدَق مِن الله حَديثًا ﴾ (٣) فكلام الله لا يتناقض مع خلقه ، وهو صفة من صفاته ، والعالم أثر من آثار قدرته ، فلا تختلف آثار قدرته مع صفته ـ سبحانه وتعالى ـ .

فالقرآن كلام الله ـ تعالى ـ وصفته ، والعالم ـ دنيا وأخرى ـ أثر من آثار قدرة الله ، فلا تختلف آثار قدرته مع كلامه ، لذا كان من المناسب أن يقول القارئ عند ختام قراءته : « صدق الله العظيم » .

وهذه الصفة لا توجد قط في كلام مخلوق ، فلا يوجد مخلوق يتكلم كلاماً ، وله آثار في الكون ، حتى يقال إن كلامه لا يختلف مع آثاره ومخلوقاته .

---

(١) ٣٥ : النور .

(٢) ١١٥ : الأنعام .

(٣) ٨٧ : النساء .

فالناس تارة يصدقون ، وتارة أخرى يكذبون ، إلاّ ما أخبر به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الله ـ تبارك وتعالى ـ ، قرآنا وحديثاً صحيحاً ، ما عدا هذين فأقوال تحتمل الصدق والكذب ،وقائلها لم يَخْلُق ذَرّةً ، وليس له أثر فى الكون .

أبو البركات الدردير : من سلاطين علماء الأزهر وأساطينه ، كوكب من كواكب العلماء ، ونجم زاهر ، قال فى الخريدة :

وَاعْلَمْ بِأنّ التَّأثير لَيْس إلاّ ... لِلْواحِدِ المُخْتارِ جَلَّ وعَلاَ

فلا شئ فى الدنيا تراه عينك ، أو تسمعه أذنك ، إلا وهو من آثار قدرة الله ، فالناس ، والملائكة ، والجن ، والشمس والقمر ، والسحاب والزروع ، وكل ما حَمَلَت السموات والأرض ، حتى الرؤيا فى المنام ، ما تراه فيها من صور ، كل ذلك من آثار قدرة الله ـ تعالى ـ

فهو الظاهر : أثر فى الظاهر فظهر الظاهر .

وهو الباطن : أثّر فى الباطن فخفى الباطن .

فما دمت حياً أو ميتاً ، فأنت ترى أثراً من آثار قدرة الله ، وإذا قمت يوم القيامة ودخلت الجنة ، رأيت من آثار قدرة الله .

لهذا قال العلماء فى معنى ﴿ **اللهُ نُورُ السَّموات والأرْضِ** ﴾ : النور شعاع محسوس يراه بصرك ، وبه تدرك ما حولك .

ولما كان سبحانه وتعالى لا يدرك بالحواس ، كان غير مدرك بالبصر ﴿ **لاَ تُدْرِكُه الأبْصارُ وهو يُدْرِك الأبْصارَ وهو اللطيفُ الخَبيرُ** ﴾ (١) .

فتفسير ﴿ **اللهُ نُورُ السَّموات والأرْضِ** ﴾ أى ضوءهما ، والمعنى أن النور الذى فى السموات والأرض أثر من آثار قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ فالمُدْرَك أثر من آثار قدرته ، وآثار قدرته غيره ـ سبحانه وتعالى ـ .

---

(١) ١٠٣ : الأنعام .

وقال بعض العلماء ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمـوات والأرْضِ** ﴾ : يعنى مُنوِّرُهما بالأنوار الحسية والمعنوية :

الحسية : المُدْرَكة بالبصر ، مثل نور الشمس والقمر والنجوم .

والمعنوية : المُدْرَكة بالقلب ، مثل نور الرسل والأنبياء ،والعلماء .

والرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تراه بعينى رأسك نوراً ،و بقلبك نوراً ، فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صاحب الأنوار الحسية والمعنوية .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « **كُنْتُ أخِيط فى السَّحرِ فسقطت منى الإبْرة فَطَلَبْتُها فلم أقْدر عليها ، فدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَتَبَينتُ الإبْرة بشعاع نور وجهه ، فقال : يا حُمَيْرَاء** [1] **، الويل ، ثم الويل ، (ثلاثا) لمن حُرِم النظر إلى وجهى** » [2] .

قال المفسرون فى قوله ـ تعالى ـ :﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِن اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** ﴾ [3] : إنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نور معنوى ، يهدى القلوب بأقواله وأفعاله ، فهو مخرجهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن العدواة إلى الإخاء ، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن ، ومن الجبن إلى الشجاعة ، ومن القتال للدنيا ، إلى القتال فى سبيل الله .

وعلى ذلك فقد جمع الله ـ تعالى ـ لنبيه محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الأنوار الحسية والمعنوية ، وكما نور الله ـ سبحانه وتعالى ـ السموات والشمس والقمر والنجوم ، نوَّر الأرض والأنبياء والمرسلين ، والعلماء والصالحين .

---

(١) حميراء ـ تصغير حمراء ـ وهو لون بشرتها .

(٢) أخرجه ابن عساكر .

(٣) ١٥ : المائدة .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **أصحَابِى كالنُّجومِ بأيّهم اقْتَديتُم اهْتَديتُم** » .

قال الشافعى ـ رضى الله عنه ـ : « **إذَا ذُكِر العلماءُ فَمالك النَّجْمُ ، فقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ** : « **العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء** » . رواه الإمام أحمد ، والأنوار بنوعيها ـ الحسى والمعنوى ـ تحفظ الإنسان من الوقوع فى المهالك ، فالذى يسير فى طريق به حفر ، يهتدى بنور الشمس الحسى ، فيعدل عن هذا الطريق ، إلى طريق آخر ، حتى يتجنب السقوط .

والذى يوشك أن يقع فى معصية النظر إلى الحرام يهتدى بنور القرآن المعنوى : ﴿ **قُل لِلمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبْصَارِهم** ﴾ [1] ، فيزجر هواه ، ويبتعد عن الحرام .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **حَمَلَة القرآنِ عُرَفاء أهلِ الجنة** » رواه السيوطى عن سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين سبط رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وريحانته من الدنيا ، وقال جماعة من أهل العلم ﴿ **اللهُ نُورُ السَّموات والأرْضِ** ﴾ أى : مدبرهما ، وكأنهم أخذوا هذا المعنى من قولهم : نوَّر الأمير البلاد ، إذا حكم بالقسط ، وحقق العدل فهو حينئذ قد دبَّرها تدبيراً شرعياً ،وبذلك التدبير ينوّر الناس ، لأنهم يهتدون به فى أمورهم .

وقال جماعة ﴿ **اللهُ نُورُ السَّموات والأرْضِ** ﴾ أى : موجدهما ؛ لأن الوجود نور كما أن العدم ظلمة ، وهذا قول علماء التوحيد .

أما ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقد قال فى ﴿ **اللهُ نُورُ السَّموات**

---

(١) ٣٠ : النور .

والأرْضِ ﴾ يعنى أنه ـ سبحانه ـ الهادى من فيهما ، وتفسيره هذا موافق لآخر الآية ﴿ **يَهْدِى اللهُ لِنورِهِ من يشاءُ** ﴾ ، قال البوصيرى ، فى بيان معانى القرآن :

لَهاَ مَعان كموج البَحْر فى مَدَد وَفَوْق جَوْهَرِه فِى الحُسْن والقِيم

﴿ **مَثَلُ نُورِه كَمشكَاة** ﴾ أى : مثل تنويره ، يعنى : كيف نوَّر السموات والأرض ، وكيف دبّر ،وكيف أوجد ،وكيف هدى ؟ ـ على الأقوال السابقة فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ **اللهُ نُورُ السَّموات والأرْضِ** ﴾ :

﴿ **كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْبَاحٌ** ﴾ : المشكاة : هى طاقة فى الجدار غير نافذة .

المصباح : السراج الضخم الثاقب .

وقيل : المشكاة : الأنبوبة فى وسط القنديل ،والمصباح : الفتيلة المشتعلة ﴿ **المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَة** ﴾ هى القنديل ،وتسمى اليوم : « اللمبة » ، وفى الماضى كانت الإضاءة بزيت الزيتون ، وكان ضوؤه أبيض جميلا ، يريح النظر ولا يؤذيه وقد أدركت ذلك العهد وأنا فى الصعيد .

﴿ **يَكادُ زَيْتُها يُضِئ** ﴾ من شدة صفائه وتلألئه .

﴿ **يُوقَدُ من شجرة مُبَاركة زَيْتُونَة لاَ شَرْقِيَة وَلاَ غَرْبِيَة** ﴾ : أى شجرتها ثابتة فى وسط الأرض المعمورة ، فيكون زيتونها أجود الزيتون ، لا فى موضع تشرق الشمس عليها فيه دائما فتحرق الشجرة ، ولا فى موضع تغيب عنها دائما فتتركها غير ناضجة .

فالله ـ تعالى ـ قد ضرب لنا المثل لقلب المؤمن بالمشكاة ، والجسد بالغرفة المظلمة ، وفى القلب قنديل يشع نوراً ، فيملأ الجسد كله .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **يُخْرِجُهم من الظُّلمات إلى النُّور** ﴾ [1] ،

---

(١) ٢٥٧ : البقرة .

ويقول سبحانه ـ وتعالى ـ : ﴿ **أَوَ مَن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناه وَجَعَلْنا له نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾ (١) ، والنور هو إيمان القلب ، فالإنسان قبل الإيمان يكون جسده كالغرفة المظلمة ، فإذا نطق بالشهادتين جاء له النور .

والزيت : هو معانى القرآن ﴿ **يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمسسهُ نارٌ** ﴾ أى : تكاد معانى القرآن تتضح ، ولو لم يفسرها مفسر .

وهذا مثل ضربه الله ليُفْهمنا ، وليس فى ابن آدم مصباح ولا زيت .. إلخ . ومن ثَمّ كان النور للمؤمن فقط ، وليس للكافر نور حتى يُسْلم .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَمَن لَّم يَجْعَلِ اللهُ له نوراً فَمَاله مِن نُور** ﴾ (٢) .

فكن على يقين من أن فى قلبك نوراً ، أخبر الله به ، وأودعه فيك ، وإنما ضرب لك المثل ، لأن الأمثال توضح الأشكال ، وتظهر المعانى .

﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَال نَضْرِبُها للناسِ** ﴾ (٣) .

فجميع الأمم الكافرة واليهود والنصارى ،وكل من لم يُسْلم على وجه الأرض : قلوبهم مغطاة ولا نور لهم ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **بَلْ قُلوبهم فِي غَمْرةٍ مِن هَذا** ﴾ (٤) ، ﴿ **لَعَمْرك إنّهم لَفِي سَكْرَتِهم يَعْمَهُونَ** ﴾ (٥) ، أى غمروا ودخلوا فى الظلمات ، ولا نور عندهم ، مثل السكران الذى يشرب فلا يعرف أباه ولا أمه ، كذلك الكفار فى سكرة دائمة ، يجهلون بها ربهم ، وعلى قدر السكر يكون الإلحاد والكفر ـ والعياذ بالله ـ تعالى ـ .

ومعنى (يعمهون) : يتحيرون ، من العمه ، وهو التردد فى الضلالة

---

(١) ١٢٢ : الأنعام .

(٢) ٤٠ : النور .

(٣) ٢١ : الحشر .

(٤) ٦٣ : المؤمنون .

(٥) ٧٢ : الحجر .

والتحير والتخبط فى السير ، والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر .

وكأن الكافر المتحير فى الضلالة مثل الحيوان الضال فى أوْدية الصحراء ، حتى يخطفه الموت ، وهو على أسوأ حال .

وإذَا المنيّة أنْشَبت أظفَارَها ألفيت كُلّ تَميمة لا تَنْفع

﴿ **نُورٌ عَلى نُور** ﴾ هو نور الإيمان إذا تنزّل عليه نور آخر ، وهو بمعنى : زيادة الهُدى على الهُدى .

فإذا صمت كان لصيامك نور يضاف إلى نورالإيمان ، وإذا صليت ، أو حججت أو سمعت القرآن اهتديت إلى الله ، وزادت خشيتك منه ـ سبحانه ـ ، فإن لكل ذلك نوراً يزيد به نور الإيمان الأصلى ، فالمؤمن دائماً فى أنوار متزايدة ﴿ **والّذين اهْتَدوْا زَادَهم هُدى** ﴾ (١) ، ﴿**ويَزيدُهم مِن فَضْله** ﴾ (٢) ، ﴿ **وَإذَا تُلِيتْ عَليهم آياتُه زادتْهم إيمَانا** ﴾ (٣) .

ثم بيّن ـ سبحانه وتعالى ـ أنّه لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، فقال ﴿**يَهْدى اللهُ لنوره من يشاء**﴾ : وهذا يشير إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلَوْلاَ فَضْلَ الله عَلَيْكُمَ ورحمته مَازَكى منْكُم مَن أحد أبداً** ﴾ (٤) ، فهو ـ سبحانه ـ الهادى لكم : جعلكم تتوضأون ، وتصلّون ، وتعبدون الله ـ عز وجل ـ ، وقد وعد من فضله كل من يؤمن به بزيادة مستمرة ﴿ **نورٌ على نورٍ** ﴾ .

وطالما أنت حيٌّ ، فأنت فى نور متزايد حتى تبلغ درجة الأولياء والصديقين ثم تقف عندها ، لأنه لا نبى بعد محمد ـ صلوات الله وتسليماته عليه .

---

(١) ١٧ : محمد .

(٢) ٢٦ : الشورى .

(٣) ٢ : الأنفال .

(٤) ٢١ : النور .

فالمجال أمامك واسع ، والسباق ساحته واسعة ، ﴿ **فاستبقُوا الخَيْرات** ﴾ [1] ، وكل مؤمن يسابق إخوانه من المؤمنين فى هذا الميدان .

فمثلا : من جاء إلى الجمعة أولاً فكأنما قدم ناقة ، ثم الذى يأتى بعده فكأنما قدم بقرة ، ثم شاة ، ثم دجاجة ، ثم بيضة .

فهناك سباق ، ومن يسبق فإنَّ له الثواب الأكبر .

وهذا التسابق فى كل أعمال الخير ، فالمؤمن دائماً فى فرار إلى الله تعالى ، قال ـ سبحانه ـ : ﴿ **فَفِروا إلى اللّه** ﴾ [2] .. نفر إلى أين ؟ . نفر من غضبه إلى رضاه ، ونحن لا نرى الرضا ولا الغضب ، فكيف نفر ؟ ، فهو ـ سبحانه ـ يرضى لطاعته ، ويغضب لمعصيته .

من صفات الله ـ تعالى ـ

قال الشيخ إبراهيم اللقانى :

وقدرة إرادة وغايرتْ أمْراً وعِلْماً والرِّضَا كما ثَبَت

الإرادة : التدبير قبل الخلق ، ﴿ **وَكُلُّ شَئٍ عِنْدَه بِمِقْدَارٍ** ﴾ [3] .

والقدرة : لها وظيفة التنفيذ ﴿ **كُنْ فَيَكُون** ﴾ [4] .

فالإرادة تدبّر ، والقدرة تنفّذ ، والعالم كله مظهر الإرادة والقدرة .

فلا يصل إليك إلا ما كان مخصصاً بإرادته ، موضحاً بأجله ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإن مِن شئٍ إلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُه وَمَا نُنَزِّلُه إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلوم** ﴾ [5] .

---

(١) ١٤٨ : البقرة .

(٢) ٥٠ : الذاريات .

(٣) ٨ : الرعد .

(٤) ٣٥ : مريم ، ٨٢ : يس .

(٥) ٢١ : الحجر .

يخطئ بعض العوام فيقولون : ربنا كتب علينا المعصية ، يريدون القَدَر ، وهذا غير مستقيم ، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يجبرك على فعل المعصية .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم المعصية قبل وقوعها ، ولا يأمر بها .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا** ﴾ (١) ، قال علماء التفسير : (لنعلم) : أى لنظهر للناس ما كان خفياً عليهم ، ﴿ **إنّ اللهَ لا يَخفَى عَلَيه شئٌ فى الأرْضِ ولا فى السماء . هُو الّذى يُصَوِّرُكم فى الأرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ (٢) ، فمعنى العلم ـ ها هنا ـ الظهور بالنسبة ـ لله تعالى ـ .

والله ـ تعالى ـ يُعَلِّمُ عبده أنه عالم بمعصيته قبل وقوعها ، ولكنه لا يجبره على فعلها . وعلم الله ـ تعالى ـ يخالف علم الملائكة ، التى تحصى الأعمال على الإنسان فعلمه ـ سبحانه ـ أزلى ، لم يسبقه جهل ، أما علم الملائكة فحادث بعد وقوع المعصية من الإنسان .

فكل ما فى الكون من مقادير تدبره الإرادة ، وتظهره القدرة .

وقدرة إرادة وغايرت أمراً وعلما والرضا كما ثبت

فالأمر مثل : أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة .

قال المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **رُفِعَ القَلَمُ عَن ثَلاث : عن النائم حتّى يَسْتيقظ ، وعن الصَّبىّ حتّى يَشِبَّ ، وعَن المَعْتُوه حتّى يَعْقِل** » رواه الترمذى وابن ماجه .

---

(١) ١٢ : الكهف .

(٢) ٥ ، ٦ : آل عمران .

فهؤلاء لا يدخلون فى الأمر بـ ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ [1] ، ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ [2] ؛ لأن الأمر لم يتعلق بهم .

أما الإنسان المكلف فإنّه مطالبٌ بتنفيذ هذا الأمر ، ولو كان نبياً ورسولاً .

والحكم الشرعى مبنى على الظاهر ، فلا يجوز لمسلم أن يترك الصلاة ظاهراً ، ثم يدّعى أنه يصلى فى الكعبة ، فالحاكم العادل يطبق عليه حكم تارك الصلاة ، ويقول له : حسابك وأجرك على الله ، أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر .

ولو شرب رجل الخمر ، وقال : إنه يراها عسلاً لوجب على الحاكم جلده ثمانين ـ حد الشرب ـ أما الباطن فحسابه عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

كما تجب الطاعة فى الأمر بالامتثال تجب الطاعة فى النهى بالامتناع ، فحين يسمع المؤمن نهى الله ـ تعالى ـ ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا** ﴾ [3] عند ذلك يجتنبه ، ولو ادعى رجل ثبتت عليه البينة أنه لم يزن ، فإن الحاكم يقيم عليه حد الزنا ، فإن كان محصنا رجم ، وإن كان غير محصن ـ جلد مائة جلدة ، وَغُرِّب عن بلده سنة ، وإن كانت بكراً جلدت مائة جلدة ، ولا تخرج من بلدها .

ولو سرق رجل ، فسئل ولِمَ سرقتَ ؟ فأجاب : قضاء وقدر ، لقيل له : لقد غابت عنك الحقيقة ، فالقضاء والقدر فى السماء ،والأمر والنهى فى الأرض ، ونحن لم نكلف بما فى السماء ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وسْعَها** ﴾ [4] ، إنما التكليف بما جاء فى القرآن من أمر ونهى .

---

(١) ٢٠ : المزمل .

(٢) ١٨٣ : البقرة .

(٣) ٣٢ : الإسراء .

(٤) ٢٨٦ : البقرة .

ثم إن هذا المدعى لم ير ما كتب فى اللوح ، إذن فهو كذَّاب ، ولو احتج بقوله ـ تعالى ـ :﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ [1] ، قيل له مثل الأول : المكتوب من الغيب ولم يكلفنا الله ـ تعالى ـ ما فى الغيب .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ عنده الرضا والغضب ، ولكنه يرضى لأسباب الرضى ويغضب لأسباب الغضب .

فلو صليت وحلفت بالله أن الله يرضى عن المصلين ما حنثت فى يمينك .

أما إن عصيته فاعلم بأنه قد غضب عليك إن لم تتبْ إليه وتستغفر من ذنبك . قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثم اهْتَدى** ﴾ [2] .

قال ابن عطاء الله السكندرى ـ رحمه الله ـ :

من وجدك فما فاته شئ ،ومن فقدك فقد فاته كل شئ ، عميت عين لم ترك عليها رقيباً ،وخسرت تجارة من لم ينل من حبك نصيباً ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل ، وأنت حسبى ونعم الوكيل .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى الحديث القدسى : « **أنا عند المنكسرة قُلوبُهم من أجلى** » .

فلو أن رجلاً غضب من زوجته وأولاده ، ثم تمالك نفسه وعفا عنهم ، وقال : يارب لأجلك كسرْتُ نفسى ، وأطفأتُ غَضَبِى ، أو لو تهجّم عليه رجل وآذاه ، فبادر إلى العفو عنه لله ـ تعالى ـ ، وخوفاً منه ـ سبحانه ـ لوجد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ معه .

وقد حدث أن شتم رجل أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وهو

---

(١) ٥١ : التوبة .

(٢) ٨٢ : طه .

ساكت ، فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال أبو بكر : إنك كنت ساكتاً لما شتمنى ، فلما تكلمتُ قمتَ ، قال : لأن الملك كان يجيب عنك ، فلما تكلمتَ ذهب الملك وجاء الشيطان ، فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان » [1] .

عن حنظلة الأسيدى قال : لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله : ما تقول !!؟ ، قال : قلت : نكون عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عافسنا [2] الأزواج والأولاد والضيعات [3] ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فو الله إنا لنلقى مثل هذا .، فانطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله : نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنّا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم : « والذى نفسى بيده إن لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة : ساعة وساعة (ثلاث مرات) » رواه مسلم .

الشيخ ابن عطاء الله السكندرى مدفون هنا فى القاهرة ، ويبنى له مسجد الآن [4] .

---

(١) رواه أبو داود ـ من حديث أبى هريرة .

(٢) عافسنا ـ عالجنا وحاولنا .

(٣) الضيعة ـ معاش الرجل من حرفة أو مال أو صناعة .

(٤) أى فى سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م وقت إلقاء الشيخ لهذا الدرس .

وكان الشيخ ابن الهمام ـ من علماء الأزهر ـ قد ذهب إلى قبره ليزوره ،وقرأ عنده من القرآن إلى أن قرأ ﴿ **فَمِنْهم شَقِيٌّ وَسَعِيد** ﴾ (١) ، فسمع صوتا من القبر ، يقول :

ما فيها شقى ياابن الهمام ، فأخذ يبكى ،وبنى له خلوة بجوار القبر ، وأوصى أهله قائلاً : ادفنونى هنا مع الذين ليس فيهم شقى .

قال ابن عطاء ـ رضى الله عنه ـ : إرادتك التجريد مع إقامة الله ـ تعالى ـ إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية .

فلو كنت ـ بإقامة الله تعالى إيّاك ـ تاجراً ، أو صانعاً ، أو زارعاً ، وتطلعت نفسك إلى التجريد ، فقالت لك : اتخذ خلوة فى الجبل ، وانقطع فيها للعبادة ، فهذا من حظوظ نفسك الشهوانية .

ثم يقول ابن عطاء : « وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إيّاك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية » .

فلو أقامك الله ـ تعالى ـ فى مقام التجرُّد للعبادة ، فتطلعت نفسك إلى الأسباب وقالت لك : تاجرْ ، أو : ازرعْ ، كان هذا من الهمة الدنية ، وانحطاطاً عن الهمة العلية .

ولو كان المسلم يعمل فى مكان يخشى من الوقوع فى المعصية فيه ، لوجب عليه أن يبحث عن عمل سواه ، ولكنّه لا يترك العمل الأول إلاّ إذا وجد عملاً يكتسب منه رزقه ويحافظ فيه على دينه .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّ الَّذين تَوَفَّاهم الملائكةُ ظَالمى أنفُسهم قالوا فِيمَ كُنْتم قَالُوا كُنَّا مستَضْعَفِين فِى الأرضِ ، قَالوا أَلَمْ تَكُن أرض اللهِ وَاسِعة فَتُهاجِرُوا فيها** ﴾ (٢) .

---

(١) ١٠٥ : هود .

(٢) ٩٧ : النساء .

تقول الملائكة للإنسان ساعة الموت : لمَ أقمت على الذنب وداومت عليه ؟ ، فيقول : كنت مستضعفاً ، فتقول الملائكة له : كذبت ، فأرض الله واسعة ، وبلاده كثيرة ، فلماذا لم تترك بلد المعصية إلى غيرها ؟ .

حكاية :

جاءنى رجل من « دُنْقلا » ، وكان يعمل فى بيت مات صاحبه ، وترك زوجة وبنتاً وولداً صغيراً ، فراودته البنت عن نفسه ، فأبى ، فهددته وتوعدته إن هو امتنع عنها ، ثم أثقلت عليه بالعمل حتى يرضخ لها ، فلما جاءنى الرجل وحكى لى ما جرى له معها قلت له : ألم تسمع قول الله ـ تعالى ـ :﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** ﴾ (١) ؟ ، قال : بلى سمعتها ، فقلت له : إذن خُذْ متاعك ، واترك هذا البيت بمن فيه ، وسلم على صاحبة المنزل ـ الأم ـ واستأذن منها ، وأخبرها بأنّك تريد أن ترى والدك ـ فى السودان ـ فعمل بالوصية وعاد إلىّ ، فاصطحبته معى لزيارة مولانا الإمام الحسين ، لندعو الله ـ تعالى ـ فى رحاب القبة الطاهرة ، ولكن الرجل جاءنى بعد فترة ، يشكو لى أنه لم يجد عملاً ، فأمرته بالذهاب إلى قبة مولانا الحسين ، والدعاء هناك ، ثم جاءَ بعد فترة قصيرة ،و قد يسر الله ـ تعالى ـ له وظيفة جديدة ، بعيدة عن المعصية ، وكان أجره عليها أكبر بكثير من الوظيفة الأولى . ثم نصحته بعد ذلك بالزواج ليعصم نفسه ، ففعل ، حيث سافر إلى دنقلا وتزوج فيها .

الشيخ حسن العدوى الحمزاوى :

بعد أن حفظ القرآن الكريم . صحبه طلبة العلم معهم من بلده إلى الأزهر ، ولم يكن معه شئ من المال ، فأصابه جوع شديد ، واشتد به الهم ، فسمع رجلاً ينادى : يا أهل الكرم ، فقال له : أين هم أهل الكرم الذين تناديهم ؟ فأخذه الرجل من يده وذهب به إلى قبة مولانا الحسين

(١) ٥٠ : الذاريات .

ليلاً ، فوجد من يقدم له خبزاً وطعاماً ، واستمر على هذا الحال إلى أن أتم دراسته وحصل على الشهادة من الأزهر .

وفجأة حدثت فتنة بين علماء الأزهر ، بعضهم قال : إن رأس مولانا الحسين هنا ـ فى مصر ـ وبعضهم قال : لا ، وكان الشيخ حسن الحمزاوى من القائلين بوجودها فى مصر فرأى مولانا الحسين فى الرؤيا ، يقول له : كيف تقول إن الموجود هنا رأس ؟ هل كنت تأخذ نصيبك من الخبز والطعام من الرأس بدون جسد ؟ فلما أصبح الصباح ، ذهب الشيخ الحمزاوى ووقف بين علماء الأزهر فى المسجد الحسينى وقال : والله ، والله ،والله : إن سيدنا الحسين هنا برأسه وجسده وروحه .

ومن يومها صار الشيخ الحمزاوى يكتب عن نفسه : خادم الأعتاب الحسينية .

ثم تفجرت العلوم اللدنية فى قلبه ، حتى صار شيخ السادة المالكية ، وكان الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى من أقرب تلاميذه إليه .

ولقد كان مشايخ الأزهر أصحاب محبة وعقيدة ، وكانت زيارة الإمام الشافعى يوم الجمعة عادة حميدة كانوا حريصين عليها باستمرار .

ويروى فى سببها أن الشيخ على الصعيدى العدوى كان يقول لتلميذه الدردير ـ رضى الله عنهما ـ : يقولون إنك ترى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كثيراً ، فإذا رأيته فاسأله عن حالى ، ففعل ، فرأى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول له : إنه رجل صالح غير أن به جفوة ، فلما سمع الشيخ الصعيدى ذلك الكلام بكى كثيراً ، فسأله تلميذه الدردير : ما يبكيك ؟ قال : يعاتبنى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على تقصيرى فى زيارته ، وقد تقدمت بى السن ، ولا أستطيع تحمل مشقة السفر ، فإذا رأيته مرة أخرى فأخبره بذلك ، ففعل ، فرأى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول له : قل له ـ أى للشيخ

الصعيدى ـ أنا عند الإمام الشافعى كل يوم جمعة ، من بعد صلاة العصر إلى الفجر ، فليأتنى هناك ، فذهب الشيخ على الصعيدى العدوى إلى علماء الأزهر وأخبرهم بذلك ، وأصبحت عادة عندهم أن يزوروا الإمام الشافعى كل يوم جمعة ، فوج يتبعه فوج ، من العصر إلى الفجر ، فى ذلك العصر الزاهر ، وقت أن كان العلماء علماء ، والطلبة طلبة حقاً .

وحكى الشيخ حبيب الله الشنقيطىُّ ، قال : رأيت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى النوم ، فقلت له : يا أمير المؤمنين أنت موجود ، والحال هكذا ، فقال لى بصوت عال ـ فيه أثر الغضب ـ : دعك من أصحاب هذا الزمن ، فإن الله ـ تعالى ـ لا يعبأ بهم ، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟!، ماذا أفعل ؟ .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

: « **الصَّلواتُ الخَمس والجُمُعةُ إلى الجمعة ورَمَضانُ إلى رمضانَ مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائرُ** » (١) .

وكأن الله ـ تعالى ـ قد جعل للمسلم أنهاراً يغتسل فيها من ذنوبه ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذه الأنهار هى : الوضوء والصلوات الخمس والجمعة ورمضان ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

: « **أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحَدكم يغتسلُ فيه كلّ يوم خَمسَ مرات ، هل يَبْقى مِن دَرَنه شيءٌ ؟ قالوا : لا يَبْقى من دَرَنه شيءٌ ، قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » (٢) .

فكما يغسل الحمام العرق والغبار ، تغسل الصلوات الخمس الذنوب ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

وكما أن هناك درناً لا ينظف إلا بالماء الساخن ، كذلك هناك ذنوب لا تمحى إلا بصلاة الجمعة ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيماناً واحْتساباً غُفِر لَه مَا تَقدم مِنْ ذَنْبه** » (١) .

قال الشيخ السمالوطى : اطلعت على رواية صحيحة ، فيها « **ما تقدم من ذنبه وَمَا تأخَّر** » (٢) .

والذى وفّقه الله ـ تعالى ـ للحج ، ووقف على جبل عرفات ، فإنّه ينزل متطهراً من الذنوب كيوم ولدته أمّه ،ومن لم يحج ، وحرم هذا الموقف لا ينال هذا الشرف العظيم .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **فَلا أقتَحَم العَقَبَةَ وَمَا أدْرَاك مَا العَقَبَة فَكُّ رَقَبَة أوْ إطْعَامٌ فِى يَوْم ذِى مَسْغَبَة يَتيما ذَا مَقْربة أوْ مِسكِيناً ذَا مَتْربة** ﴾ (٣) .

يخبرنا الله ـ تعالى ـ أن ابن آدم أمامه عقبة لم يتجاوزها الكافر ، ولكن ظل أمامها حتى هلك بها ، ثم بين الله ـ تعالى ـ لنا ما هى العقبة ، وكيفية النجاة منها : عتق رقبة مملوكة لوجه الله ـ تعالى ـ ، وهذا هو (فك رقبة) ، أو إطعام إنسان جائع وهو أحد رجلين : إما يتيم قريب ، فأنت بإطعامه تنال ثوابين : ثواب إطعام الجائع ، وثواب صلة الرحم ، وهذا معنى (يتيما ذا مقربة) .

وإما أن يكون الجائع مسكيناً لا يملك إلا التراب (أو مسكينا ذا متربة) . فهذه الأعمال الصالحة هى التى تعين الإنسان على اقتحام العقبة يوم القيامة .

حكاية :

كان هناك رجل من أهل « دنقلا » وكان يعمل ضابطاً ثم أحيل إلى

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الخطيب البغدادى فى التاريخ .

(٣) ١١ ـ ١٦ : البلد .

المعاش ، ولما أقبل شهر رمضان أحضر طعاماً فاخراً وحلوى طيّبة ، وقال لزوجته : إن الوزير سوف يفطر عندنا ، فأخذت المرأة فى إعداد الطعام وتجهيزه بهمة واعتناء ، وتفننت فى أنواعه ، ولكن الرجل كان يقصد شيئاً آخر ، فقد ذهب ودعا جميع مساكين البلد ، وجلس هو وزوجته فى انتظار الضيوف ! وبدأت الوفود تصل إلى الدار ، فرأت زوجته ما أدهشها وأذهلها ! ، لقد كانت تمنى النفس وتفاخر جاراتها بأن الوزير سيفطر عندهم ، ولكنها ترى وفود الشحّاذين بثيابهم البالية تتوافد على بيتها ، فهرولت إلى زوجها وقد ظنّت أن به مساً من الجنون قد ألمّ به ، فوجدته مشغولاً بإكرام ضيوفه وخدمتهم بجدٍ واهتمام ! .

ولم يتركهم حتى شبعوا وانصرفوا مسرورين ، عند ذلك التفتَ إليها فوجدها حزينة لا تأكل ، فقال لها : كم فعلنا فى حياتنا السابقة من معاص ؟ هل تذكرين أننا أطعمنا يوماً فقيراً أو مسكيناً ؟ ، لقد أحببت أن أفعلَ خيراً لى ولك فى آخر عمرنا ، أيغضبك هذا ؟ ، هؤلاء الفقراء محرومون لا يذوقون هذه الأطعمة الشهية ، وأنا ما صنعت هذا إلا من أجل أن يكرمنى الله وإيّاك ، فأنا قد اشتريت بمالى ، وأنت قد أعددت الطعام بجهدك ، عندئذ اهتدت المرأة ورقّ قلبها إلى فعل الخير ، وإلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أو إطعامٌ فِى يومٍ ذِى مَسْغبة ، يَتِيماً ذَا مَقْربَة أو مِسكِيناً ذَا مَتْربة** ﴾ .

الشيخ العدوى الحمزاوى :ـ

دخل عليه طالب علم يشكو إليه الجوع ، ولم يكن عند الشيخ سوى سجّادة يضعها على الحصير ليجلس عليها ، فأعطاه السّجّادة ، وقال له : بعها ، واشتر بثمنها ما تحتاجه من طعام .

والشيخ الأمير :ـ

كان قد اشترى جَرْد صوف كبير ليلبسه ، فلم يعرف طريقة لبسه ،

فأرسل إلى أحد الطلاب كان عنده مثله ليعلمه كيف يلبسه ، فلما لبسه الطالب قال له الشيخ : لا تخلعه هو لك ! .

والشيخ سليم البشرى :-

اشترى قفطاناً جديداً ، فجاءه عالم ليزوره ، فأدرك الشيخ أن ذلك الرجل ليس عنده ثياب جديدة يرتديها فى العيد ، فأعطاه قفطانه الجديد ، ومعه جبة وعمامة ، فتمنع الرجل ، وقال له : هذا قفطانك يا مولانا كيف آخذه منك وأنت لم تلبسه ؟! ، فأبى الشيخ سليم البشرى إلا أن يعطيه له ، وقال لأولاده : لو كان هذا القفطان من نصيبى أنا ما حضر هذا الرجل فى مثل هذه الساعة ، إنما هو له ! .

وكانت عند الشيخ سليم البشرى طلمبة مياه فى بيته ، فجاء رجل ليشرب منها ، فنادى الشيخ وأمر له بطعام ولحم ، فقال الرجل : لا أريد طعاماً ، بل أريد مالاً ! ، وكان يجلس عند الشيخ سليم ، الشيخ السمالوطى - وكان عديله - فغضب من رفض الرجل للطعام ، ولكن الشيخ سليم - رضى الله عنه - قال له : يا محمد : أترضى أن يقال إن سائلاً وقف بباب شيخ الأزهر فطرده ؟! ، ثم أعطى الرجل مالاً ، وأطعمه الطعام ، وهو يقول له :كل ، فهذا بيت شيخ الأزهر ! .

ثم جاء له جماعة من أهل السودان فرحب بهم ، قائلاً : أهلاً وسهلاً يا أهل السودان الطيّبين ، ثم أفطروا معه بعد المغرب ، وسمعوا معه القرآن إلى أن تسحروا قبيل الفجر وهكذا كان رجال الأزهر وعلماؤه :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... وبقى الذين حياتهم لا تنفع

أما الخيام فإنها كخيامهم ... لكنْ نساء الحى غير نسائهم

الدرس الرابع

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وهل أتاك نبـؤا الخصم إذ تـسوروا المحـراب . إذ دخلوا على داود ففزع منهم قـالوا لا تخف خصمان بغى بعـضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ﴾ [1] .

صدق الله العظيم

سيدنا داود ـ عليه وعلى نبينا السلام ـ كان له يوم يـتعبد فيه بالخشوع والإخلاص وكـان فى ذلك اليوم يأمـر بقفل الأبواب ، فلا يـدخل عليه أحـد ، وكـان هناك رجـلان من البـادية ،وكان أحـدهمـا يمتلك تسـعـاً وتسعين نعجـة ، وكان يضعها فى حـظيرة لتحميـها من عدوان الذئب ، وإذا أردنا معرفـة الحظيرة ، فلنرجع إلى القرآن الكريم ، والله ـ سـبحانه وتعالى ـ قد وصف قوم صالح ـ عليه السلام ـ حينما أهلكهم بالصيحة بقوله : (فكانوا كهشيم المحتظر) [2] .

والمحـتظر هو صاحب الحظيـرة الذى يصنعـها من الشـجر المنتـصب كالأشواك ، فالهشيم هو الشوك الصغير الذى تكسر بعد سير الغنم عليه ، فأصـبح ناعماً متـهشماً ، فـالله ـ تعالى ـ قد شـبه أجسامـهم المحطمة ، بالهشيم الذى داسته الغنم فأصبح كالدقيق .

فهذا الرجل كانت عنده حظيرة لها باب ، وبها تسع وتسعون نعجة ، وكان جاره فقيـراً له نعجة واحدة فأراد أن يجعل لنعجتـه حظيرة ، فقال له جاره : لماذا تـكلف نفسك بصنع حظيـرة لنعجـة واحدة ، اتركـها مع

---

(١) ٢١ ، ٢٢ ص .

(٢) ٣١ : القمر .

نعاجى تأكل وتشرب ، فأبى الرجل ولكن الجار الغنى أصرّ على طلبه ، فلما اشتد الخلاف بينهما قالا : نحتكم إلى نبى الله داود ـ عليه السلام ـ .

أما تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة** ﴾ فالله ـ تعالى ـ إذا أوحى إلى نبى وحياً يعمل به فى نفسه فهو نبى ، وإذا أمره أن يعلم الناس به فهو رسول ، وإذا أمره أن يحكم بين الناس فهو خليفة ، فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان نبياً ورسولاً وخليفة .

جاء الرجلان ـ المختصمان ـ إلى داود ، وصادف مجيئهم يوم عبادته الذى كان لا يدخل عليه أحد فيه ، فتراودا قائلين : لو بتنا مكاننا فهذا خطر على نعاجنا ولا نستطيع العودة ، فاحتالا حتى تسلقا السور ، ونزلا داخل البيت ، وكان داود ـ عليه السلام ـ مستغرقاً فى عبادته وخشوعه لله ـ تعالى ـ ، فلما دخلوا عليه فزع ـ أى خاف ووجل ـ لأنهم قطعوه عن لذة العبادة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لطريقة دخولهم عليه ، لأنه أغلق أبواب البيت ، ووضع عليه الحراس ، فكيف يدخل عليه هذان الرجلان ، فظن أنهما من أعدائه .

فلما رأيا منه ذلك (قالوا لا تخف) : لسنا أعداء ، وإنما نحن خصمان من رعيتك (خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق) .

فتكلم المدعى صاحب النعجة قائلاً : (إن هذا أخى) فى الله أو شقيق ـ الله أعلم (له تسع وتسعون نعجة) يملكها ، وقد صنع لها حظيرة ، (ولى نعجة واحدة) أردت عمل حظيرة لها ، (فقال) لى : (أكفلنيها) أى : اجعلنى أربيها لك ، وأصبح شريكاً معك فيها (وعزّنى) غلبنى ، (فى الخطاب) : فى الكلام ، ثم سكت الرجل ، ولكن أساس الحكم يقتضى أنه إذا دخل على الحاكم خصمان ، فلابد أن يسمع من المدعى ، ثم من المدعى عليه ، فإذا أصدر الحكم بعد سماع كلام المدعى ـ وحده ـ فإن الحكم يكون ناقصاً .

ولأن داود ـ عليه السلام ـ كان لا يريد أن يصرفه أحد عن لذة العبادة وحلاوتها أراد أن ينتهى من هذه القضية بسرعة ليعود إلى عبادته ، فقام بالحكم للمدعى قبل سماع المدعى عليه ، وهذا هو الخطأ الذى وقع فيه (وظن داود أنما فتناه) فهذه هى الفتنة التى خرَّ بسببها راكعاً خاشعاً لله ، فأخبر الرجل : بأن صاحبك ظالم ، لأنه أراد أن يكون شريكاً معك فيما تملك ، فهو قد (ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) ، ونقلك من حرية التملك إلى قيد الشركة ، فكان من رأى داود ـ عليه السلام ـ أن كثيراً من الشركاء يبغى بعضهم على بعض ، فإن الشركة تؤدى ـ غالباً ـ إلى ظلم أحد الشريكيْن .

وبعد أن انصرف الرجلان تذكر داود ـ عليه السلام ـ أن الحكم ناقص ، فركع خشوعاً لله ـ تعالى ـ .

(وظن داود أنما فتناه) أى اختبرناه وامتحناه ، (فاستغفر ربه وخَرَّ راكعاً وأناب) لله ـ تعالى ـ ، لأنه كان فى عبادة ولذة روحانية ، وكان يريد أن يستمر فى عبادته ولا ينشغل ، فأراد الله ـ تعالى ـ أن يمتحنه ، وأن يبين له أنه جعله حاكما ، فيجب عليه أداء حق الرعية ، كما يؤدى حق ربه ، وهذا معنى (فتناه) .

وكان عليه ألا يغلب وقت العبادة على وقت الحكم ، فهذا يسميه العلماء خلاف الأولى ، أى يجب أن تتم الحكم ثم تتعبد .

هذه هى قصة داود ـ عليه السلام ـ مع الخصميْن ، وما خالف ذلك فليس بصحيح ، وما ذكر من التفسير الذى يجعل داود ـ عليه السلام ـ مذنباً مخطئاً فليس بصحيح ، وإنما هى إسرائيليات مدسوسة ، وما ذكرناه هو الكلام الطيب الصحيح .. الصوفى الكبير السيد عبد العزيز الدباغ صاحب كتاب الإبريز ، وقد زرت قبره ـ ذكر هذا الحكم [illegible]

من أهل الحقيقة والكشف والصلاح ، وقد قال هذا الكلام ، ونقله عنه العلماء ،ويجب علينا أن ننزه الأنبياء عن الذنوب ـ صغيرها وكبيرها .

عصمة الأنبياء :

قال العلماء : الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها وقيل : هم معصومون بعد النبوة لا قبلها ، فعلى هذا القول إذا نظرنا إلى القول بأن إخوة يوسف كانوا أنبياء ، فإنهم قبل نبوتهم كانوا غير معصومين ففعلوا ما فعلوا ، وعندما أصبحوا أنبياء تابوا إلى ربهم .

أما الرسل فإنهم معصومون قبل النبوة وبعدها ، أما الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فمعصوم قبل النبوة وبعدها من كل شئ يشين .

ومن أراد التفسير فعليه بتفسير الشيخ الصاوى فى أربعة أجزاء ، وتفسير الحافظ ابن كثير .

أما ما ذكر من أن داود ـ عليه السلام ـ كانت عنده تسع وتسعون زوجة وكانت عند جاره زوجة .. إلخ القصة ، فإن ذلك من الإسرائيليات .

خطبة امرأة :

أما الذى تزوج تسعاً وتسعين امرأة فهو يزيد بن معاوية ، فقد كان يشتهى النساء وكانت هناك امرأة تسمى أُرَيْنب ، وكانت متزوجة ، فرغب فيها يزيد ، فأغرى زوجها حتى طلقها ، ثم أرسل إليها أبا الدرداء ليخطبها له ، ولكن أبا الدرداء لقى سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى طريقه ، فقص عليه قصة تلك المرأة ، فقال له : اخطبها لى ، فلما لقيها أبو الدرداء عرض عليها الأمر فاستشارته فقال لها : كيف أصف الحسين وقد رأيت شفتى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على

شفتيه يقبلهما ، فاختارت أرينب سيدنا الحسين زوجاً لها على الصداق الذى أرسله مع أبى الدرداء ، ثم إنَّ زوجها الأول ندم على طلاقها وأراد الرجوع إليها ، فذهب إلى مولانا الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، فقال له : ماتزوجتها إلا لأخلصها لك من يزيد وطمعه ، ثم طلقها الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، وعادت المرأة ـ بعد العدة ـ إلى زوجها الأول .

فلابد للحاكم أن يسمع للمدعى والمدعى عليه ثم يصدر حكمه بعد ذلك .

قضية بين نبيين :

﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث** ﴾ [1] المعنى : يحكمان فى الزرع ، فإن رجلاً زرع زرعاً أو عنباً ، فجاءت غنم رجل آخر ، فأكلت الزرع ، فاختصما إلى داود ـ عليه السلام ـ ، فحكم بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم عوضاً له عن زرعه الذى تلف ، فرجع الرجلان من عنده فلقيا سليمان ـ عليه السلام ـ فأخبراه بقصتهما وبحكم داود ـ عليه السلام ـ فحكم بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، فينتفع بألبانها وصوفها ، ويأخذ صاحب الغنم الزرع ، ليقوم عليه ويرعاه ، حتى إذا عاد الزرع إلى حاله التى أصابته الغنم فى السنة المقبلة رد كل واحد منهماماله إلى صاحبه .

وبهذا نرى أن حكم سليمان قد نسخ حكم داود ـ عليهما السلام ـ ، وليس معنى هذا أن حكم داود كان خطأ ،ولكنه يسمى عند العلماء بالحكم الأصلى ، أما حكم سليمان فيسمى : الحكم بالصلح ، وهذا موجود فى شريعة الإسلام ، ولهذا قال العلماء : إن داود ـ عليه السلام ـ لم يخطئ حين أصدر حكمه بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم .

---

(١) ٧٨ : الأنبياء .

فى الشفاعة :

الطفل يشفع لأبويه المؤمنين يوم القيامة ، وكل ما أصاب الإنسان يشفع له ، حتى الشوكة يشاكها ، كما جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكنت يوماً ذاهباً لزيارة الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى يوم جمعة ، فجاء رجل يمدح النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فمر به أحد العلماء فقال له : اسكت ، فتغيرت لذلك ، وقلت له : لماذا تمنعه وأنت تذهب لزيارة الإمام الشافعى ؟ ألست من أصحاب محمد عبده ؟ إن الشيخ محمد عبده لم يزر الإمام الشافعى ، فما حكايتك ؟

فقال الرجل : وأنا لم أزر من قبل ،ولكن ابنتى الصغيرة ماتت ، وكنت أحبها فرأيت فى المنام أنى دخلت الجنة ،وكنت أجلس فى أرض خضراء ، فجاءت ابنتى تجرى ، فجلست بجانبى ، ثم قالت لى : يا أبى : زر الإمام الشافعى ! ، فمن أجل ذلك أتيت إلى هنا ! .

ثم قال لى الرجل : أنا عارف وابن عارف ، وابن عارفة ، (أى من العارفين) ومن علماء الأزهر الشريف ،وجدى ـ العارف الكبير ـ لما حضرته الوفاة قال لوالدى : إذا اشتد عليكم الأمر فزوروا الإمام الشافعى ،ولما حملت أمى بى ، وأرادت الوضع ، لم يكن فى البيت قرش واحد ، فتذكر والدى كلام جدى ، وذهب ليزور الإمام الشافعى ، فجاءه رجل تركى ، وقال له : أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم ، فقال له : إذن خذ هذا الجنيه من أجلى ومن أجل الإمام الشافعى ، فاشترى والدى ما يلزم من أرز ودقيق وسمن وحمله إلى البيت .

فقلت له : أتترك كل هذا وتتبع محمد عبده ، ولا تزور الإمام الشافعى ؟ إن التوحيد فى القلب ،وليس كالريشة فى مهب الريح ،

وسيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد زار البقيع فى منتصف الليل ، وأكبر أولياء الله فى الأرض هم أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

قال ابن الحاج صاحب المدخل ـ وهو من أكابر علماء المالكية : ـ

إن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما زار البقيع رفع يديه إلى السماء ، وقال : « **أسأل الله لى ولكم العافية** » ، فلماذا دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى المقابر ؟ لأنها مكان رحمة ، وهى مدفن الصحابة الذين هم فى الجنة بوعد الله ـ تعالى ـ لهم . وإذا كان المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد زار أهل البقيع ، فنحن نزور الإمام الشافعى ،وعندما ندعو هناك فإننا نفعل السنة ، فإذا اعترفت بذلك فأنت سنّى .

وقد ثبت أن المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يزور قبر عمه ـ حمزة بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ فى جبل أحد ، ومن قال غير ذلك افترى على الله كذباً وأعظم عليه الفرية .

وقد وقف أحد المالكية ـ واسمه أبو الحكم ـ بيتاً على خدمة الإمام الشافعى ، فلما انتقل الإمام الشافعى إلى رحمة الله ـ تعالى ـ دفن فى هذا البيت وبنى المسجد بجواره سبحان الله ! نحمدك يارب على العلم ، ونعوذ بك من الجهل ومن الجهلاء .

السيدة زينب ـ رضى الله تعالى عنها ـ :

هى مدفونة فى قبتها ، والمسجد منفصل عنها ، فكيف تقول : لا نصلى فى هذا المسجد وتقول : نهى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الصلاة فى المقابر ؟ ، وهل هذه مقبرة أيها الجهول ؟ ، وهل كل من

يطلق ذقنه يصبح سنياً ؟ ، وهل كل من ألف كتاباً يصبح عالماً ؟ العلماء اليوم متخفون ، فابحث بينهم عمن لا يبتغى الشهرة ، ودعك من جهلك ولا تحكم به فيصبح جهلك مركباً ..

قال حمار الحكيم توما[1] لو أنصف الدهر كنت أركب !

لأننى جاهل بسيط وصاحبى جاهل مركب !

الصلاة فى المقابر :

المقبرة تراب ،والأرض تراب ،والأرض طاهرة ، فلماذا نهى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الصلاة فى المقبرة ، وهى أرض طاهرة ؟

العلماء يجيبون : هى طاهرة فعلاً ،ولكنها تنجست بدماء الأموات ، فالتراب قد اختلط فى المقابر بدم الأموات فتنجس ، فعلَّة النهى هى النجاسة ، وهذه حرمة عارضة ، ليست أصلية ، لأن الأصل فى الأرض الطهارة ، فإذا ذهبت العلة فقد ذهبت الحرمة ، فلو فرشنا حصيراً أو سجادة لم تكن هناك نجاسة ، وجاز لنا أن نصلى .

صلاة الجنازة لا ركوع فيها ولا سجود ، فإن كانت فى المقابر نجاسة ، فلا تجوز الصلاة ، لأن المصلى على الجنازة لابد وأن يقف على أرض طاهرة ، ولو كانت الأرض ساخنة لا يطيق المصلى أن يقف عليها ، فإنه يخلع نعله ويقف عليه إن كان طاهراً من أعلاه ومن داخله .

أما الصلاة على الجنازة فى المسجد فإن المالكية يكرهونها لئلا يخرج من الميت قذر فيتنجس المسجد من ذلك ويتلوث فرشه .

وقد رأيت ذلك بعينى ، حينما دخلت أحد المساجد ، فرأيتهم يصلون على جنازة رجل قد أجريت له عملية جراحية ، فخرج منه دم فتنجس فرش المسجد ، فسمعت الناس يقولون : رضى الله عنك يا مالك ،

---

(١) رجل يسمى توما الحكيم وليس بحكيم بل هو جاهل وأحمق .

حينما كرهت صلاة الجنازة فى المسجد ، أما الشافعية فقد أجازوا صلاة الجنازة فى المسجد من غير كراهة .

س : لماذا كان الدم نجساً ؟

جـ - لأن الله - تعالى - يقول : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً** ﴾ [1] الآية ، فالدم المسفوح : هو الذى يسيل من البهيمة إذا ذبحت ، وهو نجس ،وكذلك ما تبقى على الرقبة من دم الذبح فيجب غسله ، أما الدم الذى يبقى فى عروق البهيمة بعيداً عن محل الذبح فإنه طاهر ،وكذلك الدم الذى يسيل من جسد الإنسان إذا جرح فهو نجس ، فأنت أيها الإنسان طاهر مادمت صحيح الجسد ، فإذا جرحت أصبحت متنجساً لا نجساً !! .

ويعفى عما يصيب ثوب المصلى أو بدنه أو مكانه من دمه أو دم غيره ، آدمياً كان أو غيره ، ولو خنزيراً ، إذا كانت مساحته لاتزيد عن مقدار الدرهم البغلى - وهو الدائرة السوداء التى تكون فى ذراع البغل - ومثل الدم فى ذلك الحكم : القيح والصديد .

حقيقة التوسل :

إذا جاء رجل وطلب من ولى الله شيئاً ، فإن السائل متوسل والولى طالب ، والنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **إنما أنا قاسم والله - عز وجل - يعطى** » [2] .

فالعطاء من الله - تعالى - القادر على كل شئ .

فمثلا عندما يقول أحدهم للولى : أريد جلباباً ، فإن الله - تعالى - يسخر له من يعطيه ذلك الجلباب .

---

(١) ١٤٥ : الأنعام .

(٢) رواه البخارى .

حكاية :

دخل رجل على الشيخ ـ عبد العزيز السنهورى ـ رحمه الله ـ وكان يتكلم عن الولى الميت ، فقال له الرجل : العيد قادم ، وأحتاج إلى دقيق وكذا وكذا ولم يغادر الرجل مكانه حتى جاء أحد أغنياء الصعيد ، وكان من الأولياء أيضاً ،والأولياء يعرف بعضهم بعضاً ،ولما هم السائل بأن يخرج من المسجد ناداه الإمام وقال له : خذ هذه النقود واشتر دقيقاً وسمناً ـ إلخ ، فتعجب السائل الفقير ولم يصدق أن هذا الخير له ، فقال له الغنى : ـ ألم تطلب كذا وكذا من الشيخ ؟ إن الشيخ قد أخبرنى بما تريده منه فأحضرته لك .

فينبغى ألا ننكر الأسباب ـ والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول :﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ (١) .

قال الشيخ أبو البركات الدردير : ـ

واعلم بأن التأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا

وقد رأى أحدهم رجلاً يدعو قائلاً : ـ اللهم هب لى من لدنك ذرية طيبة ، فقال له : أمتزوج أنت ؟ قال : لا ! ، فقال له : إن الله ـ تعالى ـ لا يحب المعتدين ، فابتغ إليه الوسيلة أولاً ـ أى الزواج ـ ثم ادع الله ـ تعالى ـ أن يرزقك منها ذرية طيبة .

وقال ـ تعالى ـ :﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ (٢) ، وقال ـ سبحانه ـ :﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ (٣) ، فإذا استعنت بالله فلتكن استعانتك به وأنت تؤمن بأنه الله الواحد ، لا شريك له ، وإذا استعنت بالعبد ، فاستعن به على أنه عبد لله ليس إلا .

---

(١) ٣٥ : المائدة .

(٢) ٥ : الفاتحة .

(٣) ٢ : المائدة .

والولى الميت فى ذلك مثل الولى الحى ، فالعقيدة فى من ؟ فى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والأسباب لا تنكر ، والعارفون إذا زاروا أولياء الله الصالحين لا يفكّرون إلا فى الله ـ تعالى ـ وحده ، تجد الواحد منهم يزور ويسلم وينسى الدنيا وما فيها ويتذكر الآخرة فقط .

كرامة :

زرت سيدنا الحسين مرة ، وكان علَّى دين فدخلت المقام وأنا مهموم ، فجاء إلىَّ فى المنام غاضباً ، وقال : لقد زرتنى بالأمس وفى نفسك شئ ، فكيف تفكر فى الدنيا وأنت عندى ؟ ، لا تفكر إلا فى الآخرة حيث الجنة أو النار ، أما أقوال العوام فلا يعتد بها ، وينطبق عليها قولى فى روضة القلوب والأرواح :

وأقوال العوام تعد لغواً ولا حكم لجهل الجاهلينا

وهذا هو الحق ، وما عداه هو الباطل .

دليل الصوفية على الخلوة :

لقد أخذ الصوفية الخلوة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الحديث الذى رواه البخارى عن تعبد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى غار حراء فمن هذا الحديث عرف الصوفية الخلوة ، وعملوا بها .

السؤال والاستعانة :

ماذا نقول فى قول المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « وإذا سألت فاسأل الله » ؟ كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخاطب ابن عباس رضى الله عنهما ، وكان صغيراً ، والمعنى : إذا سألت فلا تسأل صنماً ولا وثناً على أنه إله ، ولكن سل الله ـ تعالى ـ على أنه الله ، وسل العبيد على أنهم عبيد .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ [1] : للسائل الذى يسألهم ، فمعنى الحديث ـ إذن ـ لا تسأل أحداً على أنه إله ، ولكن سله على أنه عبد من عباد الله ، فقد روى الإمام مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال : « جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال : إنى أُبْدِعَ بى « **أى هلكت دابتى التى أركبها فاحملنى ، فقال : ما عندى ، فقال رجل يا رسول الله : أنا أدله على من يحمله ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من دل على خير فله مثل أجر فاعله** » .

الإنسان مسير أم مخير ؟

القضاء والقدر فى السماء ، مغيب عنا ، وقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **قل ما كنت بدعاً من الرسل** ﴾ على سبيل الأمر والخطاب للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ﴿ **وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم** ﴾ [2] .

فالإنسان مخير ومسير ،والله ـ تعالى ـ قد أمر العباد ونهاهم ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ [3] فهل يقدر الإنسان أن يبعد نفسه عن الزنا أم لا ؟ إنه يقدر ، إذن فهو مخيرٌ ولكن إذا قدرَ الله ـ تعالى ـ للعبد أن يسرق بغير أن يدرى فإن العبد يكون مسيراً ، ولذلك فقد رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ويرى الحق حقاً .

وما دام هناك اختيار فالإنسان مخير ،ولكنه مخير فى الظاهر ، لأنه يحاسب فى الدنيا والآخرة .

---

(١) ٢٤ ، ٢٥ المعارج .

(٢) ٩ : الأحقاف .

(٣) ٣٢ : الإسراء .

إطالة الشعر للرجل :-

المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - كان لا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، وكان يضع فوقه القلنسوة ، وفوقها العمامة :

له شعر أسود وجبين يزول منه الظلام .

أما أولئك النفر من الناس الذين يبالغون فى إطالة شعورهم ، فمن يسميهم خنافس ، فإنه يكون منصفاً ،وهى تسمية ليست هباء ، فإن الخنفساء هى أحقر حشرة ، وشكلها منفر ،و هى تخدم العقرب التى تركب فوق ظهرها .

ولقد كان عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - مستنداً إلى الكعبة ، فرأى امرأة تطوف فى ملابس الرجال ، فاعتدل ثم قال : سمعت النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال** »[1] .

ولقد انعكست الأمور الآن ، فالمرأة تقص شعرها ،وتلبس البدلة والبيجامة وبعض الرجال يريدون التحول إلى النساء ،والعكس !! .

الرضاع المحرم :

عند الشافعية : خمس رضعات مشبعات فى زمن الرضاع - أى فى السنتين الأوليين ، - وعند المالكية : قليل الرضاع وكثيره يحرّم ولو مصه واحدة فى سنتى الرضاع ما لم يفطم ويستغن بالطعام استغناء بيّناً بحيث لا يغنيه اللبن عن الطعام ولو فى السنتين . ويثبت الرضاع بإقرار أو بشهادة رجلين مسلمين عدلين ،وبرجل وامرأة ، وبامرأتين .

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

الشهادة :ـ

روى عن ابن عباس أنه قال : « **سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الشهادة قال : هل ترى الشمس ؟ قال نعم قال : على مثلها فاشهد أودع** » [1] فالشهادة لا تكون بالظن ،ولكن عندما يكون الأمر واضحاً ، فعلى الشاهد ألا يشهد شهادة مبنية على ظن أوشك .

(١) رواه الخلال فى الجامع بإسناده .

الدرس الخامس

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يسأله من فى السموات والأرض كلّ يومٍ هو فى شأن . فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ [1] .

هذا هو كلام الله الذى عرفناه وآمنا به ، وبأنه ليس كمثله شئ ، وأنه ليس كمثله كلام ، فلا يمكن لعقولنا أن تتصوره ..

يقول بعض الناس : إن الله خلق النبى محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من نوره ، وهذا باطل ، والحق أن الله ـ تعالى ـ خلق نوراً بقوله ـ تعالى ـ (كن) ثم خلق سيدنا محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من هذا النور ،وهذا ليس ببعيد ، أما البعيد فهو أن يقال : إن الله ـ تعالى ـ خلق من نوره شيئاً ، لأن الله ـ سبحانه ـ لا يخرج منه شئ ، ولا يدخل فى ذاته ـ تعالى ـ شئ ، فالعالم كله مخلوق لله ـ تعالى ـ بقوله (كن) .

حكاية :

دخل قسيس على أحد الخلفاء العباسيين ، وبجواره أحد العلماء ، وقال : القرآن يشهد على أن عيسى ابن الله ،والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ عن المسيح :﴿ **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ [2] فالتفت الخليفة إلى العالم وقال له : عليك الإجابة ، فقال العالم للقسيس يقول الله ـ تعالى ـ :﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه** ﴾ [3] ثم قال له : وإذا أعطيتنى ديناراً وقلت لى : هذا منى ، فهل هو

---

(١) ٢٩ ، ٣٠ : الرحمن .

(٢) ١٧١ : النساء .

(٣) ١٣ : الجاثية .

من جلدك وعظمك ولحمك ؟ قال : لا ، بل من عندى : أى مما أملكه ـ فقال العالم : وكذلك الروح .

وهكذا كل ما سوى الله ـ تعالى ـ خلقه ـ سبحانه ـ بقوله ﴿ كن ﴾ .

ونحن نؤمن بأن الأرواح مخلوقة لله ، ولكن لا نعلم من أى شئ خلقت ، ولكن نؤمن بأنها خلقت بعلم الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى** ﴾ (١) .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ** ﴾ : أى مخلوقاته التى هى أثر اسمه ـ تعالى ـ ﴿ **الخَالق** ﴾ ، وليس المعنى أن ذاته ـ تعالى ـ هى التى تكون كل يوم فى شأن ، لأن ذاته ـ تعالى ـ قديمة ، وصفاته ـ سبحانه ـ قديمة .

والظرفية تستحيل عليه ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ لأن الظروف والأحوال تقع على المخلوقات فقط ، وتستحيل على الخالق .

فمن يعتقد أن ذات الله ـ تعالى ـ كل يوم فى شأن فقد كفر ، لأن ذلك من صفات الحوادث ، فالمخلوقات هى التى تدور عليها الأحوال المختلفة .

فهذا العالم كله آثار لعظمة الله ـ تعالى ـ وجبروته ، فهم جميعاً . عباد الله ـ تعالى ـ ، ولا يستطيعون تنفيذ أى شئ إلا أن يريد الله ـ تعالى ـ قال ـ سبحانه ـ : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَئ** ﴾ (٢) .

مناجاة وذكر :

جمالك فى عينى ... وذكرك فى فمى

وحبك فى قلبى ... فأين تغيب

---

(١) ٨٥ : الإسراء .

(٢) ١٢٨ : آل عمران .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (١) .

فائدة فى الدعاء :

يروى أن الإمام علياً ـ رضى الله عنه وكرم الله تعالى وجهه ـ قال : قال أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وصدق أبو بكر : «إذا أذنب أحدكم فليتوضأ ثم ليصل ركعتين ، ثم ليدعو » . قال ـ تعالى ـ : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾ (٢) .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُم أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً** ﴾ (٣) ، لأن الإنسان الذى يحب أباه يذكره بالقلب واللسان ، فمعنى ﴿ **أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً** ﴾ : أو أعلى حباً ، وأكثر شكراً . فقد علمنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ كيف نذكره ، وكيف نحبه ، وكيف نشكره ، وأعظم نعمة يغفل عنها الإنسان أن الله ـ تعالى ـ قد عرفنا به وجعلنا مؤمنين به ـ تعالى ـ .

قال الشيخ على وفا ـ رضى الله عنه ـ :

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

أمسيت فى كنف الحبيب ومن يكن جار الحبيب فعيشه العيش الرغد

وذلك بعد أن مات وكفن وأنزل إلى القبر ـ رحمه الله تعالى ـ .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَآ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ** ﴾ (٤) .

---

(١) ٥٥ : الأعراف .

(٢) ١٣٥ : آل عمران .

(٣) ٢٠٠ : البقرة .

(٤) ٢٧ : الأعراف .

فهذا تحذير من الله ـ تعالى ـ لعباده من الشيطان .

ويقول ـ تعالى ـ : ﴿ **يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِد** ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (٢) .

فركوع المسلم وسجوده أفضل له من الجنة وما فيها ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **إن المصلى يناجى ربه فلينظر بم يناجيه** » رواه الطبرانى عن عائشة ، فماذا تقول فى مناجاتك لربك ؟ ، وهل خشع منك القلب والجوارح أثناء المناجاة ؟

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ﴿ **اللهم كما رزقتنى ما أحب فاجعله قوة لى على ما تحب** ﴾ .

صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

« والحمد » لابد أن يشترك فيه اللسان والقلب ، وليس الحمد باللسان وحده .

قال سيدى أبو الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ : اشربوا الماء البارد فى الصيف .فقيل له : لماذا ؟ ، قال : لكى تشكروا الله ـ تعالى ـ من قلوبكم .

القرآن الكريم :ـ

هو كلام الله ، صفة من صفاته ، قديم بقدمه ، ليس بحروف ولا أصوات ، ومن زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئين ، وكتابة الكاتبين ، فقد ألحد فى الدين ، وخالف إجماع المسلمين . أما الكلمات التى فى المصحف فهى دلالات وعلامات دالة على كلام الله ـ

---

(١) ٣١ : الأعراف .

(٢) ٧٧ : الحج .

تعالى ـ القديم ، ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ** ﴾ [1] أى أنزلناه مكتوباً ، ﴿**وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ**﴾ [2] .

أى : ظاهراً مبسوطاً والرق : هو الجلد الرقيق الذى يكتب فيه ..

فالقرآن هو الكلمات المكتوبة على الورق والفقهاء إنما شرفوا الورق وكرموه بسبب المكتوب عليه ،وكذلك الجلد ، أو غلاف المصحف .

وأيضاً فإن قميص سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ كان سببا فى شفاء عينى أبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ لملامسته لجسد يوسف ـ عليه السلام ـ ، فكان من معجزاته عليه السلام ـ .

رؤيا :

ومن فضل الله ـ تعالى ـ على : أننى كنت جالساً فى الروضة الشريفة بين المغرب والعشاء مغمضا عينى مصليا على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسمعت صوته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الروضة الشريفة : « **عظ الناس من غير تفريط ولا إفراط** » .

ففهمت عند ذلك مقالة الخليفة أبى جعفر المنصور العباسى للإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ :﴿ **ألف كتاباً فى الحديث ووطئه للناس** ﴾ أى : لا تشدد ولا تفرط فخير الأمور الوسط قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

﴿ **داووا مرضاكم بالصدقة** ﴾ رواه الديلمى

وقد حدث أن رجلاً من السودان كان مريضاً فبينما هو يسير يوماً فى الطريق تعب ، فجلس ، فمر به رجل فقير ، فأعطاه الرجل قرشاً وهو يسأل الله ـ تعالى ـ الشفاء ـ بنية وعقيدة ـ فشفاه الله ـ تعالى ـ .

---

(١) ١ : ابراهيم .

(٢) ٢ ، ٣ الطور .

فى التوسل والوسيلة :

الحكم على الشئ فرع عن تصوره أى لا يكون الحكم على الشئ إلا بعد معرفته وإدراك حقيقته ، فماذا نعرف عن التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

التوسل معناه : السبب الذى يوصلك إلى المسبب ، فمثلاً : هناك رجل يريد الإسلام ، فالمطلوب هو الإسلام ، والسبب الموصل إليه : كلمة : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والسبب معناه : الحبل الموصل إلى المطلوب ، كحبل السنارة الذى يربطها بالعصا .

فكلمة ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ تدل على الله ـ سبحانه ـ وكلمة ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ تدل على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، و﴿ **لا إله إلا الله محمد رسول الله** ﴾ سبب ، كما أن السنارة والطعم الذى يوضع فيها سبب للوصول إلى صيد السمك ، ووضع السنارة فى البحر « توسل » أى تسبب ، وخروج السمكة من البحر هو المقصود فمعنى : توسلك بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أى أنك ذكرت اسمه لتكون مسلماً فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة لوصول الإسلام إليك ، فهو الواسطة والسبب الذى جعلنا مسلمين ننطق بالشهادتين .

ولو أن أحداً شهد بأن لا إله إلا الله ،ولم يشهد بأن محمداً رسول الله ثم صلى وصام وحج وزكى فإنه لا يعد من المسلمين .

فإذا كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الوسيلة التى يقبل بها إسلامنا ، فماذا علينا إذا قلنا : يارب : نسألك بنبيك محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن تيسر لنا طريق الحج ؟!، فالمقصود هو الحج ، والوسيلة هو

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فإذا قبل الله ـ تعالى ـ التوسل ، كتب لنا الحج ويسّره لنا ، ووفقنا إليه .

سند قوى فى التوسل :

عن عثمان بن حنيف ـ رضى الله عنه ـ أن أعمى أتى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال : يا رسول الله : ادع الله أن يكشف لى عن بصرى ، قال : أو أدعك ؟، قال : يا رسول الله : إنه قد شق علىّ ذهاب بصرى ، قال : فانطلق فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم قل : ﴿اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيِّى محمد نبىِّ الرحمة ، يا محمد ، إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى عن بصرى ، اللهم شفعه فىَّ ، وشفعنى فى نفسى ، فرجع وقد كشف الله عن بصره [1] .

س : إن كان ذلك فى حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهل يصح لنا الآن ؟

جـ ـ نعم ، فقد حدث مثل ذلك فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ . أن رجلاً كان يتردد على بابه ، فلقيه عثمان بن حنيف ـ راوى الحديث السابق ـ فقال له : ما حاجتك ؟ قال : لى حاجة عند أمير المومنين وعدنى بها ، وأطال علىَّ ، فقال له عثمان بن حنيف ـ رضى الله عنه ـ : ألا أدلك على دعاء إذا دعوت به قضى الله لك حاجتك ؟ قال : بلى . فعلمه الحديث المذكور فى التوسل ، فلما دعا به ،وخرج من المسجد سمع منادياً ينادى عليه أن أمير المؤمنين يدعوك ، فدخل على عثمان ـ رضى الله عنه ـ ، فهش فى وجهه ، وأجلسه بجواره على الطنفسة ـ الفراش الذى يجلس عليه ـ وقال له ماحاجتك ! فذكر حاجته فقضاها

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى عن عثمان بن حنيف .

له ، ثم قال : ماذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال : ماكانت لك من حاجة فائتنا [1] .

ولما ماتت السيدة فاطمة بنت أسد ـ أم سيدنا على ـ رضى الله عنه وعنها ـ حفر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ اللحد واضطجع فيه ، وقال : ﴿ **الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين** ﴾ [2] .

س : ما الدليل على وزن الأعمال يوم القيامة ؟

جـ ـ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية** ﴾ [3] وهو من الأمور الغيبية التى يجب الإيمان بها .

تلقين الميت .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

﴿ **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا** ﴾ رواه ابن أبى الدنيا .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

﴿ **جددوا إيمانكم ، أكثروا من قول لا إله إلا الله** ﴾ رواه الإمام أحمد .

تهوين ألم القتل على الشهيد :

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه ابن حبان والحاكم والدارقطنى .

(٣) ٦ ـ ٩ : القارعة .

﴿ ما يجد الشهيد من ألم القتل إلا كما يجد أحدكم من مسّ القرصة﴾ رواه الترمذى .

حكاية فى تلقين الميت :

يروى أن أبا جعفر ـ أحمد بن محمد القرطبى ـ لما حضرته الوفاة قيل له : قل : لا إله إلا الله ، .فكان يقول : لا ، لا ، فلما أفاق سألوه عن ذلك ، فقال : أتانى شيطانان عن يمينى وعن شمالى ، يقول أحدهما : مت يهودياً ،فإنه خير الأديان ،والآخر يقول : مت نصرانياً ، فإنه خير الأديان ، فكنت أقول لهما : لا ، لا ، إلىّ تقولان هذا ؟ وقد كتبت بيدى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **إن الشيطان يأتى أحدكم عند موته فيقول : مت يهودياً ، مت نصرانياً** » .

فكان الجواب لهما ، لا لكما ، هكذا حكاه القرطبى فى التذكرة ، فالمحتضر لا يقال له : قل كذا ،وإنما تردد الشهادتان بجواره للتذكير .

التلقين بعد الدفن

وأما تلقين الميت بعد الدفن ، فإنه مستحب عند كثير من العلماء ، وكيفيته أن يقف عند رأس الميت ويقول :

« يا فلان بن فلان ، اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، قل : رضيت بالله رباً ،وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبياً ، وبالكعبة قبلة ،وبالقرآن إماماً وبالمسلمين إخواناً ، ربى الله لا إله إلا هو ، وهو رب العرش العظيم » [1] .

---

(١) الأذكار للإمام النووى .

والأولياء المؤمنون الأتقيا فالعلماء العاملون أوليا

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ألا إنَّ أوْلِيَاءَ اللَّه لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفى الآخِرَةِ** ﴾ (١) .

والعالم يكتب له ثواب بعدد كل من سمع منه ،

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

﴿ **إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير** ﴾ رواه الترمذى . والعالم العامل له درجتان : لأنه يعلم الناس العلم كما علمه الله ـ تعالى ـ فينفعهم . ولأنه يعمل بما علم ، ويتقى الله ـ تعالى ـ ما استطاع فينفع نفسه .

رؤيا :

رأى بعض الصالحين فى النوم أن القيامة قامت ، وقد أوقفه الله ـ تعالى ـ بين يديه ، وقال له : إنى قد غفرت لك ، قال : يارب بعلمى أم بحجى أم بعملى ؟

قال : لا بهذا ، ولا بهذا ، ولا بذاك ، قال : يارب : فبم غفرت لى ؟ قال : حضر رجل من أحبابى عندك وسمع درسك ، فاتعظ ،وبكى ، فشفعته فيك ، وفيمن حضر درسك .

س : ما مصادر التشريع الإسلامى ؟

جـ ـ هى الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، وهذه الأربعة متفق عليها عند جمهور العلماء .

---

(١) ٦٢ ـ ٦٤ يونس .

مسألة فى السجود عند المالكية

الإمام مالك قال : إن السجود لا يصح إلا على الأرض ، أو على جسم يتصل بالأرض ، فإذا صلى على سرير معلق بين السماء والأرض فصلاته باطلة .

س : هل تصح الصلاة فى الطائرة ؟

جـ ـ قال الشيخ الدجوى : تصح الصلاة فى الطائرة ،ودليل الشيخ الدجوى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صحح الصلاة فى السفينة ـ وهى على الماء وليست متصلة بالأرض ، وعلى هذا تصح الصلاة فى الطائرة .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ** ﴾ (١) ، فذهب الإمام مالك إلى وجوب مسح جميع الرأس ، وقال الإمام الشافعى : الباء فى الآية للتبعيض ، مثل ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحيى الله الْمَوْتَى** ﴾ (٢) فيجزئ عنده مسح ربع الرأس والآية تشمل الكل والبعض .

فالإمام الذى اجتهد ، ووافق اجتهاده الصواب له أجران والذى اجتهد ولم يوافق اجتهاده الصواب له أجر واحد .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **سنفرغ لَكُمْ أيّه الثَّقَلاَنِ** ﴾ (٣) .

روى أن سيدنا عليا ـ رضى الله عنه ـ كان يطوف بالكعبة فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا يغلطه السائلون ، ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحين : ارزقنى برد

---

(١) ٦ : المائدة .

(٢) ٧٣ : البقرة .

(٣) ٣١ : الرحمن .

عفوك وحلاوة رحمتك .. فقال له على : يا عبد الله أعد دعاءك هذا .. قال : وقد سمعته ؟ قال : نعم .. قال : فادع به فى دبر كل صلاة .. فوالذى نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها ، وحصباء الأرض وترابها لغفر لك أسرع من طرفة عين . أورده ابن كثير فى البداية والنهاية .

تفسير بعض ألفاظ هذا الدعاء :

أى : يا من لا يشغله دعاء زيد عن دعاء عمرو ،ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحين فى الدعاء ، أى الذين يكثرون الدعاء فى كل وقت ،قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: « **إن الله تعالى يحب الملحين فى الدعاء** » (١) أى المستكثرين من الدعاء .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن الله لا يملُّ حتى تملُّوا » (٢) والملل : هو الضيق الذى يحصل فى صدر الإنسان ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عن صفات الحوادث ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، فهو يسمع منك الدعاء ولا يعرض عنك حتى تسكت ، وقال ـ سبحانه ـ :﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جهنم دَاخِرِينَ** ﴾ (٣) .

﴿ **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلاَنِ** ﴾ : المعنى سنشرع فى حسابكم أيها الثقلان وسمى الإنس والجن « الثقلان » لأنهم أثقلوا الأرض لكثرتهم .

﴿ **يَامَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ :

---

(١) رواه البيهقى عن عائشة ـ أم المؤمنين .

(٢) رواه البزار عن أبى هريرة .

(٣) ٦٠ : غافر .

أقطار السموات والأرض أى جهات السموات والأرض .

قال المفسرون : هذا طلب تعجيز لهم ، فقد قالت الجن ، :﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللهَ فِى الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا** ﴾ (١) ، ويوم القيامة يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ لجميع الخلق :

يا معشر الجن والإنس : لقد جمعتكم للحساب ، فهل تستطيعون الهروب ؟ ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ أى قوة ،وليس لهم قوة ولا سلطان ، ولو قُدِّر أن أحداً منهم حاول الهرب ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ** ﴾ .

قال المفسرون : النحاس هو الدخان الذى لا نار معه ، والشواظ هو قطع من النار المحمرة ،وأيضاً النحاس هو الدخان المظلم .

« فلا تنتصران » : أى فيبطل الهروب وينتقض حيث لا حول لهم ولا قوة ، قال ـ تعالى ـ :﴿ **هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾ (٢) . فإذا كانوا لا يستطيعون النطق ، فكيف يتمكنون من الهرب .

وفى سورة الجن ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ (٣) ، وفى سورة الصافات ﴿ **إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** ﴾ (٤) .

ومعنى « شهاباً رصداً » أى شهاباً يترصدهم ،وليس الشهاب هو النجم ، وإنما تنفصل الشهب من الكواكب وتنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها لأن النجوم لا تسقط على الأرض إلا يوم

---

(١) ١٢ : الجن .

(٢) ٣٥ ، ٣٦ المرسلات .

(٣) ٩ : الجن .

(٤) ١٠ : الصافات .

القيامة ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ (١) وقال : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ (٢) ، أى ذهب نورها .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ** ﴾ (٣) : أى جعلنا الشرر الذى يخرج من النجوم التى هى كالمصابيح يرجم الشياطين ويبعدهم ، وليس المعنى أن النجوم تسقط ﴿ **وَأَنَّا لاَ نَدْرِىَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً** ﴾ (٤) : لما رأت الشياطين هذا التغيير الجديد فى الكون ، قالوا هذا لرؤسائهم من الجن ، فأمروا فتفرقوا فى البلاد ليتعرفوا الأخبار ، فجاءت جماعة منهم فى ليلة ، واستمعوا القرآن من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ (٥) .

---

(١) ٢ : التكوير .

(٢) ٨ : المرسلات .

(٣) ٥ : الملك .

(٤) ١٠ : الجن .

(٥) ٢٩ : الأحقاف .

الدرس السادس

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١) .

هذا القرآن كلام الله المنزل من لدنه ـ سبحانه ـ لا من ملك ، ولا نبى ، ولا رسول ، ولا إنس ولا جن ، بل هو كلام رب العالمين .

والله ـ سبحانه ـ يخبرنا فى القرآن عمالا نعلمه ولا نعرفه :

ففى العالم سماء وأرض ، وقبل القرآن ضل الناس فى معرفة الخالق لهذه وتلك ، فأخبر الله فى القرآن عمن خلق السماء والأرض ، وأنه الله ـ سبحانه ـ فالقرآن يتكلم عن أشياء تبدو أمامنا ،ولا نعرف مالكها ، مثل السماء والأرض ، وتارة يحدثنا عن أشياء موجودة ،ولكنها خافية علينا ، مثل الجنة والنار ، وتارة عن قضايا تحدث بين الناس ، تؤدى لوقوع المشكلات بينهم ، بمالا يستطيع العقل إصلاحه ، وتارة يحدثنا عما لا إحاطة لنا به ، كالحديث عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعن صفاته من قدرة وإرادة ..

وتارة يحدثنا القرآن عن عالم كان ومضى ولم نره ، مثل حديثه عن فرعون وهامان وجنودهما ، والرسل وأحوالهم وصفاتهم ... إلخ .

فالقرآن يتكلم عن أشياء نادرة وغريبة ولذلك يخاطب المولى ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بقوله : ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ (٢) .

أى لا أحد يخبرك مثلما أخبرك ، لأن عندى خبر العالمين والدنيا والآخرة ، ولذلك أخبرك بأنه لن يعلمك أحد بمثل ما أعلمك به .

---

(١) ١ ، ٢ : الملك .

(٢) ١٤ : فاطر .

عوالم الجبال تسبحه ، وأرزاقها تحت تصرفه ، والأسماك فى البحار كذلك ، كل نوع من المخلوقات له تسبيح ورزق معلوم : العصافير لها تسبيح ،والحدادى لها تسابيح ، وطيور الماء لها تسابيح ،والثعابين لها تسابيح ،والبعوض له تسابيح ، والنمل له تسابيح . ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَئٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ (١) .

قال السيوطى : وإن من شئ : أى متلبساً بالتسبيح فعلاً « لا تفقهون» : فى المسموعات ، أى تسمعون الصوت ، ولا تفقهون هذا الصوت ، لأنَّه ليس بلغتكم ، ولو أن رجلاً أعجمياً أخذ يسبح الله - تعالى - بلغته ، فإنك لا تفهمه مع أنه آدمى مثلك !! .

هناك مخلوقات تسمع ولا تفهم ، مثل العصافير ، وهناك مخلوقات لا تسمع ولا تفهم ، مثل الجبال ، غير أن الصوفية يقولون إنها تسمع وتفهم ، حسب درجة العبادة .

وسيدنا داود - عليه السلام - كان يسمع ويفقه ﴿ **يَاجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ** ﴾ (٢) هل كان الناس فى زمانه يسمعون ، أم هو الذى كان يسمع وحده !!

والجواب : وهل كان الناس أنبياء مثله ، أم كان هوالنبى فى زمانه وحده ؟ فكما كان نبياً وحده كان يسمع وحده تسبيح الجبال .. سبحان الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ..

أَلْهَمَ الأسد أن يلتزم سكنى الجبل ، ومثله الثعبان ، فهو - سبحانه - قد ألهم المخلوقات التى هى أقوى منا أن تهرب بعيداً عنا ، مع أنها أقوى منا ، لأنها ضارة . « بيده الملك » : تصريف الملك ، ولله جنود من

---

(١) ٤٤ : الإسراء .

(٢) ١٠ : سبأ .

الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وعزرائيل ، من فى الدنيا يملك جنداً مثل جبريل وميكائيل ؟ لا أحد غير الله ، جبريل هذا ملك ، لا ندرى هيئته ، ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ (١) .

﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ** ﴾ (٢) .

هؤلاء الكفرة ـ مع كثرتهم ـ لم يرسل الله إليهم جيشاً ، بل أرسل إليهم جندياً واحداً هو جبريل لكى يهلكهم كما أرسله ربه ليهلك ثمود ، فصرخ فيهم صرخة واحدة ، فجعل الأجساد كأنها ورق محروق بالنار ، ﴿ **إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** ﴾ (٣) ، جندى واحد من جنود الله صرخ صرخة واحدة ، فجعل ثمود كالنار التى خمدت وصارت تراباً .

ونحن فرحون بك يارب . وكما أكرمتنا فى الدنيا فإننا نرجو إكرامك فى الآخرة لأننا مؤمنون ، والمؤمنون يفرحون ، ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ (٤) .

وإذا دخلت قبرك ، تركك الأهل والأقرباء ، فيناديك ربك : عبدى : هل معك أحد ؟ فتقول : يارب تركونى ، فيقول لك : ولكنى ما تركتك .

(تبارك) : معناها : تزايد خيره ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتزايد ملكه . فهو ـ سبحانه ـ كما خلق الكون العظيم ، خلق النمل الضعيف ، ولو اجتمع من فى الكون ليطردوا النمل من الكون لما استطاعوا ، فملك الله ـ تعالى ـ يزيد ولا ينقص سبحان الله ... سبحان الله العظيم .

---

(١) ٣١ : المدثر .

(٢) ٢٨ : يس .

(٣) ٢٩ : يس .

(٤) ٥٨ : يونس .

خلق الأبيض والأحمر .. وهذه آية ، علامة على أنه الإله البديع فى صنعه فلو أن برغوثاً لدغك لفزعت من نومك ،وربما وجدت الفجر قد طلع ، فتصلى !! ومع غضبك من البرغوث فإنك قد لا تستطيع الإمساك به ، والانتقام منه . وقد صورت إحدى الصحف بعوضة لدغت الملك ، وشربت من دمه ، ثم تعجبت الصحيفة من جرأة هذه الحشرة ، كيف أنها تسللت فارتكبت هذه الجريمة؟! ،ولماذا العجب ؟! فالملك ليس إلها حتى يمنعها.

دخل بعض الأشراف على أحد الملوك ، فسأله الملك : لماذا خلق الله الذباب ؟ فقال له : ليذل به الملوك .

دعاء : اللهم ارزقنا الحب ، اللهم ارزقنا حبك ،وحب من أحبك ، وحب من ينفعنا حبه ، اللهم قنا شر حب المال والنساء ، وحب الفساد والكبر .

جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال له : أدع الله أن يزوجنى ، قال له : « لو دعوت لك أنا وجبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش ما تزوجت إلا المرأة التى كتبت لك ».

حكاية : امرأة سودانية زوجت ابنتها لرجل من « الدراويش » فلما بنى بها دخل ومعه سبحة ألفية ،وأخذ يسبح منشغلاً عنها ، ومرّ أسبوع ولم يقربها !! فاشتكت الابنة لأمها ، فغضبت الأم لمخالفة الزوج للشرع ، إذ فى جماع الرجل زوجته أجر ، فقد روى الإمام مسلم عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أن ناساً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قالوا للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأُجور ، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما

تصَّدَّقون به ، إن بكل تسبيحة صدقة ، وفى بُضع أحدكم صدقة ـ والبضع بضم الباء هو الجماع وقيل الفرج ـ قالوا : يا رسول الله! أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، قال : أرأيتم لو وضعها فى الحرام أكان عليه ورز ؟! فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر ﴾ .

﴿ **تبارك الذى بيده المُلك** ﴾

« المُلك » : أى الملك الظاهر والباطن ،ومِلْك ـ بالكسر ـ أى مانشتريه . وتنتقل ملكيته إلينا ، والمُلك ـ بالضم ـ الذى يأخذه الملك ـ من غير سبب . والملكوت .. سبحان رب الملك والملكوت ، سبحان الحى الذى لا يموت .. فالملكوت هو ما لا نراه بأعيننا ، من السموات السبع ، والعرش ،والكرسى ،والجنة والنار ، وما فى القبور ، كل ذلك من الملكوت .

وقد سمى الله ـ تعالى ـ نفسه الأول ، فليس أحد قبله ، وسمى نفسه الآخر فليس أحد بعده ، وسمى نفسه الظاهر ، فهو الذى خلق الظاهر وملكه ، والظاهر : ماتراه ويظهر لك ، وسمى نفسه الباطن ، فهو الذى خلق الباطن وملكه ،والباطن : مالا تراه عينك .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[1] بلى إنه يعلم تمام العلم فأنت يا أخى عندك قطعة لحم ، تضعها فى فمك لتأكلها ، ولا يستطيع أحد أن يأخذها منك ، وإذا كثر عدد أولادك فلا تشغل نفسك كثيراً بتدبير أرزاقهم . فليس هذا من شأنك .

﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ ؟ بيده الملك والملكوت والتدبير ﴿ **وهو على كل شئ قدير** ﴾ : شئ : تشمل كل المخلوقات حتى النملة ، وما فى الدنيا ،وما فى السموات ، وما فى الجنة ، وما فى النار ، وكأنَّه ـ تعالى ـ يقول : جميع مخلوقات السموات والأرض ،والدنيا والآخرة رزقها بقدرتى .

---

(١) ١٤ : الملك .

(قدير) : يعنى يفعل ما يشاء ـ قدرة يتأتى معها فعل كل شئ .

حكاية :

يحكى أن ملكاً كان يخاف من ابن أخيه على المملكة من بعده ، فوضعه فى السجن ثم أصدر حكماً بأن يشنق فى صباح اليوم التالى على الملأ ، ثم أرسل إلى الناس ليحضروا لمشاهدة تنفيذ الحكم ،ولكن كانت هناك امرأة فى قصر الملك استبشعت هذا الصنيع المخزى ، وفضلت أن يموت هذا الشاب سراً بالسم عن أن يمثل بالشاب ، أمام الناس ، فصنعت فطيرة ، ثم دست فيها السم ،وأرسلت بها إلى الشاب فى سجنه مع خادمة لها ، فلقيها الملك فسألها عن وجهتها ، فأخبرته بأن سيدتها أمرتها بإعطاء هذه الفطيرة إلى الشاب السجين ، فغضب الملك ، وقال أنا أسجنه ، وهم يعملون له الفطائر ؟ فأخذها منها ، وأكل منها فمات لوقته !! سبحان الملك الحق ـ بعد أن جمع الملك الناس ليشاهدوا ، ونصب المشنقة ، قضى الله ـ تعالى ـ بموت الملك ، وفى الصباح فكوا قيود الشاب السجين ونصبوه ملكاً عليهم . سبحان مالك الملك !!

سبحان من خلق المخلوقات ، خلق السمك وعرَّفه بأنه يموت فى البر وخلق الحيوانات البرية ، وعرَّفها بأنها تموت فى الماء !!

حتى الحشرات والبهائم : تطمئن للحلال ،وتخاف عندما تَهُم بفعل الحرام ، فلو أن بقة قرصت إنساناً فى رقبته لأسرعت بالهروب لتختفى ، لأنها شعرت بأنها آذت وظلمت ، والذى يؤذى يهرب من الذى آذاه خشية الانتقام . والقطة : لو أعطيتها طعاماً بيدك ، فإنها تأكله باطمئنان وهدوء ، لأنها تشعر بأنها لم تخطئ ـ فاعتبر يا أخى من هذا وتعلم !

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألاَ بِذِكْرِ الله تطمئن ٱلْقُلُوبُ﴾ (١) ليس بذكر اللسان فقط ، بل كل ما تفعله وقلبك مطمئن به فربك راضٍ عنه ، ففى قلب المؤمن نور يفرق بين الحلال والحرام .

فلو أن جارك أراد السفر للحج ، فأوصاك ببناته خيراً ، فإن كنت جاراً صالحاً حفظته فيهن ، قضيت مصالحهن من وراء حجاب ، وإن كنت غير ذلك لم تحفظه فيهن ، وكشفت سترهن ، وربما تسامرت معهن !

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : لا يخرج شئ من ملكه ولا طرفة عين ، وحينما يتجلى ـ سبحانه وتعالى ـ يوم القيامة ينادى نداء يسمعه أهل المحشر : أنا الملك .. أنا الديان .. أنا الحسيب الذى يحاسب الناس على ماقالوا .

﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ : ملك لا ينفك أبداً ..

أفضل الذكر :

قال الحسن البصرى : أفضل ذكر الله عندما حرم الله ، ففى المسجد : العبادة ميسرة للجميع ، لكن عندما ينفرد الإنسان فى مكان ، وأمامه امرأة ، لا يطلع عليهما إلا الله ، فإذا ترك المعصية خوفاً من الله ، فذلك هو الذكر الحقيقى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢) .

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « بينما ثلاثة نفر يمشون فآووا

---

(١) ٢٨ : الرعد .

(٢) ١٢ : الملك .

إلى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم . فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله . فادعوا بها لعل الله يفرجها عنكم ..

فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى ولى صبية صغار أرعى عليهم .. فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بَنِى ، وأنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما ـ والصبية يتضاغون عند قدمى ، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر .. فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء ..

وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ،وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله : اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه .. فقمت عنها فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة .. ففرج لهم ..

وقال الآخر : اللهم إنى كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله قال : أعطنى حقى فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت بقراً ورعاءها .. فجاءنى فقال : اتق الله ولا تظلمنى حقى .. قلت : اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها ، فقال : اتق الله ولا تستهزئ بى ، فقلت : إنى لا أستهزئ بك ـ خذ ذلك البقر ورعاها .. فأخذه فذهب به .. فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى (وفى رواية) : فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون ..

إذن فالعمل الصالح هو الفرج فى الشدة والمخرج منها .

---

(١) الفَرَق : مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلاً ـ مختار الصحاح .

ولذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى وصيته لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ :« تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة» . رواه الإمام أحمد .

الفرق بين نداء ونداء .. دعاء ودعاء :

فرعون قال .. عندما أدركه الغرق :﴿ **آمَنتُ أَنَّهُ لا إله إلاَّ الَّذى آمَنَتْ به بنُو إسْرائيلَ وَأنَا من الْمُسْلمينَ** ﴾ (١) ، وكان الرد عليه ﴿ **آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ منَ الْمُفْسدينَ** ﴾ (٢) .

أما سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ ﴿ **فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ (٣) ، والرد عليه : ﴿ **فَاستَجَبْنَا لَهُ ونَجَّيْنَاهُ من الغم وكذلك نُنْجى الْمؤمنين** ﴾ (٤) فالفرق بين النداءين أن فرعون لم يعرف ربه عند الرخاء ، وعرفه فقط ـ عند الشدة ، أما يونس ـ عليه السلام ـ ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَان من الْمسبِّحينَ** ﴾ فى الدنيا ﴿ **لَلَبِثَ فى بَطْنه إلى يَوم يُبْعَثُون** ﴾ (٥) .

وإذا ما أذنب العبد ، فإن الله ـ تعالى ـ قبل أن يؤاخذه بذنبه ،يسأله : لمَ لم تتب وتستغفر ؟ ، وأنت تعرف أن رحمتى وسعت كل شئ . ولا يقول له لم أذنبت ؟ وباب التوبة واحد ، للمسلم والنصرانى ،والكافر ، ﴿ **قُل للَّذين كَفَرُوا إن يَنْتَهوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَف** ﴾ (٦) ، هذا نداء للكافرين ، فكيف بالمؤمن .

---

(١) ٩٠ : يونس .

(٢) ٩١ : يونس .

(٣) ٨٧ : الأنبياء .

(٤) ٨٨ : الأنبياء .

(٥) ١٤٣ ، ١٤٤ : الصافات .

(٦) ٣٨ : الأنفال .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يحب أن يغفر ،ولكنه يكره الذنب ، ومع ذلك فهو يحب التوبة ﴿ **إن الله يُحب التَّوَّابينَ** ﴾ (١) ، وإذا لم يكن للعبد ذنوب ، فمن أى شئ يتوب ؟ ، وكيف يكون تواباً ؟ ، وأبوك آدم ـ عليه السلام ـ تاب ورجع إلى الله .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد بين لك الحلال والحرام ، فهو ـ سبحانه ـ يعلم عاقبة المعاصى ، كالذهاب إلى السينما لمشاهدة الأفلام الماجنة ، وصحبة الشاب لفتاة غير محرمة عليه ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يبين لك الحلال والحرام ، ثم وكلك لدينك وعقلك .

وحديث المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذى رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير « الحلال بين والحرام بين » فالكل يعرف الحلال والحرام أما ما أشكل عليك فلابد من سؤال العلماء عنه إبراءً للدين والعرض .

فمثلا الفلاح ـ فى الغيط ـ يقول : طلقت امرأتى ثلاث مرات ، وليس لها رد ، فهو بذلك يعرف الحكم ، فإذا كان الجميع يعرف ، فلا ينبغى أن تحدث معصية .

عصمة الزواج :

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنى آدَمَ** ﴾ (٢) فعندما يتزوج الرجل امرأة صالحة ،ويبنى أسرة صالحة فإنه يكون مكرماً ، أما إذا لم يعمل بالشرع فإنه لا يكون مكرماً .

فمن تمام الزواج فى الإسلام أن يكون هناك تكافؤ بين الزوجين ، فقد خلق الله للرجل الفقير امرأة فقيرة ، وللرجل المتوسط امرأة مثله ،

---

(١) ٢٢٢ : البقرة .

(٢) ٧٠ : الإسراء .

وللرجل الغنى امرأة غنية ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً** ﴾ [1] ، فهذا للغنى ، وليس للفقير ، فأول شئ يبنيه مع زوجته بيت التقوى ، فالرجل بزواجه يصير تقياً ، وأميناً ، تأمنه الأسر على بيوتها ، لأنه قد حصن نفسه بالزواج ، الذى هو أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر** » رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم .

ولو قيل : إن السيد البدوى لم يتزوج ، لقلنا إن هذا أمر لا يعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، فلا اعتراض عليه .

فالرجل الأعزب الذى يملك مالاً ، ولكنه يخشى على نفسه العنت ، فعليه أن يتزوج أولاً قبل أن يحج .

فمثلا : هناك رجل اشتد به العطش ، ومعه ماء ، فهل يشرب منه أولاً ؟ أم يذهب بالماء إلى المسجد ؟ الجواب : الأولى به أن يشرب ، لأنه لو بقى عطشان فإنه يتذكر عطشه كلما نظر إلى الماء بشغف ولهفة ، وربما أدى به العطش إلى الهلاك ، والمرأة بطبيعتها تحب الرجال ، وكذلك الرجال يحبون النساء .

وإذا تزوجت امرأة ، وأدخلتها بيتك ، تحقق لك أمران :

أولاً : خففت حملاً عن أبيها .

ثانياً : حافظت عليها وعلى نفسك .

فالزواج فيه إصلاح للاثنين .

والله ـ تعالى ـ يعلم أن الإنسان يحتاج إلى إنسان يؤانسه ، ويسكن إليه ، فجعل الزواج لذلك ، فالمرأة آخر أنيس وجليس وحبيب فى الحياة .

---

(١) ٢٠ : النساء .

نادرة :

جاءت امرأة إلى أحد الشيوخ ، وقالت له : اكتب لى حجاباً يجعل زوجى يحبنى فقال لها : الشيخ أنا أكتب لك حجاباً ، يمكنك من إمساك شاربه ،ولكن لابد أن تأتينى بسبع شعرات من شارب الأسد ، وكانت المرأة من الأعراب ، فسألت أهل البادية عن مكان الأسد ، وأخذت معها خروفاً بعد أن ذبحته وقطعته قطعاً ، وذهبت إلى هناك ، وهى تعلم أن الأسد لا يأكل النساء ، فقعد الأسد يأكل من اللحم حتى شبع ونام ، فأخرجت المرأة المقص ، وقصت بضع شعرات من شارب الأسد ، ثم ذهبت إلى الشيخ ، فقال لها : أهذا الشعر من شارب الأسد ؟ قالت : نعم ، فقال لها : ماذا فعلت ؟! فقالت :فعلت كذا وكذا ، وقصت عليه ما فعلت فقال لها : ما صنعتيه مع الأسد ، اصنعيه مع زوجك ، فإنك ستصلين إلى قلبه كما وصلت إلى شارب الأسد . ، والمرأة تقلد زوجها فى كل شئ : إن ذكر الله ذكرت مثله ، وإن صلى لله صلت مثله ، وإن قرأ القرآن قرأت مثله ، وإن ارتكب معصية سرت إليها العدوى منه ، وهكذا تقلده فى كل شئ .

قال الشاعر :كالقط يحكى انتفاخاً صولة الأسد .

س : كنت أصلى الظهر خلف الإمام ، وبعد الرابعة قام الإمام للركعة الخامسة وأنا متأكد أنها الخامسة ، فسبح له المصلون ، ولكنه أصر على الإتيان بالركعة الخامسة ، فما حكم صلاتى إن قمت خلفه ، وأتيت بالركعة ؟

جـ : فى مذهب المالكية إن الإمام إذا قام للخامسة فمأمومه إما أن يكون متيقنا ، وإما شاكاً ، فإن كان متيقنا فعليه أن يجلس خلفه منتظراً حتى يأتى الخامسة ، ثم يسلم معه ، فإن قام معه بطلت صلاته بهذه الزيادة المتعمدة ، أما إن كان شاكاً فعليه أن يقوم معه ، ويأتى بالركعة المشكوك فيها .

لطيفة :-

دعا جدى الجعفرى فقال : اللهم إن كنا ننتسب لسيدنا جعفر الصادق ، فلا تجعل الدخان يدخل بيتنا فصرف الله الدخان عنا إكراماً لجدنا - رضى الله عنه - والجعافرة فى الصعيد تجد لهم هيبة ،ومثلهم الحسنية الذين يسكنون المغرب الأقصى ، من أولاد سيدنا الحسن - رضى الله عنه - ومع أن الجعافرة أشراف إلا أنهم يعملون فى سائر الحرف ، وكثير منهم يعملون فى الحرف الصغيرة .

والشريف يضئ للناس فى أوقات الظلام ، مثل عود الكبريت ، عندما يضئ فى الليل ، والناس تنظر إليه !

السنة الحسنة والسنة السيئة :

قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ » رواه مسلم .

السنة السيئة : رجل انشأ خمّارة فى بلد لا تعرف الخمارات ، فالناس تشرب الخمر فيها ، فهذا عليه وزرها ووزر ما فيها .

والسنة الحسنة : رجل بنى سبيل ماء يشرب منه الناس ، فيذهب عنهم العطش فهذه سنة حسنة له أجرها وأجر من انتفع بها .

قال القرطبى عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ **وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ** ﴾ (١) الغبرة فى كلام العرب :الغبار ،وفى الخبر أن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب إلى وجوه الكفار .

---

(١) ٤٠ : عبس .

وعن ابن عمر : إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرض مدَّ الأديم ـ الجلد ـ وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجمّاء ـ التى لا قرون لها ـ من الشاة القرناء بنطحتها ، فإذا أُفرغ من القصاص بينها قيل لها : كونى ترابا . فعند ذلك يقول الكافر ﴿ **يَالَيْتَنِى كُنْتُ تُرَاباً** ﴾ (١) أ . هـ

إبليس ـ عليه اللعنة ـ كان يعرف حقيقة الأمر ، لكنه كفر عناداً ، وبقى على كفره بسبب الكبر ، ولم يتراجع ، بل قال : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ (٢) ، وقد غفل إبليس عن أن الطين أفضل من النار ، لأن منافع الدنيا منه أكثر من النار .

طرفة : اجتمع بعض العلماء على طعام ، فقال أحدهم : هذا الأرز أفضل من كل طعام ، فعارضه آخر قائلاً : إن الأرز لا يصنع منه الرغيف ، ولا الكنافة ولا القطايف ، بل تصنع كلها من القمح ، فهذا قياس للمثل الأول .

فالطين أفضل من النار ، لأن منافع الدنيا منه وليست من النار ، فإبليس جاهل .

يقول الشيخ إبراهيم الفنارى ـ من علماء المغرب ـ فى تفسير ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ (٣) : إنك ميت موتتك العظيمة ، وهم ميتون الموت اللائق بهم ..

فى قصة أصحاب الكهف : « الرقيم » : النقود منقوش عليها تاريخ الملك السابق ، فلما شاهدها الملك قال : آمنت بأن الله يبعث من فى القبور ..

---

(١) ٤٠ : النبأ .

(٢) ١٢ : الأعراف .

(٣) ٣٠ : الزمر .

محاورة :

سيدى عبد الله التسترى ـ وكان من الأولياء الصالحين ـ سأله إبليس محاوراً ما رأيك فىَّ ؟ ، قال : أنت ملعون ، قال إبليس : كيف وقد قال الله :﴿ **وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ** ﴾ (١) ، ألست أنا بشئ ؟ قال التسترى : بلى ، ولكن الله قيدها فقال :﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾ (٢) ، فقال إبليس ـ مجادلاً ـ ولكن التقييد ليس من صفة الخالق .

وإبليس فى هذه الإجابة جاهل ، لأن الله ـ تعالى ـ كما قيد الرحمة فى هذه الآية للمُتَّقينَ ، كذلك خص بها المؤمنين فى قوله : ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾ (٣) .

ولو كان يستحى من الله ـ تعالى ـ ما قال هذا الكلام .

وفى الحديث القدسى : « **ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل!! كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى؟!** » ..

مسألة : تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «كنت أغتسل أنا ورسول الله فى إناء واحد ، فما رأيت منه ، ولا رأى منى» .

قال العلماء : نظر الرجل إلى عورة المرأة ـ أى فرجها ـ يطمس البصر ، وقال بعضهم : ربما يؤدى إلى كره الرجل لزوجته .

الفرق بين الحديث القدسى والقرآن :

الحديث القدسى : كان جبريل ينزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويقول له : إن الله ـ تعالى ـ يقول لك كذا وكذا ، فمعناه من عند الله ، ولفظه من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

---

(١) ١٥٦ : الأعراف .

(٢) ١٥٦ الأعراف .

(٣) ٤٣ : الأحزاب .

أمـا القرآن : فكان ينزل الوحى عـلى رسول الله ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ ، فكان يحصل له حال كـالإغماء ، فإذا كان راكباً على ناقـته فإنها كانت تبرك ، ثم يلقى عليه القرآن فلفظه ومعناه من عند الله ـ تعالى ـ .

الدرس السابع

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ (١) .

القرآن العظيم كلام الله ، يدل عليه ، ولم تسمع الأذن كلاماً مثل كلام الله ـ تعالى ـ ،ولم يطمئن القلب إلى كلام اطمئنانه إلى كلام الله ـ تعالى ـ ، ومن العجيب أن جميع الجوارح تدرك أن هذا كلام الله ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ (٢) . وإنما يحدث منها ذلك ؛ لأنها تعرف القرآن إذا سمعته ، وكل ذرة فى جسد الإنسان تعرف الله ـ تعالى ـ .

ويوم القيامة تتكلم الأيدى ، وتشهد الجلود ؛ لأنها كانت فى الدنيا تعرف أعمال الإنسان كما تعرف الله ـ تعالى ـ حق المعرفة .

وحين يحاول العبد إنكار مادُوِّنَ فى كتابه عند عرضه أمامه يوم القيامة تشهد عليه يده ، فتقول : قد سرقت بى فى يوم كذا ، فى ساعة كذا ، وشهادتها هذه ليست بشهادة زور ، ولا شهادة غائب ،ولكنها شهادة حاضر ، يسمع ويعرف ويعقل ـ عند الله ـ تعالى ـ فالجمادات جمادات بالنسبة لنا ، ولكنها عاقلة ، سامعة ، ناطقة ، عابدة ، مسلمة بالنسبة لله ـ تعالى ـ .

صوت داود ـ عليه السلام ـ :

كان لسيدنا داود ـ عليه السلام ـ صوت حسن عند التسبيح أو قراءة الزبور ، حتى إن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال فى وصف

---

(١) ١٧ : ٢٢ عبس .

(٢) ٢٣ : الزمر .

صوت أبى موسى الأشعرى حين يقرأ القرآن ـ : « إنه أوتى مزماراً من مزامير آل داود » .

وكذلك علماء الأزهر ، كان لهم منطق حسن ، ونبرات كأنها نبرات مخصوصة ، ولكن هذا لم يعد موجوداً اليوم ، فالعلماء الذين أدركتهم ، وسمعت كلامهم ، لم يبق منهم أحد .

لقد كان الشيخ السمالوطى ـ رحمه الله ـ يقرأ الحديث كما لم يقرأه أحد من قبل ، حتى إنك لتحس كأن المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتحدث ، وكان الشيخ السمالوطى يقول : ألا أحدثك حديثا سمعته أذناى ، ووعاه قلبى ، ونظرته عيناى ، وكان ـ رحمه الله ـ يحاكى أستاذه الشيخ سليم البشرى ـ رضى الله عنه ـ .

ومعنى تشبيه المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لصوت آل داود بالمزامير أن أبا موسى الأشعرى قد أوتى صوتاً كصوت آل داود المشبه فى حسنه بالمزمار .

حكم الذكر مع « المزمار » :

وبعض العوام ينفخون فى المزمار ـ المعروف لدينا الآن ـ ويزعمون أن سيدنا داود ـ عليه وعلى نبينا السلام ـ كان يستخدم المزمار فى تسبيحه لله ـ تعالى ـ .

والعلماء حين يسمعون كلام العوام هذا ، يتمثلون بقول الشاعر :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

وقال بعض الصالحين : إن الشياطين تجتمع عند سماع المزامير .

وكان داود ـ عليه السلام ـ يسبح الله ـ تعالى ـ بصوته الحسن ، فنال الرضا والقبول عند الله ـ تعالى ـ فأوحى ـ سبحانه ـ إلى الجبال والطير أن إذا سمعتن تسبيح داود بصوته الجميل ، فرجعن معه ، وقلن مثل ما

يقول ، ﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ** ﴾ [1] ، فأصبح الكون مع داود فى حضرة ذكر عظيمة ، دلت على معرفة الجبال والطير لله رب العالمين .

حكمة عظيمة :

والمصريون يقولون جملة حكيمة ، يقولون : ما عبيط إلا ابن آدم ، لأنه يعصى الله ولو لم يكن كذلك لما خالف سيده ! الذى خلقه ورزقه ، وهو القائل ـ سبحانه ـ : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [2] ، وإحسان الله إلى عباده بين ظاهر فكيف يحسن العباد إلى ربهم وهو الغنى عنهم ؟ ، الذى توالت نعمه عليهم ، ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [3] ، إنما يكون الإحسان من العباد بتعظيمهم لربهم وامتثال أمره ، واجتناب نواهيه .

خزائن الله :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وإن من شئ إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ [4] .

فعند الله ـ تعالى ـ خزائن للرضا ، وخزائن للغضب ، وخزائن للضحك ، وخزائن للبكاء ، أليس هو القائل : ﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى** ﴾ [5] بماذا ؟ إذا أنزل عليك سبب الضحك تضحك ، وإذا ابتلاك بسبب البكاء تبكى ، وحين يلقى فى قلب عبده المودة يحب أباه ،ويحب أمه ، .... إلخ .

فالله ـ سبحانه ـ غنى ، بل هو غنى حميد ، ولأنه غنى فإنه يعطى

---

(١) ١٠ : سبأ .

(٢) ٦٠ : الرحمن .

(٣) ٣٤ : إبراهيم ، ١٨ : النحل .

(٤) ٢١ : الحجر .

(٥) ٤٣ : النجم .

عبـاده ، فيشكرونه عـلى عطائه ، أما من عنده خزائن ،ولا يـعطى منها ، فهو غنى بخيل مذموم .

إذن : إذا أنزل الله ـ سبحانه ـ على عبده مرضاً ، فهل يعد هذا عطاء ؟

نعم : يعد هذا عطاء ، لأنَّ العـبد المبتلى إذا كـان مذنباً فسـوف تكفر عنه ذنوبه بالمرض ، وإذا كان عابداً رفعت درجاته عند الله ، وفى كليهما عطاء أخروى : ﴿ **أفـحسـبتم أنما خلقناكم عـبثاً** ﴾ (١) ، ﴿ **وما خلقنا السـموات والأرض وما بيـنهما لاعـبين** ﴾ (٢) فإذا أعطاك الله ـ تـعالى ـ خيراً فلحكمة ، وإذا ابتلاك بضر فلحكمة ، فإن أفعاله ـ تعالى ـ لا تخلو من الحكم .

حكم منع الحمل :ـ

والعالـم كله من خلقه وصنعـته ـ سبحانه ـ وبـعد أن خلقهـم كتب أرزاقهم وهم فى بطـون أمهاتهم ، ومـجنون من يمنع زوجتـه من الحمل مخافة ضيق الرزق ! (٣) .

لأن الخالق هو الذى تكفل بأمر الرزق ، أما الوالد فهو سبب فقط .

فالرجل عندما يذهب ليـشترى لأولاده سمكاً ـ مثلاً ـ فـالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى خلق البحر الذى يعيش فيه السمك ، وهو الذى رزق الأب المال الذى اشتـرى به السمك ! ولقـد جعل الله ـ تعـالى ـ لك أيها المؤمن فى كل شئ آية ، تذكرك به ـ سبحانه وتعالى ـ انظر إلى السمك ! كيف يعيش فى الماء ، ويكبر حتى يصبح طعـاماً شهياً للإنسان ، ﴿ **وهو الذى سخر البحـر لتأكلوا منه لحماً طرياً** ﴾ (٤) ، ولو شاء لجعل السمك

---

(١) ١١٥ : المؤمنون .

(٢) ٣٨ : الدخان .

(٣) أما إذا كان المنع خوفاً من هلاك أو شدة مرض محقق فلا بأس .. وقد يجب ..

(٤) ١٤ : النحل .

يبتعد عن الشاطئ ، أو لطرد البحر سمكه ، ومن لطف الله ـ سبحانه ـ ورحمته وإنعامه أن قال (لحماً طرياً) فلم يجعله مجرد لحم فقط ، بل لحماً طيباً شهياً .

ومن إنعامه ـ تعالى ـ تسخير البحر ليحمل السفن ﴿ **لتجرى فى البحر بأمره** ﴾ [1] فلو لم يجعل للبحر هذه القدرة لغرقت السفن جميعها بمجرد إنزالها فيه ، ﴿ **وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه** ﴾ [2] .

فالإنسان ـ بفضل الله ـ تعالى ـ يتلذذ بالمأكولات ، من فواكه متنوعة ، ولحوم مختلفة وأسماك متنوعة ، وكل ذلك من تسخير الله له ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق وحده ، لم يخلق معه أحد ذرة واحدة فى الكون .

الخلق لمن ؟ لله ، الملك لمن ؟ : لله ، الخضوع لمن ؟ : لله ، الالتجاء لمن ؟ لله . المقصود من ؟ الله ، المقصود هو الله ، والمعبود هو الله .

ولكن : متى يتحقق ابن آدم بمعرفة هذه الحقائق ؟

إنما يعرف ابن آدم ذلك عندما يحمل فى النعش ، وعندما يدخل القبر قال الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فعبر عن الغفلة بالنوم ، فالناس فى غفلة عن الله ، بسبب الاغترار بالحياة الدنيا ، فإذا أدركهم الموت تنبهوا من غفلتهم ، لأن الغشاوة قد زالت عن البصر .

سؤال القبر :

والمؤمن إذا رأى الملك فى قبره ، فرح واطمأن ـ مثل الطالب الذى

---

(١) ٣٢ : إبراهيم .

(٢) ١٣ : الجاثية .

يدخل الامتحان وهو مطمئن إلى مذاكرته وتحصيله ـ فإذا سئل : من ربك ؟ قال : ربى الله . وإذا سئل : من نبيك ؟ قال محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم [1] ـ .

وهذا هو التثبيت المشار إليه فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ [2] .

وقد ذكر بعض شراح البخارى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يظهر للمسئول عند قول الملك : ما تقول فى هذا الرجل ؟

فالقبر أول منازل الآخرة ، وأول باب يفرق عنده بين المؤمن وبين الكافر ، وعالم البرزخ غير عالم الدنيا .

قال الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « القبر أول منازل الآخرة » [3] .

والقبر الذى يريده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ليس القبر الذى تراه عيوننا ، بل هو من عالم الغيب فى الآخرة ، ونحن لا نرى الآخرة ، فلو دخلنا القبر لحظة سؤال منكر ونكير ، فلن نرى شيئاً ، ولن نسمع كلاماً ، لأن كل ذلك من عالم الغيب .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وقد خلقكم أطوارا** ﴾ [4] ، وهذه الأطوار هى : عالم الدنيا ، فالبرزخ ، فالقيامة ، فالجنة أو النار .

فهى سلسلة ممتدة ، تبدأ بالخلق ، وتنتهى بالجنة أو النار ، فيجب عليك ألا تشك أبداً فى هذه السلسلة ، إياك أن تشك فى البعث فتكفر ، لأنك كما خرجت من بطن أمك تخرج من باطن الأرض عند البعث .

---

(١) هو جزء من حديث البخارى .

(٢) ٢٧ : إبراهيم .

(٣) رواه الإمام أحمد فى المسند .

(٤) ١٤ : نوح .

﴿ **أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾ [1] ، سبحانه وتعالى ، علَّمنا لنصدق ونؤمن ، ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ [2] ، وقضاؤه ـ سبحانه وتعالى ـ مبرم ، ﴿ **ما يبدل القول لدىَّ وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ [3] .

وكما أنزل الإنسان من بطن أمه فى يوم معلوم ، يدخله فى بطن الأرض فى يوم معلوم ،ويخرجه منها كذلك فى يوم معلوم ، فلماذا الشك إذن فى هذه الأطوار ؟! .

﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾ معنى « قتل » فى العربية : تم قتله ، فهل هذا هو المعنى المراد ؟ لا ، بل إن هذا التعبير بالقتل جار على عادة العرب فى كلامهم ، فإذا غضب أحدهم على آخر قال : قُتِلَ فلان : فعل كذا وكذا . والغرض من ذلك : التوبيخ ، وكأن الله ـ تعالى ـ يوبخ الإنسان ، حين يقول (قتل الإنسان) ، فحقيقة القتل غير موجودة .

(ما أكفره) : ما الذى جعله يكفر بربه ؟ .

﴿ **من أى شئ خلقه** ﴾ : فيها عتاب وملاطفة للإنسان : لم تكفر يا ابن آدم بربك الذى خلقك ؟! ، والكفر : إنكار الإله ، مثل الشيوعية ـ لعنة الله عليها ، وعلى من يعتنقونها .

الصنعة والصانع :

لو رأيت جهازاً صناعياً ، فهل تنكر صنعه ؟ وتقول إن هذا الجهاز وجد من غير صانع ؟ لو قلت ذلك لأشبهت المجنون الذى لا عقل له .

---

(١) ٨١ : يس .

(٢) ٣٤ : الأعراف .

(٣) ٢٩ : ق .

فاذهب إلى الشيوعى وقل له : من الذى صنع هذا الجهاز ؟ ومن رتبه وجمله بعد أن كان قطعاً صغيرة لا تساوى شيئاً ؟ .

فالحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول للإنسان : أتنكر أنى خلقتك ؟ ، أما تذكر أنك كنت قطعة من لحم ، ابتداؤها من نطفه ؟ فمن الذى طور النطفة من حال إلى حال ؟ ، هل تطورت وحدها ؟ ، كيف أنكرت ربك ـ وهو الذى صورك وأنشأك من العدم ؟ .

فهذا رد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الكفار ، ألا يفكرون فى خالقهم ؟، ألا يفكرون من أى شئ خلقوا ؟ لقد خلقوا من نطفة مهينة لا قيمة لها ، منها أصبح الإنسان بهذه الصورة السوية المكتملة .

﴿ **ثم السبيل يسَّره** ﴾ : السبيل هو الباب ،وهو الفرج الذى خرج منه من بطن أمه إلى الدنيا ، فبعد أن خلقه الله ـ تعالى ـ فى بطن أمه هداه إلى الباب الذى يخرج منه إلى الدنيا .

وبعد الولادة ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ [1] : الثديين ، عرفناه طريقهما ليرضع منهما اللبن ، فالله ـ تعالى ـ هو الذى تولاه فى بطن أمه ، ويتولاه بعد نزوله منها إلى الدنيا بالرزق .

عودة إلى مسألة « منع الحمل » :

فلماذا تمنع أيها الإنسان امرأتك من الحمل ؟ هل أنت تطعم الجنين وهو فى بطن أمه ؟ ، ﴿ **فى قرار مكين** ﴾ [2] قرار : محل ، مكين : لا يصل إليه فيه حر ولا برد ، ثم كساه غلافاً سميكاً ، وهو المشيمة ، حتى لا يناله أىُّ أذى ، وهذه هى الحكمة الكبرى التى يجب على المؤمن أن يعقلها ، فكما تولى الله ـ تعالى ـ عبده وهو جنين بالتغذية والحماية ، فى

---

(١) ١٠ : البلد .

(٢) ١٣ : المؤمنون .

هذا المكان الضيق المظلم ، من غير سعى ولا طلب للرزق ، فإنه سيتولاه عندما يولد ويحيا على وجه الأرض الواسعة ، ويهديه إلى السعى والطلب ، سبحانه ، هو اللطيف الخبير :

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فثق بالواحد الأحد العلى

فكم لله من لطف خفى ... يغيب خفاه عن فهم الذكى

وكم أمر تساء به صباحاً ... وتأتيك المسرة فى العشى

توسل بالنبى فكل عبد ... يجاب إذا توسل بالنبى

لطف الله الخفى هو الذى أنمى الجنين ، وغذاه فى بطن أمه ، من غير أن يتحرك أو يسعى لطلب الرزق ، فهل يعقل بعد ذلك أن يمنع الإنسان المؤمن زوجته من الحمل ؟ هل له فى الملك شئ ؟ إن كان لا يملك فلم يدعى التدبير ؟!!، فعليه أن يشغل نفسه بما هو فى قدرته واستطاعته .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ [1] : البذرة فى صلبك ، والأرض أمامك وأنت تزرع ، والله ـ سبحانه ـ يتولى الأمر بعنايته .

﴿ **فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾ أى فى أى وقت ، من صبح ، أو ظهر ، أو ليل ولكن : لا توطأ المرأة إلا فى المحل المعين لذلك .

﴿ **وقدموا لأنفسكم** ﴾ : أى أمامكم الدار الآخرة ، فاعملوا لها .

﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ [2] ، ولولا قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [3] ما عاشر رجل امرأة ، فالمودة هى من أهم الأسباب التى تدعو إلى المحبة ، كإعجاب الرجل بجمال زوجته ، وإعجابها به ، والرحمة : الشفقة بها

---

(١) ٢٢٣ : البقرة .

(٢) ٧٤ : الفرقان .

(٣) ٢١ : الروم .

تشفق المرأة على زوجها ، ويشفق الرجل على امرأته . وإنما قدم المودة على الرحمة ؛ لأنَّ المودة سبب فى الرحمة ، فإذا ملئت القلوب بالمحبة تراحمت فيما بينها .

س : هل قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (خيركم بعد الألف من لا زوجة له ولا ولد) ؟

جـ ـ معاذ الله أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال ذلك ؛ لأنَّ الحديث لا يتعارض مع القرآن ،وهذا القول يتعارض مع قوله ـ تعالى ـ :﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** ﴾ (١)، فهذا الحديث الذى تسأل عنه ليس صحيحاً .

ولكن الحديث الصحيح لا يتعارض مع القرآن ، كقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » فإنه يوافق قوله ـ تعالى ـ ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ (٢) .

وإذا تعارض معنى حديثين ، أحدهما يأمر بشئ ، والآخر ينهى عنه ، فإن علماء الحديث ينظرون فى إسناد كل منهما ،ويقدمون الأصح على الصحيح ، والصحيح على الضعيف . والحديث الصحيح يقول : «**تزوجوا الولود فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** » رواه الإمام أحمد وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة** » (٣) .

وعلى المسلم ألا ينشغل بهذه الاختلافات ، فالمسلم مطالب ـ شرعاً ـ بأن يتزوج المرأة الولود ، فإن كانت عاقراً ، فالرضا بالقضاء والقدر ،

---

(١) ٣ : النساء .

(٢) ١١٤ : هود .

(٣) رواه السيوطى فى الجامع الصغير .

﴿**ويجعل من يشاء عقيماً**﴾ [1] ، وإن أمكن العلاج وجب التداوى .

س : ما الذى يقصده المؤلف من قوله ـ فى كتاب الأوراد ـ : « وبألف الوصل الذى أقمت به الكائنات ؟

جـ ـ ألف الوصل إشارة إلى النور المحمدى الذى خلق الله منه الملائكة والعرش والكرسى ، وهذا النور المحمدى كان سبباً فى الوصل بين العباد وربهم ووصل بهم إلى التوحيد .

ألف إلى خير الأنام تشوقى باء بطه فرحتى فى الموقف

ويقول أبو البركات الدردير فى منظومته : ـ

وجد لى بجمع الجمع فضلا ومنة وداوى بوصل الوصل روحى من الضنا

وصل وسلم سيدى كل لمحة على المصطفى خير البرايا نبينا

مسألة فقهية :ـ

سئل الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ :

الذباب يقف على النجاسة ثم يقف على المصلى فما الحكم ؟

قال : لا تبطل الصلاة ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ [2] .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث البخارى :

« **إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء** » .

وقد قرر الطب الحديث هذه الحقيقة .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، ولو اجتمعوا له** ﴾ [3] ، فقالت اليهود : ما بال محمد يذكر فى كتابه

---

(١) ٥٠ : الشورى .

(٢) ٢٨٦ : البقرة .

(٣) ٧٣ : الحج .

المحقرات ؟ ، فنزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها** ﴾ (١) .

س : هل نطلب رؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

جـ : من الأدب أن نستعد لها ، فنعمل ما يقربها إلينا ،وذلك بكثرة الصلاة والتسليم عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

﴿ **ثم السبيل يسره** ﴾ : إذا أتم الجنين تسعة أشهر فى بطن أمه ، ضاقت به البطن ، فيخرجه الله ـ تعالى ـ من السبيل (الفرج) حتى يكبر فى الأرض الواسعة وحتى يخلو البطن لجنين آخر .. وهكذا .

وقد حبب الله ـ تعالى ـ الأطفال إلى جميع القلوب ،وقد سئل بعض الصالحين عن سر ذلك الحب ، فقال : لقربهم من الله ـ تعالى ـ وحداثة عهدهم به ـ سبحانه ـ . والطفل يولد قابضاً يديه إشارة إلى حرصه على الدنيا ، فإذا مات بسط يديه كناية عن خروجه منها صفر اليدين .

أما بكاء الوليد عند ولادته ، فذلك لأن إبليس اللعين يخزه ، فقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها** » (٢) .

وذلك لأن جدته ـ امرأة عمران ـ دعت لهما حين قالت : ﴿ **رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ (٣) .

الظهار :

إذا قال الرجل لزوجته : أنتِ علىَّ كظهر أمى ، فهذا هو الظهار وقد

---

(١) ٢٦ : البقرة .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) ٣٦ : آل عمران .

حرمه الله ـ تعالى ـ فى أول سورة المجادلة ، لأن أم الإنسان هى المرأة التى ولدته ، ومن قال هذا فعليه كفارة الظهار ـ إذا أراد أن يعود إليها ليجامعها ، وهى تحرير رقبة مؤمنة سليمة من العيوب ، فإن عجز عن ذلك فعليه صيام شهرين متتابعين ، والتتابع شرط فى كفارة الظهار .

فمن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكيناً ، لكل مسكين مد وثلثان ـ بمد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا على مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ .

﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾بعد أن انتهى عمره أخرج الله روحه من جسده ، وجعل له قبراً فى الأرض ، فخروج الروح يسمى الموت ، والأرض التى يوضع فيها جسد الميت هى القبر .

قال الله ـ تعالى ـ :﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ (١) .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة ، كما تراءون الكواكب فى السماء** » (٢) .

---

(١) ١٦٣ : آل عمران .

(٢) رواه مسلم عن سهل بن سعد .

الدرس الثامن

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ **إذَا جَاءَ نصرُ الله والفَتْحُ . ورأيتَ النَّاسَ يَدخُلونَ فِى دينِ الله أفواجاً . فَسَبِّح بحمدِ ربِّكَ واستغفره إنَّه كَانَ توابا** ﴾ (١) .

مادام الإنسان حياً ، فهو فى كفاح وحرب متصلة ، أمام جيوش الشياطين والنفس والهوى ، ولا ينصره إلا الله ، سبحانه وتعالى ، فعليك أن تنظر دائماً لنفسك هل جاءك نصر الله وفتحه أم لا ؟

﴿ **إذَا جَاءَ نَصرُ الله** ﴾ على عدو الإنسان وعدو الله ، فبعد أن كان لا يصلى جاءه نصر الله ، فأصبح يصلى ، وخلصه الله ـ تعالى ـ من ترك الواجبات وفعل المخالفات ، نصره الله فترك الزنا ، وترك الخمر ، وترك الحرام كله ، نصره الله ، فأدى الواجبات كلها .

أما الفتح ، فإنك إذا وقفت للصلاة وكبرت فهذا فتح من الله ،وإذا لبست ملابس الإحرام ، ولبيت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، فهى تلبية وفتح ، وإذا صام الإنسان لله فهذا فتح ، وإذا تصدق فهو فتح ، وإذا ذكر الله ـ تعالى ـ فهو فتح ، وإذا قرأ القرآن فهو فتح ، وإذا درس العلم فهو فتح ، وإذا أصلح بين الناس فهو فتح ، وإذا نهى عن المنكر ودل على الخير فهو فتح .

﴿ **إذَا جَاءَ نصرُ الله والفَتْحُ** ﴾ لك أيها المؤمن ، ففكر كيف نصرك الله وفتح عليك فأد شكر الله ، وهو أن تقول : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم ، أستغفر الله العظيم .

ولا ينس الإنسان أنه فى حرب ، ولا ينتظر الفتح قبل النصر ، فإن الفتح إذا ارتكب الإنسان معه المعصية فلا ينفع ، ولا يكون كاملاً ، إنما

---

(١) سورة النصر .

النصر أولاً فى ترك المعاصى كلها ، صغيرها وكبيرها ، ثم يأتى الفتح كاملاً ، مبيناً ، عظيماً ، أما الفتح مع وجود المعاصى فهو كما يختلط الفحم مع اللبن ، فلا يصلح اللبن .

فإذا جاءك نصر الله : على نفسك ، وشيطانك ، وما يغضب ربك ، فقد رضى ربك عنك ، ورضا الله ـ تعالى ـ يتحقق إذا تركنا المعاصى .

فإذا أردت الفتح فاترك المعاصى ، ليرضى عنك ربك ، فيفتح لك أبواب الخير فى الدنيا ، وفى البرزخ ، وفى يوم القيامة ، فإذا رضى عنك ربك قربك من بابه ، وإذا قربك من بابه ألهمك أن تطرق الباب ، فإذا طرقت الباب فتح لك ، فتنال مقام المناجاة فى الصلوات الخمس .

قال المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **إنَّ المصلى يناجى ربه ـ عز وجل ـ فلينظر بم يناجيه** » (١)

فإذا أدخلك الله ـ تعالى ـ من الباب فقد كلمك ، وكلامه أفضل من كلامك . وحين أمرك أن تناجيه بكلامه فتقول (الحمد لله رب العالمين) فقد فتح لك . لكى تدخل ، وتقف لتناجى ربك بكلامه الذى هو أفضل الكلام .

فمن رحمته أن جعلك أنت أيها الإنسان الفانى الضعيف تنطق بكلامه ـ تعالى ـ : ﴿ **أَلَمْ نَجعل لَّهُ عَيْنَين ولسانًا وشَفَتَين** ﴾ (٢) ، ﴿ **وَلَقَدْ كرَّمنَا بَنِى آدَمَ** ﴾ (٣) ، بأن جعله الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتكلم بلسانه وشفتيه بكلامه ـ جل وعز ـ .

---

(١) من حديث رواه الإمام أحمد فى المسند عن فروة بن عمرو .

(٢) ٨ ، ٩ : البلد .

(٣) ٧٠ : الإسراء .

مع العارفين :

والعارفون لهم فى هذا الباب علم وحال ، فهم يتلون القرآن ، وكأنهم يسمعونه من الله ـ تبارك وتعالى ـ أو من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو من جبريل ـ عليه السلام ـ ولكن هذا لا يكون إلا لمن فنيت نفسه عن الشهوات وصار يقرأ القرآن بروحه المستنيرة ، يقول الشيخ الدردير ـ رضى الله عنه ـ :

ويا باقياً بك أبقنا فيك أفنا

والصوفية يعرفون فناء الأعمال حق المعرفة ، وهذا أمر لا يدركه إلا من جاهد وكان فى مثل درجاتهم ، فإن الصحيح يجد طعم السكر حلواً ، بخلاف السقيم فإنه يرى فيه غير ذلك :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وفى نفسك أشياء ، منها الصواب ، ومنها الخطأ ، فإذا جاءك نصر الله فقد ألهمك الصواب ، وإذا ألهمك الصواب فتح لك أبواب الخير ، فإن الرزق منه ـ سبحانه ـ ، والتوكل عليه ، فإذا نلت هذا فقل : اللهم لك الحمد .

ومن فتح الله ـ تعالى ـ على عبده أن يجعله متبرئاً من حوله وقوته أمام ربه ، فالذى جعله يصلى هو الله ، والذى وفقه لقراءة القرآن هو الله ، والذى جعله يتصدق هو الله ، ﴿ **وَمَا رَمَيتَ إِذْ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى** ﴾ [1] فعندئذ ينسى العبد نفسه ويتذكر الله القوى العزيز الذى لا حول ولا قوة إلا به .

قال بعض العارفين ـ فى طلب حسن العاقبة ـ : لخير لى أن أبيت آثماً وأصبح نادماً ، من أن أبيت قائما وأصبح آثماً ..

---

(١) ١٧ : الأنفال .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ عند المتواضعين المنكسرين ، فيحب أن يرى عبده أمامه معترفاً بفاقته وجهله ، فيعلمه ويغنيه ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ جليل لا يرضى إلا عن عباده المتواضعين .

قال الله ـ تعالى ـ :﴿ **وجَاهِدُوا فى الله حقَّ جِهادِه هو اجتباكم** ﴾ (١) .

وقد استفاد البرعى ـ رحمه الله ـ من معنى الجهاد فى الآية فأنشد :

وجاهد النفس فى هواها إن اتباع الهوى هوان

فالجهاد : استعمال العقل ،واستحضار أنواره .

فمثلاً : الزنا حرام ،والنفس الظلمانية تميل إليه ، وتقويمها يكون بأن تذكرها بأن الزنا حرام ، وأن تجاهدها حتى تخضع وتنفر من الزنا .

فعليك أن تجاهد نفسك ، حتى تجتنب المحرمات .

نصيحة غالية :

كان هناك شيخ ـ فى دنقلا بشمال السودان ـ اسمه « صالح على » كلما قام إلى صلاته جاءه الوسواس، فذهب إلى رجل عارف ، وسأله أن يصف له علاجاً ، فقال له : جاهد نفسك ، جاهد نفسك ، جاهد نفسك ، فظل الرجل يعمل بالنصيحة ، حتى ذهب عنه الوسواس .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : «**جاء ناس من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسألوه :إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان** » .

قال الشيخ أحمد بن زروق المالكى الأزهرى :

« إذا وسوس لك الشيطان بشئ فلا تجادله ، لأنك إذا جادلته فقد مكنته منك وأنشد :

---

(١) ٧٨ : الحج .

وما به يوسوس الشيطان والقلب يأباه هو الإيمان

فلا تجادل عنده اللعينا لأنه يزيده تمكينا

قاعدة أسسها زروق ولم تزل أقواله تروق

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **إن الشيطان واضع خطمه « أى خرطومه » على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله ـ تعالى ـ خنس « أى رجع ،وخنّاس أى رجاع » وإن نسى الله ـ تعالى ـ التقم قلبه** » [1] وصار يملى عليه الأمانى حتى يوقعه فى المعصية التى تؤدى به إلى غضب الله ـ تعالى ـ .

وهو يوسوس لكل إنسان بما يحبه ويهواه ، فعاشق المال يوسوس له قائلاً : لو كان معك ألف جنية لفعلت كذا وكذا ، والذى يحب السيارات يوسوس له : لو كان عندك سيارة ... إلخ .

﴿ **وقُلْ جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إن الباطل كانَ زهُوقاً** ﴾ [2] . سبحان الله .

﴿ **مَا فَرَّطنَا فى الكتاب مِنْ شئ** ﴾ [3] فى الدنيا ولا فى الآخرة ، سواء عظم هذا الشئ أم قلت عظمته .

يقول أحد العارفين فى مناجاته :

« وقد أبهمت علينا الأمر لنخاف ونرجو ، فآمن خوفنا يارب من النار ، بإدخالنا الجنة ، وحقق رجاءنا فيك » .

لأن الخوف من الله ـ تعالى ـ عبادة .

---

(١) رواه أبو يعلى وابن عدى فى الكامل .

(٢) ٨١ : الإسراء .

(٣) ٣٨ : الأنعام .

حديث : قال المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم : ـ

« **أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له** » رواه البخارى عن أنس . فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخاف من جلال الله وعظمته وسلطانه .

قال شيخنا الشنقيطى ـ رحمه الله ـ فى معنى « وأعوذ بك منك » :

«هذا هو مقام الجلال ، خاف من عظمة الله وجلاله ، ومقام الجلال غير مقام الجمال ، ومن أسماء الله الحسنى : ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ فإذا تجلى عليه بالجلال كان خائفاً ، وإذا تجلى بالإكرام أصبح آمناً » .

وقال سيدى ابن عطاء الله السكندرى :

من علامات الاعتماد على العمل : نقصان الرجاء عند وجود الزلل ، يقول : إذا كنت قد تعبدت كثيراً ، فهل اعتمدت على عملك أم على ربك ، فإذا كنت قد عبدت ربك كثيراً ، وقرأت القرآن كثيراً وحصل منك ذنب ، فسارعت إلى التوبة منه إلى الله ـ تعالى ـ دل ذلك على أنك تعتمد على ربك ، أما إذا أغضبت ربك ولم تتب إليه ، فإن ذلك يدل على أنك كنت معتمداً على عملك فقط .

قال شيخنا الشنقيطى ـ رحمه الله ـ

« إن لله ـ تعالى ـ مكراً يمكر به بإبليس ، فيسلطه ، ويجعله مسلطاً على الصالحين ، فإذا استجابوا له ، وفعلوا ذنباً ، ثم تابوا ، وندموا ندماً شديداً ، رفعهم الله بذلك درجة ، فيغضب إبليس ويتحسر على ذلك » .

قال ابن عطاء الله السكندرى :

« رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً »

مسائل فى الحج :

الإحرام لابد فيه من النية ، ويشترط فيه أن يتجرد الرجل من كل ملابسه المحيطة والمخيطة ، ويلبس الرداء والإزار ، وذلك قبل أن يتعدى ميقات الإحرام .

ثم ينوى وهو فى النية على ثلاثة أحوال :

إما أن يكون متمتعاً ، أو قارناً ، أومفرداً :

فإن كان متمتعاً قال : نويت العمرة ، وأحرمت بها لله ـ تعالى ـ ،وهذا عليه هدى لقوله ـ تعالى ـ :﴿ **فَمَنْ تَمَتَّعَ بالعمرةِ إلى الحجِّ فما استَيْسَرَ مِن الهَدْيِ** ﴾ (١) .

وإن كان قارناً قال : نويت الحج والعمرة ، وأحرمت بهما لله ـ تعالى ـ وهذا يبقى على إحرامه إلى يوم العيد ، وعليه هدى .

وإن كان مفرداً قال : نويت الحج ، وأحرمت به لله ـ تعالى ـ ، وهذا يبقى على إحرامه إلى يوم العيد ـ أيضاً ـ ولكن لا هدى عليه .

ثم يشرع فى التلبية ، وهى واجبة ،ولفظها الوارد عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك** » .

وإذا كان المسافر ـ للحج أو العمرة ـ سيركب الطائرة ، فإحرامه يكون من المطار ، وإذا كان سفره بالباخرة ، فإحرامه يكون من الميقات المحدد له . هذا إذا كان سيقصد مكة أولاً ، أما إذا كان قاصداً المدينة لزيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وللصلاة فى مسجده المبارك ، فإنه يذهب إلى المدينة بغير إحرام ولا نية حج أو عمرة ، ثم يحرم بعد الزيارة

---

(١) ١٩٦ : البقرة .

بالحج أو العمرة من ميقات أهل المدينة ، وهو ذو الحليفة « آبار على » ثم يدخل مكة محرماً .

وإذا نوى السفر إلى المدينة ، ثم فوجئ عند وصوله إلى جدة بمن يخبره بأن السفر إلى المدينة ممنوع فى ذلك اليوم ـ لعلة ما ـ فيجب عليه عندئذ أن يحرم من جدة ، ثم يدخل مكة محرماً ، فيغتسل غسل الإحرام ، ويصلى ركعتين سنة الإحرام ، ويلبس الرداء والإزار ، وينوى ـ الحج أو العمرة أو هما معاً حسب نيته ـ ثم يلبى .

أما إذا نوى السفر إلى مكة ، ولكنه تعدى الميقات من غير أن يحرم حتى وصل إلى جدة ، فيجب عليه حينئذ هدى ، لأنه تعدى الميقات بغير إحرام .

ومكة حرم ، والمدينة أيضاً حرم :

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« إن إبراهيم حرَّم مكة ، ودعالها ، وحرَّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل مادعا إبراهيم لمكة » [1] .

والفرق بين حرم مكة وحرم المدينة :

أن حرم مكة لا يجوز لك أن تدخله إلا وأنت محرم بحج أو عمرة .

أما حرم المدينة فيجوز لك أن تدخله بغير إحرام .

ويحرم الصيد فى حرم مكة وعليه الجزاء ، وكذلك يحرم الصيد فى حرم المدينة والتعرض له ، ولكن لا جزاء عليه إن فعل ذلك ، كما يحرم الأكل منه .

ويحرم قطع الشجر فى الحرمين ولا فدية فيه ، إلا الإذخر والسنا والسواك والعصا .

---

(١) رواه البخارى .

الفدية : تجب الفدية عن كل شئ يترفه به أو يزال به أذى مما حرم على المحرم ، أنواعها : هى ثلاثة أنواع على التخيير

الأول : شاة أو بقرة أو جمل .

والثانى : إطعام ستة مساكين لكل واحد منهم مدان « ثلثا قدح مصرى » .

والثالث : صيام ثلاثة أيام ، ولو أيام منى .

النفس والروح :

طبيعة الإنسان حارة ، يعنى أن النفس حارة ، وتشبه النفس الحار ، والروح تشبه الشئ البارد ، والإنسان له طبيعة تسمى الفطرة ،وفطرة الجسد تحب الجماع وفى هذه الحالة تكون طبيعة الإنسان حارة في طلبها ، فوظيفة الروح مثل الشتاء ، . لماذا ؟ لأن البرد والحر لا يجتمعان فى وقت واحد فى الدنيا ، فالبرد ينفر من الحر ، والحر ينفر من البرد ، والروح تكره الحر ،والنفس تحب كل شئ .

فصيف النفس : ﴿ **إنَّ النفسَ لأمّارةٌ بالسُّوء** ﴾ (١) .

وشتاء الروح : ﴿ **يَا أيتُها النَّفسُ المطمئنّة ارجعى إلى ربِّك راضيةً مرضيّة** ﴾ (٢) .

العقل : نور رحمانى ، تدرك النفس به العلوم العقلية والضرورية ، مسكنه قلبك ، وله شعاع يتصل بالرأس .

مسألة : الولد إذا مات قبل أبيه لا يرث أولاده إلا عن طريق الوصية الواجبة .

فمثلاً : هناك رجل غنى ، وعنده ولد مات فى حياته وترك زوجة

---

(١) ٥٣ : يوسف .

(٢) ٢٧ : ٢٨ : الفجر .

وأولاداً فيستحب شرعاً لأبيه أن يوصى لهم قائلاً : أولاد ابنى بعد أن أموت لهم كذا (قطعة أرض مثلاً) ، أو تقول المحكمة : نعطيه عن طريق الوصية لا عن طريق الوراثة بشرط ألا يتجاوز نصيبه أكثر من ثلث المال فإن زاد نصيبه عن الثلث وأجازه الورثة فبها ونعمت وإلا فيرد عليهم .

سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ :

هُو سيدنا موسى بن عمران ، ولد بمصر ودفن عند الكثيب الأحمر بفلسطين ، تسميته (موسى) اسم أعجمى وهو مركب والأصل موشى لأن الماء بالعبرانية يقال له (مو) والشجر يقال له (شى) فغيرته العرب فقالوه بالسين ، سُمِّىَ بذلك لأن فرعون أخذه من بين الماء والشجر حين وضعته أمه فى الصندوق وألقته فى اليم .

حبل الوريد :

هو ذلك العرق الذى يكون فى صفحة العنق ، إذا قطع مات الإنسان وهو الذى نقطعه عندماتذبح شاة أوبقرة .

فكيف لا يمنع الله ـ تعالى ـ الإنسان من قتل أخيه ،وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وهنا تأتى طاعة الأمر واجتناب النهى ، والأمر يكون بالإشارة ،والله ـ تعالى ـ قريب منا ، يقول لنا : لا تقربوا الزنا ، فمانريد أكثر من ذلك .

الولد عندما يقول له والده ، لا تسرق تراه ينتهى عن السرقة خوفاً من والده ، وفى هذا كفاية ،الله ـ تعالى ـ معنا ، ونحن نعتقد ذلك بقلوبنا ، فيكفى ذلك ، ويجب علينا أن نبتعد عما نهانا عنه لأنه معنا ويرانا وسوف يحاسبنا على الصغيروالكبير والنقير والقطمير ، أما أصحاب الأعذار فقد رفع الله عنهم القلم .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يشب ، وعن المعتوه حتى يعقل** » رواه الترمذى وابن ماجه .

وهناك : النائم ، والمتناوم ، فالنائم لا يسمع ،والمتناوم يسمع، فالنوم يمنع الإنسان من الحركة ، فإذا نام حتى تطلع عليه الشمس فلا ذنب عليه ، وإذا تناوم حتى تطلع الشمس فعليه الذنب .

صلاة الجماعة :

عن عبد الله بن أم مكتوم ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله : أنا ضرير شاسع الدار ـ أى بعيدها ـ ولى قائد لا يلائمنى ـ أى لا يوافقنى ـ فهل تجد لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ قال **رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « تسمع النداء ؟ قلت : نعم ، قال : ما أجد لك رخصة** » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

يوم البعث :

يبعث ابن آدم على الحالة التى كان عليها من جهة الخلقة ﴿ كَما بدأكُم تعودُونَ ﴾ (١) أما من جهة الهيئة فإنه يبعث على الحالة التى مات عليها ، إن كان سمينا يبعث سمينا ، وإن كان نحيفا يبعث نحيفا ، وإن كان قصيرا يبعث قصيرا وهكذا . أما من حيث الأعمال التى كانوا يعملونها فإنهم يحشرون عليها كذلك ـ قال عليه الصلاة والسلام ـ : «إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذابُ من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم» رواه البخارى .

الأطفال يوم البعث :

أما الأطفال فلهم حكم خاص . فأطفال المسلمين تبع لآبائهم فى

---

(١) ٢٩ : الأعراف .

الإيمان لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **والذين آمنُوا واتَّبعَتْهُم ذُرِّيَّتُهم بإيمانٍ ألحقْنَا بِهم ذُرِّيَّتَهم** ﴾ (١) .

فثبت بذلك أن ذرارى المؤمنين فى الجنة .

أما أطفال المشركين فقيل : هم فى الجنة ، وقيل : إنهم خدم أهل الجنة ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « **سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن ذرارى المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون عليها فيدخلون النار ولم تكن لهم حسنات يجازون بها فيكونون ملوك الجنة؟! فقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « من خدم الجنة »** رواه أبو داود وأبو نعيم .

حديث :

روى البخارى ومسلم عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : «**لتتبعن سَنَن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله آليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟**» .

وها هو ما يحدث الآن وقد صارت بناتنا وأولادنا يقلدونهم فى كل شئ ، فاللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

---

(١) ٢١ : الطور .

الدرس التاسع

فى بيان قول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم : ـ

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » [1] .

المسلمون الذين يحضرون إلى القاهرة لزيارة سيدنا أبى عبد الله الحسين فى مولده ـ رضى الله عنه ـ عملهم هذا مقرر شرعاً ، لأن زيارة القبور سنة قولية وفعلية ، لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها »

ومن باب أولى زيارة قبر المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، خلافاً لما ذكر ابن تيمية من تحريم شد الرحال إليها .

وقد أنصف الحافظ ابن حجر الهيثمى ـ رحمه الله ـ حين رد على ابن تيمية هذا [2] ، مقرراً أن ابن تيمية يخطئ ويصيب ،وما من معصوم بعد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

ثم إن عامة المسلمين الذين خصصوا يوماً فى العام يأتون فيه من بلادهم لزيارة سيدنا ومولانا الحسين تشهد لهم أحاديث عديدة من السنة ،وقد مكثت أبحث طوال عشرين سنة حتى وصلت إلى الآتى : ـ

روى الحافظ ابن سيد الناس فى كتابه « عيون الأثر » فى باب مناقب أهل بدر أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يزور شهداء بدر كل عام مرة .

هذا الحديث يؤخذ منه أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) فى كتابه « الدر المنظم فى زيارة القبر المعظم » .

يخصص يوماً فى السنة لشهداء بدر ـ يزورهم فيه ، كما يؤخذ منه أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه كانوا يشدون الرحال ، ويأخذون معهم المال والزاد ، مثل أهل مصر حينما يحضرون لزيارة الإمام الحسين ومعهم زادهم وطعامهم فيزورون ثم يرجعون .

وعندما طالعت أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خصص يوماً لزيارة الشهداء من الصحابة فرحت فرحاً شديداً .

والإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ يقول : العمل بالحديث الضعيف أحب إلىّ من آراء الرجال .

هذا مذهبه ، والحمد لله ، فإن الحديث الذى ذكرته حسن بأسانيده ، فهو أولى بالاتباع .

وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخصص يوم السبت لزيارة مسجد قباء . فهذه الأماكن بعيدة عن المدينة ، يحتاج المرتحل إليها إلى ركوب الدواب وشد الرحال إليها ، وإذا كان هذا قد ثبت وصح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو واجب الاتباع ، ولا عبرة بمخالفة ابن تيمية فى هذا ، لأنه ليس معصوماً ، بل هو عالم يجتهد ويخطئ ..

وأيضاً فإن علماء نجد يذهبون بالسيارات لزيارة قبر سيدنا حمزة وشهداء أحد كل حول مرة ، وهناك حديث آخر عن تخصيص يوم فى العام للزيارة مثلما يفعل المصريون الآن عندما يزورون سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ .

قال لى قائل : سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ شهيد فى الجنة ، فلمن يأتى الزائرون فى هذا الضريح ؟

فقلت له : نحن نصدق بأن سيدنا الحسين فى الجنة ،وحيث إنه قد

ورد أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد زار مقابر الشهداء ـ وهم فى الجنة ـ فنحن نقتدى بفعله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يزر الشهداء فقط ، بل خاطب أهل القليب [1] :

فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « **يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟! فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ يا رسول الله : ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : والذى نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** » رواه البخارى .

فسيدنا النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تكلم مع أموات الكفار بكلام الحى مع الحى فكيف إذا وقفنا أمام القبر الشريف ، وتكلمنا مع سيد العالمين ، بل نتكلم معه بما نحب أن نكلمه به ، فهو يسمعنا ، ويرانا ، ويعرف كلامنا ،وعلى هذا سار من قبلنا من العلماء والصالحين ،ونحن بسيرهم نسير ـ إن شاء الله ـ .

قاعدة شرعية :

وهناك قاعدة شرعية ، أقرها العلماء ، وهى تقول :

ما يوصل للواجب فهو واجب ، وما يوصل إلى السنة فهو سنة .

نعم يا أخى ! أليس الحاج مهاجراً ؟ فالمال الذى يدفعه أجرة للسفر واجب ويثاب عليه ثواب الواجب ، ومصاريف العمرة ثوابها كثواب السنة .. وهكذا ولو أن مسلماً دفن والده فى مكان بعيد عنه ، ورغب فى فعل سنة « زيارة قبر والده » ، فما يدفعه من مال ـ أجرة المواصلات

(١) مكان منخفض بيدر أمر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بإلقاء جثث الكفار فيه .

ـ يأخذ حكم السنة ، ويثاب عليه ثواب السنة ، فهو حينئذ يأخذ ثواب السنة ، وثواب الوسيلة التى توصل إليها . ولما كانت الصلاة فرضاً ، وكان الوضوء هو الوسيلة إليها ، أخذ الوضوء حكم الواجب ، لأنه لا يصلى إلابوضوء ، فجعله الله فرضاً ، وهكذا زيارة المقابر ، أما كلام ابن تيمية السابق ، فلكل عالم هفوة ،ولكل جواد كبوة .

قال الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ :

« كل ابن أنثى يؤخذ من كلامه ويرد ، إلا صاحب هذا القبر ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ »

فتوى بين إمامين :

كان الإمام الشافعى رضى الله ـ تعالى ـ عنه جالساً بين يدى الإمام مالك بن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ فجاء رجل فقال للإمام مالك : إنى رجل أبيع القمارى [1] ـ وإنى بعت فى يومى هذا قمرياً ، فردّه علىَّ المشترى وقال قمريُك لا يصيح ، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح ، فقال له الإمام مالك : طلقت زوجتك ، ولا سبيل لك عليها ، وكان الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة ، فقال لذلك الرجل : أيهما أكثر : صياح قُمريك أم سكوته ؟ فقال : لا ، بل صياحه ، فقال : لا طلاق عليك ، فعلم الإمام مالك بذلك فقال للشافعى : يا غلام من أين لك هذا ؟ فقال : لأنك حدثتنى عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت : يا رسول الله : إن أباجهم ، ومعاوية خطبانى ، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وقد علم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن أباجهم كان يأكل وينام ويستريح ،وقد قال : ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على المجاز ، والعرب

---

(١) جمع قمرىّ : طائر صغير من صنف الحمام .

تجعل أغلب الفعلين كمداومته ، ولما كان صياح قمرىّ هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائماً ، فتعجب الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ من احتجاجه ، وقال له : فقد آن لك أن تفتى ، فأفتى من ذلك الوقت [1] .

فلو أنى كنت موجوداً بالقاهرة ،وبلغنى عن طريق التلغراف أنه قد زاد الفيضان فى الترعة ،وكاد الزرع أن يغرق ، فواجب علىّ حينئذ السفر لكى أتمكن من فعل الواجب من دفع الضرر ،وحفظ المال ، الذى هو أحد الكليات الخمس الواجب حفظها شرعاً .

بيان شاف :

قال العلماء : (شد الرحال) خرجت مخرج الغالب ، كقوله ـ تعالى ـ ﴿ **وَرَبَآئِبُكُمُ اللاَّتِى فِى حُجُورِكُمْ** ﴾ [2] ، فهى محرمة ولو لم تُربَّ ، أما شد الرحال للصلاة وهو المقصود فى هذا الحديث فمعناه : لا ينتقل أحدكم من مسجد إلى مسجد آخر ، معتقداً بأن الصلاة فى المسجد المنتقل إليه أفضل . فلو أننى ذهبت إلى الصلاة فى مسجد الإمام الشافعى لأجل حاجة لى عند أحد الأصدقاء فالذهاب لهذا الغرض لا شئ فيه ..

ويستثنى من هذا العموم ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى ، فمعنى الحديث :

المساجد كلها متساوية فى الفضل ، فلا ينتقل أحدكم من مسجد إلى مسجد معتقداً أن الصلاة فيه أفضل ، ما لم يكن المنتقل إليه أحد المساجد الثلاثة ، وقد أخرج هذا الحديث البخارى ومسلم وغيرهما ،وشرح

---

(١) حياة الحيوان للدميرى .

(٢) ٢٣ : النساء .

الحفاظ هذه الكتب ولم يقل واحد منهم بأن الحديث وارد للنهى عن شد الرحال لزيارة القبور . فيجوز أن تنتقل من مسجد إلى مسجد لموعد مع أصحاب ، أو لسماع درس ، أو لسماع خطيب محبوب ، لا لأفضلية فى هذا المسجد عن غيره .

فالذين جاءوا لزيارة سيدنا الحسين فعلهم هذا سنة ، والمال الذى دفعوه فى القطار فى حكم السنة يثابون عليه ثواب السنة ،ومن يعترض عليهم مخطئ لأنه يعترض على أمر فعله النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

المخالفات فى بعض الموالد :

ولكن : ماذا عن الحرام والتجاوزات التى تحدث أثناء الزيارة ؟

قال العلماء : إن الحرام لا يحرم الحلال ، فلو أن رجلاً زنى بامرأة ، فإنه يجوز له أن يتزوجها ولو زنى بأمها يجوز له أن يتزوجها ، وهذا على رأى الجمهور والدليل على ذلك : ما أخرجه الطبرانى والدار قطنى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن رجل زنى بامرأة وأراد أن يتزوجها ، فقال : « أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال » .

وقال العلماء ـ أيضاً ـ إن الحرام لا يمنع الواجب ، فتبرج النساء حرام وصلاة الجمعة فرض عين ، فهل نترك الجمعة لأجل تبرج النساء ؟

فالحلال بين ، والحرام بين ، كذلك الأمر بالنسبة للزيارة فى الموالد ، فالزيارة سنة ، ونحن أتينا لنزور ، فمن يعمل حسنة تكتب له ،ومن يعمل ذنباً يكتب عليه . فالحرام حرام ولو فى الكعبة ، والحلال حلال ولو فى الكنيسة !!

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ (١) .

روى البخارى وغيره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« لا يؤمن أحدكم حتى تكون ذاتى أحب إليه من ذاته ، وعترتى (قرابتى) أحب إليه من عترته » .

وروى البخارى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار » .

قال العلماء : تارك الصلاة لا ثواب له أبداً ، سواء أحج ، أم تصدق ، أم زكى ، أم صام .

عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال : يا رسول الله أى الناس أحب إلى الله ؟ فقال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس** » (٢) .

قصة رؤيا :

وقد ذكر الغزالى فى « الإحياء » أن زبيدة بنت أبى جعفر المنصور ، زوجة هارون الرشيد جمعت أموالاً من الناس ، وحفرت « عين زبيدة » المشهورة بالحرم المكى ، فلما توفيت رآها إبراهيم بن إسحق الحربى فسألها : ماذا فعل الله بك ؟ قالت : غفر لى .. فقلت لها : بما أنفقت فى طريق مكة ؟ قالت : أما النفقات التى أنفقتها فقد عادت أجورها على أربابها .. وغفر لى بنيتى ..

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى

---

(١) ١٨ : فاطر .

(٢) رواه أبو القاسم الأصبهانى .

الله عليه وآله وسلم ـ : « ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

وفى رواية مسلم « ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » .. ورزأه : أى أخذ من ماله ونقصه .. فالطيور إذا أكلت وشبعت من الحب الذى يزرعه الفلاح : فإن مَلك اليمين يكتب بها صدقات للمزارع وشركائه على حسب نصيب كل شريك ..

عود إلى الزيارة

نعود إلى زوار سيدنا الحسين ، الذين يحبهم ويدعو لهم ، وكأنَّه يقول لهم : إن كنتم فى حاجة إلى أدلة على مشروعية الزيارة فاذهبوا إلى ابنى فى الأزهر ، ولا تسمعوا لأهل البغض والإنكار ..

تسمع أحدهم يقول : أنا لا أتوسل بالنبى .. ولو سألته عن معنى الوسيلة فإنه لا يعرفها .

الوسيلة هى السبب ، وهى الواسطة الموصلة إلى الشئ المراد .. بمعنى أن الإسلام والإيمان لايثبتان ولا يتحققان إلا بكلمة : محمد رسول الله . إذن : فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة لتحقيق الإسلام والإيمان قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **ألا لا إيمان لمن لا محبة له** » .

حياة الأنبياء فى قبورهم :

والله ـ تعالى ـ قد أحيا الأنبياء لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **... وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى**

قائم يصلى فإذا رجل ضرْب ـ أى خفيف اللحم ـ جعْد كأنه من رجال شنوءة ـ قبيلة من قبائل العرب ـ وإذا عيسى بن مريم قائم يصلى ، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم قائم يصلى ، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعنى نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم » .

ولقد عرفهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى بيت المقدس ـ أنبياء ومرسلين ،وعرفهم فى السموات ، واحداً واحداً ، كُلاً باسمه .

ولقد رأى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ يصلى عند قبره ، ففى صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **أتيت وفى رواية ـ مررت ـ على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره** » .

قال الإمام علىٌ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ :

الناس موتى وأهل العلم أحياء والجاهلون لأهل العلم أعداء

إمامة النبى للأنبياء :

والحكمة من صلاة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالأنبياء فى بيت المقدس ، تبيين فضله عليهم ، وقد روى أنهم بعد الصلاة أثنوا على ربهم فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **كلكم أثنى على ربه وإنى مثن على ربى ، فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا ،وأنزل علىَّ الفرقان فيه بيان لكل شئ ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ،وجعل أمتى أمة وسطا ،وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً خاتماً** » فقال إبراهيم عليه السلام ـ **بهذا فضلكم محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ** .

رواه ابن جرير الطبرى والبيهقى والحاكم .

ويوم الشفاعة : لماذا لم يأتوا للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مباشرة ؟

الجواب : ليعرف الجميع فضل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم القيامة على الأنبياء والمرسلين والناس أجمعين .

قال بعضهم : الأنبياء والمرسلون كانوا فى شوق لرؤيته ، فقد جمعهم الله فى الأزل ، وقال لهم : سأبعث نبياً يسمى محمداً ، أعاهدكم وتعاهدوننى على التصديق به ، فقالوا : نعم ، وعاهدهم وعاهدوه على أن يكونوا له جنداً ناصرين ، لهذا فإنهم كانوا متشوقين لرؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو الذى كان وسيلة فى نبوتهم ورسالتهم ، فكان الإيمان به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيلة إلى النبوة والرسالة .

والأنبياء متوسلون به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما أن سيدنا آدم قد توسل به فى غفران الخطيئة ، فغفر الله له ، فلما نظروا إليه عرفوه وكبروا ، ولا تقل : كيف رأى ربه وكلمه ، لأن كلامه ورؤيته ليسا ككلام الناس ورؤيتهم فإلى هنا تقف ،ولا تقل كيف ؟ ، لأن الله ـ سبحانه ـ لا ينحصر ولا يحد .

قال ـ سبحانه وتعالى ـ :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « رأيت ربى » أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ .

أول نفس قُتلت فى الأرض ـ هابيل ـ بسبب وسوسة إبليس لأخيه قابيل وتعليمه إياه كيف يقتله .

قال بعض العوام : إبليس لما عصى الله .. من كان إبليسه ؟

إنهم غفلوا عن مصدر الوسوسة ، إنها نفس إبليس الظلمانية .

---

(١) ١١ : الشورى .

أما أهل السعادة فهم ميسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فهم ميسرون لعمل أهل الشقاوة .

معنى (وسراجاً منيراً) : الشمس : سراج ، والقمر : منير ، فأنت الشمس والقمر ، وكأن الله ـ تعالى ـ قد أعطى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الجمال ، فكسا جماله بجلاله ، فصارت الأعين لا تقوى على النظر إليه ، لا فى صغره ،ولا فى كبره ، قال ابن الفارض :

بجمال حجبته بجلال هام واستعذب العذاب هناك

بالجمال المحمدى المحجوب بالجلال الإلهى هام ابن الفارض ، واستعذب عذاب الشوق والوجد .

وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما نظر فى حياته إلى امرأة بشهوة محرمة ،وما نظرت إليه امرأة بشهوة محرمة .

(س) هل يتزوج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ امرأة فرعون ؟

(جـ) نعم فهى بكر ، فقد كان فرعون إذا اقترب منها يصرع ، فعاشت معه بكراً لأنها ستصير زوجاً للمصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الجنة .

الدرس العاشر

عن سيدنا ومولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال :

« من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده »

صدق رسول الله .

والتفقه فى الدين : أن يتعلم الرجل الواجبات التى أوجبها الله عليه ليفعلها ، وأن يعلم المحرمات التى حرمها الله ـ تعالى ـ عليه حتى يتجنبها ، فمن فعل الواجب كما ينبغى ،وانتهى عن الحرام كما ينبغى فهو من أهل الجنة .

وإنما خلق الإنسان فى الدنيا ليكون ممتثلاً لأوامر ربه ،ولا خير فيمن لم يكن كذلك ، كما قال الشاعر المؤمن :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تجرد عرياناً ولو كان كاسياً

وخير فعال المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وللتقوى مظاهر فى الدنيا قبل الآخرة ، تظهر على صاحبها ، تدل على رضوان الله ـ تعالى ـ عليه ، وكذا للمعاصى ،وهذه المظاهر والآثار إنما تكون فى القلب ، فإذا كان تقياً ظهرت آثار التقوى على قلبه ، إيماناً وحباً وتقرباً لله ،ويشرح الله ـ تعالى ـ صدره ، وييسر له أمره ، كما أن المعاصى تظهر آثارها فى القلب ، بضيق الصدر ، وكثرة الهم والغم والوساوس من الشيطان الرجيم .

فالعبد إما مع الرحمن ، وإما مع الشيطان ، فإذا كان مع الرحمن حصل له ما يدل على قربه منه ـ تعالى ـ ، وإذا كان مع الشيطان حصل له ما يدل على قربه منه والعياذ بالله ، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذين آمَنوا يُخرجُهُمْ من الظُّلُمَاتِ إلى النُّور والَّذين كَفَرُوا**

﴿ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجونَهُمْ من النُّورِ إلى الظُّلُمات ﴾ [1] فإن كنت مؤمناً حقاً عرفت هل أنت فى نور أم فى ظلام ، ومن لم يعرف ذلك كان فى حزب البهائم .

يقول سيدى عمر بن الفارض ـ سلطان العاشقين :

صارت جبالى دكاً من خشية المتجلى

يعنى : جوارحى خشعت ، وأطاعت ربها من خشية التجلى الربانى .

﴿ إِنَّ فى ذَلِكَ لَذِكْرى لِمَن كانَ لَهُ قَلْبٌ أو ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيد ﴾ [2] ، أما من لا قلب له ، فالقرآن لا ينفعه بشئ .

﴿ ألاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلوب ﴾ [3] ، أى يخرج منها الهم والفزع

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلاً رأيت جميع العالمين ملاحاً

تعجبت الملائكة فكانت أول المتعجبين : كيف صير الطين والفخار عظاماً ، ولحماً ، ودماً ، يبصر ويسمع وينطق ؟ ! ، فمن له قلب يقرأ كلام الله ، ويفهم كل حرف فيه ، ويعبد الله ـ تعالى ـ كالملائكة ـ كيف جمع الله فيه بين الطين والفخار والعظم واللحم والدم والروح ..

فالروح عالم خاص ، لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ ، وهى سر عظيم ، فأنت مظهر للعجائب كما قال الإمام على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ:

دواؤك فيك ولا تشعر ودواؤك منك ولا تبصر

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الظل لقدرة الله ـ تعالى ـ ، ولولا الشمس ما ظهر الظل ..

---

(١) ٢٥٧ : البقرة .

(٢) ٣٧ : ق .

(٣) ٢٨ : الرعد .

ترجو البقاء بدار لا ثبات بها فهل سمعت بظل غير منتقل

ويقول البارودى :

إن الحياة لثوب سوف تخلعه وكل ثوب إذا مارث ينخلع

ويقول آخر :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول

فى كل يوم تُرجِّى أن تتوب به لكن عهدك بالتسويف محلول

يقول المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ،ويلهمه رشده** »

لأن الله ـ تعالى ـ قال :﴿ **وَكَذلكَ أوْحَيْنا إلَيك رُوحاً مِنْ أمرنا** ﴾ (١) ، وهو القرآن العظيم .

قال الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ : حياة العالم شجاعته ، والعالم بغير شجاعة كالميت وهل الميت ينتفع به ؟ « **والعلماء ورثة الأنبياء** » (٢) ـ كما قال المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيجب عليهم أن يبلغوا دين الله وشرعه ، فإن ماتوا ماتوا شهداء ، وإن عاشوا عاشوا أعزاء أمام الله ـ تبارك وتعالى ـ ، شهداء عنده ، وقد أوحى الله ـ تعالى ـ إلى الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ : « **يا إبراهيم إنى عليم ، وأحب كل عليم** » ، رواه أبو نعيم فى الحلية يعنى : وأكره الجهلاء ، وقال المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :« تخلقوا بأخلاق الله » يعنى : الله كريم ، فكونوا كرماء ، وهو حليم فكونوا حلماء .

---

(١) ٥٢ : الشورى .

(٢) رواه ابن النجار عن أنس ـ رضى الله عنه ـ .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » رواه أبو داود والترمذى وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **من لا يرحم لا يرحم** » رواه الترمذى .

دخل الأقرع بن حابس ـ من كبراء العرب ـ على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فوجده يقبل الحسن أو الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ فقال : يا رسول الله : إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم ، فقال : ـ عليه الصلاة والسلام ـ :« من لا يرحم لا يرحم » وفى رواية ، أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » .

قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » .

الفقه فى اللغة هو الفهم ، وعرَّفه العلماء بأنه الأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية « القرآن والسنة النبوية » .

فالقرآن والسنة ، دليل إجمالى . وقوله ـ تعالى ـ :﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ** ﴾ [1] دليل تفصيلى ، قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إنما الأعمال بالنيات** » [2] دليل تفصيلى يؤخذ منه وجوب النية فى الأعمال كلها . ومن لم يعلم الأحكام وجب عليه تقليد إمام من المجتهدين الذين استنبطوا الأحكام التفصيلية من أدلتها الإجمالية ..

وأما من يقول لا أتبع الأئمة ، فهو أجهل من حمار أم عمرو :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

وقد قال الإمام إبراهيم اللقانى ـ فى منظومته جوهرة التوحيد ـ :

---

(١) ٥٦ : النور .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن عمر ـ رضى الله عنه ـ .

فمـا لك وسـائر الأئمة كذا أبو الـقاسم هـداة الأمة

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

قـال لى رجل : أنا لا أقلد مذهبـاً ، بل أسـير على الكتـاب والسنة ، فـقلـت له : أسـألك بالله : هل تحـفظ القـرآن والسنة ؟ قـال : لا ليس بواجب .قلت له : أنت إذن تدخل فـيمن قـال الله فيـهم : ﴿ **ومَن أظلَمُ ممَّنِ افْتَـرَى عَلى الله كَذِباً** ﴾ [1] فقـد افتريت على الله ـ تعـالى ـ وادعيت أنك تحفظ كـتابه وأنت جاهل به ، وافتـريت على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وادعـيت أنك تعـمل بالسنة وأنت جـاهل بالسنة ، وبعض الناس يتكلمون بـجرأة على الله ـ تعالى ـ ، لأنه احـتجب عنهم ، ولو لا ذلك لتدكدكوا كالجبل .

رؤيا :

رأيت ـ فى النوم ـ رجـلاً بلحيـة ، أمسـكه أربعة مـلائكة ، كل ملك أخذ بيـد أو رجل ، وكان قـد أكل حراماً ، فـآلمته بطنه ، ولم يـستطع أن يضع يده علـيـهـا ، فـبكـيت كـثـيـراً ، وقـلت : يارب : لا إله إلا أنت سبـحانك إنـى كنت من الظالمين .. فيـجب أن نستـيقظ قـبل أن يوقظنا الموت ، فالنـاس نيام فإذا مـاتوا انتبـهوا ﴿ **وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَـاذَا تَكْسِبُ غداً** ﴾ [2] ، فإما حـياة فيلقى ما لقيه الأحـياء ، وإما موت فيلقى مـا لقيه الأمـوات ، وكل واحد مـنا لا يدرى هل يصبـح ميـتـاً ، فيـغـسل ويكفن ويدفن تحت التراب ؟ أو يصبح مع الأحياء ؟

﴿ **اللَّهُ يَتَوفَّى الأنفُسَ حين مَـوْتِها والتى لَـم تَمُت فِى منَامِها فَـيُمسِكُ**

---

(١) ٩٣ : الأنعام .

(٢) ٣٤ : لقمان .

التى قَضَى عَلَيْها الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسَمًّى ﴾ [1] .

قيل لسيدنا على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ : كم ما بين الدنيا والآخرة ؟

قال : نَفَسٌ واحد فإذا خرج ولم يعد وصل الإنسان إلى الآخرة .

عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أوحى الله ـ تعالى ـ إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها ،فقال : يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال : اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعّر فى ساعة قط » رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب ، ومعنى لم يتمعَّر فىَّ أى لم يتغير ولم يغضب تحت وسادته قبل أن ينام ، ﴿ **وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعلُ بى وَلاَ بِكُمْ** ﴾ [2] ، ﴿ **فإذا جاء أجلهم لاَ يستأخرون سَاعةً وَلا يَسْتَقْدِمونَ** ﴾ [3] .

ويجب أن تعتقد فى ربك عقيدة صحيحة ، تتعلمها من العلماء ، وتعرف نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتعرف قدره ومقداره عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ ...

حكم من سب نبياً أو ملكاً :

قال المالكية : من سب من المسلمين المكلفين نبياً مجمعاً على نبوته يقتل بدون استتابة ولا تقبل توبته من حيث قتله ، فإن تاب قتل حدّا بمعنى أنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويورث . أما الساب الكافر أصلا

---

(١) ٤٢ : الزمر .

(٢) ٩ : الأحقاف .

(٣) ٣٤ : الأعراف .

إن أسلم فلا يقتل ولو كان إسلامه خوفا من القتل ، لأنَّ الإسلام يجب ما قبله ، وكذا حكم من سبَّ مَلكاً مجمعاً على مَلَكِيّته .

أما من سب الله ـ تعالى ـ فإن كان كافرا فإنه يقتل ما لم يُسلم ، أما إن كان مسلما ففى استتابته خلاف : هل يستتاب فإن تاب ترك وإلا قتل ، أو يقتل ولو تاب ؟ والراجح قبول توبته كما هو مذهب الشافعى ـ رضى الله عنه ـ .

والفرق بين ساب الله ـ تعالى ـ فيقبل إن تاب وبين ساب الأنبياء والملائكة فلا يقبل إن تاب ..أن الله ـ تعالى ـ لما كان منزهاً عن لحوق النقص به عقلا قبل من العبد التوبة بخلاف خواص عباده فاستحالة النقص عليهم من إخبار الله ـ تعالى ـ لا من ذواتهم فشدد فيهم سدّاً للذريعة وقفلاً لباب الشبهة .

وقد أثبت الله ـ تعالى ـ الشفاعة للملائكة فقال : ﴿ **وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لمن ارتضَى** ﴾ (١) وقد أخبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنه الشفيع يوم القيامة لجميع الخلائق حينما يأتون مستشفعين بقدره العالى ، وكل الأنبياء يعتذرون عن الشفاعة فلما جاءُوا إليه قال ـ فى جلال وكمال ـ « أنا لها » ، فكيف يمنع شفاعة الدنيا ، وهو شفيع يوم القيامة .

ولسنا نحن الذين جعلناه واسطة ، لكن الله هو الذى جعله الوسيلة بيننا وبينه فأوحى إليه القرآن ، وأمره أن يبلغه لنا .

وقد فرق الله ـ تعالى ـ بيننا وبينه فى الموت ﴿ **إنَّك مَيّتٌ وإنَّهُمْ ميّتونَ** ﴾ (٢) .

---

(١) ٢٨ : الأنبياء .

(٢) ٣٠ : الزمر .

دفن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

اختلفت الصحابة فى دفنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال أبو بكر الصديق : لقد سمعت حديثاً عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما خانتنى فيه أذناى . قال :

« **ما قُبضَ نبى إلا حيث يُدْفن** » رواه أبو داود وابن ماجه ، وقد أجمع الصحابة على قبول هذا الحديث ،قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من رواية البخارى ومسلم والصحاح :

« ما بين منبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة » .

قال الشيخ عبد الله بن أبى جمرة الأسدى ـ المدفون فى جبل المقطم بجوار ابن الفارض ـ : إنما جعل هذا المكان روضة لمسكنه وممشاه .

قال بعض الصحابة : إذا روى الحديث : حدثنا الصادق المصدوق ، كلما قال : ثبت صدقه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قوله ، ولا يزال ذلك إلى يوم القيامة .

من علامات الساعة :

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » البخارى ، ومن كلامه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «**من علامات الساعة أن تأخذ المرأة مهنة الرجل ، وأن يكثر النساء** » .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة**» . رواه الترمذى ، ولا يزال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخبر بالمغيبات ، والله ـ تعالى ـ يصدقه ، فقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « يوشك الناس أن يستغنوا عن الإبل » وقد حدث هذا ، وحينما وضع يده على رأس الحسين ، وأخبر بمقتله كما فى مسند الإمام أحمد وجاءه جبريل بتراب ، وقد احتفظوا بهذا التراب ، حتى إذا ذهبوا إلى كربلاء ـ

مقتل الحسين ـ وجدوه مشابهاً لترابها ، وأخبر بأن عمر يقتل ، وأن عثمان يقتل كما فى رواية أبى يعلى والطبرانى ، فتحقق كلامه وصدق .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **حجوا قبل ألا تحجوا** » رواه أبو نعيم والبيهقى ، صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقد جاء زمن الحكام الذين صاروا يمنعون الناس عن الحج ،وهذا تصديق لما قاله وأخبر به المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله بهلاكها** » ، ـ وقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **الزنا يورث الفقر** » رواه ابن ماجه والمشاهدة لهؤلاء كثيرة .

قصة :

كان نبى من بنى إسرائيل قاعداً تحت شجرة يستظل بظلها ، وتحته عين تجرى ، فجاء شخص يحمل صرة دراهم ، ووضعها بجانب العين ونزل إلى حافتها فاستحم ، ومكث يستريح ، ثم ذهب ونسى الصرة حيث تركها ، فجاء شخص ثان فاستحم ووجد صرة الدراهم ، فأخذها وذهب ، ثم جاء شخص ثالث ، وقعد بجانب العين يستريح ، وإذا بالشخص الأول جاء يجرى ، كأنه جمل هائج تذكر صرة الدراهم ، فجاء يبحث عنها ، فوجد ذلك الرجل بجانب العين ، فسأله عن صرة الدراهم ؟ فأجاب : لم أرها ، فكذبه صاحبها ،وحصلت بينهما مخاصمة ،أدت إلى تماسك بالأيدى ، فضرب صاحب الدراهم خصمه بسلاح كان معه فقتله .

فقال ذلك النبى : عجبا يارب !

شخص يأخذ الدراهم ، وآخر يقتل بسببها ؟ فأوحى الله إليه : إن الدراهم التى أخذها ذلك الرجل وذهب ، كانت ديناً لابيه على الرجل

الذى جاء يحملها ، وماطله بدفعها ، حتى مات ولم يأخذها فأخذها ولده ، وأما الرجل الذى وجده على العين وقتله فإنه كان قد قتل والده من قبل ، وهو لا يزال طفلاً ، فلم يقتل إلا قاتل أبيه ، وإن كان لا يعرف ذلك . » ا . هـ .

قال سيدى عبد السلام الأسمر :-

يارب غيرك ما يرتجا شى وما جاك سائل وروَّح بلاشى
الحمد لله ربى قد هدانى كلمة خفيفة على لسانى
هىّ علامة على إيمانى ويوم القيامة ما وزنها شىّ

من أحكام العمامة

كان للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عمامة تسمى السحاب ـ أى لونها كلون السحاب ـ فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ـ رضى الله عنهم ـ قال : كان للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عمامة تسمى السحاب فوهبها من على ـ رضى الله عنه ـ فربما طلع علىّ فيها فيقول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أتاكم على فى السحاب [1] وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يلبس العمامة وتحتها قلنسوة ، وكان يلبسها بلا قلنسوة . وقال النووى ـ وهو من أكابر الشافعية ومن علماء الحديث : النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانت له عمامتان : إحداهما إثنا عشر ذراعاً ،والأخرى ستة أذرع .

حكم الصلاة بالعمامة :

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ـ رَضى الله عنه ـ قال : أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً فخرج إلينا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلما قام فى مصلاه ذكر أنه جنب فقال لنا :

---

(١) أخرجه ابن عدى وأبو الشيخ وابن حبان عن جعفر بن محمد .

مكانكم ، ثم رجع فاغتسل ثم خرج إلينا ورأسه يقطر ، فكبر فصلينا معه ، ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولكن هذا لا يستدل به على أن السنة هى الصلاة مع كشف الرأس ، لأن هذه الحالة نادرة وقعت مرة واحدة فاتباع السنة المداوم عليها أولى . وكتب الحديث كلها تقول « باب عمامته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأحب الثياب إليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ القميص » .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : إن أئمتكم شفعاؤكم .

ما معنى غض البصر ؟

قال الشيخ محمد بخيت المطيعى : غض البصر : هو إطباق الجفن على الجفن .

من مناقب السلطان الحنفى ـ رضى الله تعالى عنه ـ

كانت النساء تدخل عليه لحضور درسه والاستماع إليه ، فاعترض بعض الناس عليه ، ولما حضر ـ المعترض ـ فى اليوم الثانى وجلس رأى بعض القرود مع السلطان ، ثم خرجت القرود ، فسأله السلطان : ماذا رأيت : قال : رأيت قروداً ، فقال الشيخ : يا ابنى : ما أراهن إلا كما رأيت ..

وأنا منذ أربعين عاماً فى مصر ، ما مشيت فى الشارع وقابلتنى امرأة إلا استترت وغطت وجهها ،ولكن المرأة إذا رأت رجلاً ينظر إليها بشهوة فإذا كانت غير شريفة ، فإنها تنظر إليه عشر مرات ، والمرأة تعرف نظرة الخيانة فى عين الرجل ، وتعرف ـ أيضاً ـ النظرة الأولى البريئة .

حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن وتلاوته .

روى الإمام البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : انطلق نفرٌ من

أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حىّ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شئ ، لا ينفعه شئ . فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا علهم أن يكون عندهم بعض شئ ، فأتوهم . فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شئ لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شئ ؟ قال بعضهم : إنى والله لأرقى ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً فصالحوهم على قطيع من غنم . فانطلق يتفل عليه ويقرأ : الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشى وما به قَلَبَة (أى علة) قال : فأوفوهم جُعْلَهم الذى صالحوهم عليه . فقال بعضهم اقتسموا ، فقال الذى رقى :لا تفعلوا حتى نأتى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فنذكر له الذى كان فننظر الذى يأمرنا . فقدموا على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فذكروا له ذلك فقال : وما يدريك أنها رقية . ثم قال : أصبتم ، اقتسموا واضربوا لى معكم سهماً (اى اجعلوا لى منه نصيباً) وضحك النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . وفى رواية : قال عليه الصلاة والسلام : « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » .

نستنبط من هذا الحديث أن الذى يأخذ أجراً على تعليم كتاب الله وقراءته لا شئ عليه ، غير أن الشافعية يقولون : يعلم أو يقرأ من غير شرط فى تقدير الأجرة ، وإنما يأخذ ما يعطى له وإلا فلا يجوز له أخذ الأجرة ،[1] أما المالكية ، فإنهم لا يقيدون ذلك بشرط ، بل له أخذ الأجرة على التعليم أو القراءة ولو مع شرط[2] .

---

(١) روضة الطالبين للنووى « باب الإجارة » .

(٢) فتاوى الشيخ عليش « باب الإجارة » .

الدرس الحادى عشر

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ

: ﴿ **طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى . الرحمن على العرش استوى** ﴾[1]

صدق الله العظيم

الحمد لله على هذه النعمة ، وإن كان كثير من الناس عنها لغافلين ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ قد وعدنا ، وهو لا يخلف وعده ، أنه مادام المؤمنون يستمعون إلى كلامى فأنا أنزل عليهم الرحمة ، ومادمنا نسمع القرآن الكريم فالرحمة نازلة ، فالاستماع والرحمة لازم وملزوم ، وسبب ومسبب ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذا قُرئَ القرآن فاستمِعُوا له وأنصِتُوا لَعلَّكُمْ تُرْحَمُون** ﴾[1] .

و « لعل » تفيد الترجى عند العرب ،وعندما يقول الإنسان « لعل » فإنه لا يعلم الغيب ،ولكنه يتوقع حدوث أمر ، أما الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يقول « لعل » كقول الإنسان ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ عالم الغيب ، ومعني « لعل » فى الآية : حقاً وصدقاً ترحمون ، لماذا ؟ ، ألم يوجد سبب للرحمة ؟ بلى يارب ، إنهم يستمعون إلى القرآن ... ولا يوجد مؤمن يستمع إلى القرآن الكريم وهو غير محب ، والمصريون يحبون سماع القرآن الكريم ، وقارئوه يُحْتَرمُون احتراماً عظيماً ، ومحبة القرآن كمحبة الله ـ تعالى ـ .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يحب الصوت الحسن الجميل ، وهو الذى أحسن كل شئ خلقه ، فالصوت الحسن يزيدنا محبة فى القرآن .

---

(١) ١ ـ ٥ : طه

(٢) ٢٠٤ : الأعراف .

وعند الشافعية : يستحب لقارئ القرآن الذى يسمع منه غيره أن يكون ذا صوت حسن .

وعند المالكية : يستحب للمؤذن أن يكون ندى الصوت .

لأن المؤذن ينادى الناس ليقبلوا على الصلاة ، فإذا كان غير ندى الصوت ، فإن الناس قد لا يقبلون عليه ، ولا يؤثر فيهم صوته ، لكن إذا كان ذا صوت حسن ندى وأذن واستمع الناس إليه وهو يقول : حىَّ على الصلاة فإن الناس يتركون أعمالهم ويستجيبون للنداء ، أما الصوت الخشن فإنه يزعج الناس ! ، وهذا الكلام سمعته من مشايخى علماء الأزهر ، وكما ذكر الشيخ الدردير فى باب الأذان قال : ويستحب للمؤذن أن يكون ندى الصوت .

وعندما جاء أحد الصحابة يخبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بما رآه فى النوم من صيغة الأذان قال له : « قم مع بلال فألق عليه مارأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

ولما حضرت الوفاة بلالاً صار يقول :

غداً ألقى الأحبه محمداً وحزبه

فقد تيقن بلقاء الأحبة : محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحزبه الأطهار الأبرار ، ونعود إلى موضوعنا فنقول : إن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يمر ذات ليلة ، فلقى سيدنا أبا موسى الأشعرى يتهجد بقراءة القرآن فى الليل ، بصوت حسن ، فوقف يستمع .. فالصوت الحسن جعل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقف ليستمع لقراءته ثم قال لأبى موسى فى اليوم التالى : « لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » ، فقال أبو موسى :

«**لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبَّرته لك تحبيراً**» رواه البخارى ومسلم .

ومعنى « **لحبَّرتُه لك تحبيراً** » أى : لجمَّلته وحسَّنته أكثر من ذلك .

وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول لأبى موسى الأشعرى : « ذكّرنا ربنا يا أبا موسى » . فاختاره ليقرأ القرآن لصوته الحسن الجميل .

وعند الشافعية : يجوز تجميل الصوت وتحسينه عند قراءة القرآن ، لأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد استمع إلى قراءة أبى موسى وأجازها ، وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يسكت على محرم أومكروه ، فسكوته عند قراءة أبى موسى سنة ، كأنه قال له : نعم يجوز لك التحبير .

فدرجات القراءة أربع :

الترتيل : وهوالقراءة بطمأنينة وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه من جميع الصفات والمخارج .

والتحقيق : هو مثل الترتيل إلا أنه أكثر اطمئناناً منه ، وهو المأخوذ فى مقام التعليم .

والحدر : هو الإسراع فى القراءة مع مراعاة أحكام التجويد وضبطها .

والتدوير : هو مرتبة تتوسط الترتيل والحدر ، مع مراعاة أحكام التجويد وضبطها فكأن أبا موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ كان يقرأ بالقراءة الوسطى ، وهى التدوير .

والقرآن معجزة من معجزات النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

قال اللقانى :

ومعجزاته كثيرة غرر منها كلام الله معجز البشر

والأزهر قام بدور كبير فى حفظ هذه المعجزات :

فالقرآن وعلومه : تدرس فى الأزهر .

والفقه بمذاهبه الأربعة : فى الأزهر .

وكتب اللغة : فى الأزهر .

وعلوم النحو والصرف : فى الأزهر .

والمعانى والبيان والبديع والتوحيد ، ومصطلح الحديث ،وعلم الحديث ، وكتب الصحاح كالبخارى ومسلم ، والمنطق الذى نعرف به التوحيد ونرد على الفلاسفة : فى الأزهر ، وما من علم إلا هو موجود بالأزهر الشريف .

وكان العالم يمكث به اثنى عشر عاما على الأقل ليأخذ شهادة العالمية ، وبعدها يستطيع أن يقول : أنا مالكى ، أو شافعى ، ولا يزيد على ذلك ، وإنما يتخصص فى مذهب واحد فقط .

والإمام مالك كان يحفظ القرآن والحديث ،وقد درس علوم اللغة العربية ،وعلم التوحيد كله ، وهكذا كان أئمة الفقه الأربعة ـ رضى الله عنهم ـ .

أما أنت يا من تدعى أنك تسير على الكتاب والسنة :

أتحفظ القرآن الكريم كله ؟ .... لا

أتحفظ الحديث ؟ ... لا

أدرست اللغة العربية ؟ ... لا

أدرست التوحيد والفقه ؟ ... لا

إذن : أنت تدخل فيمن قال الله فيهم : ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**﴾ [1] .

---

(١) ١٥ : الكهف .

نعم : إذا أصبحت عالماً حقاً بالكتاب والسنة ، مثل الإمام مالك ، والإمام الشافعى ، فإنَّه يحق لك أن تقول أنا على الكتاب والسنة ، أما ما عدا ذلك فهذا من بلايا هذا الزمان ومصائبه ، وهو يغضب العلماء أحياء ومنتقلين .

وكل شئ له أصول وقواعد ، فالحكومة مثلاً تقول : لا يختار لمنصب العمدة إلا من يملك عشرين فداناً ، فجاء رجل لا يملك إلا « معزة » صغيرة ، وقال أنا أستحق أن أكون عمدة البلد ، فتنازع هو وعمدة البلد ، واحتكما إلى الناس ، فقال العمدة الأصلى : أنا العمدة ،وعندى «كذا» من الفدادين ، وأنت : ماذا تملك ؟ فرد الرجل : أنا أملك هذه « المعزة » فقال له الناس : أنت أبو « معزة » وأبو معزة لا يصلح أن يكون عمدة !! .

حكاية :

كان هناك رجل يبيع « نظارات رخيصة » على باب الأزهر ، فإذا به يقول ذات يوم : أنا أعلم من مالك ! كيف ؟ قال : لأن عندى من الكتب ما لم يره مالك ، ولا سمع به ! ، فقيل له : فهل قرأت من هذه الكتب شيئاً ؟ قال : لا ـ فهذا الرجل نقول له : ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ قد وصف لنا حال أهل الكتاب الذين لم ينتفعوا بما فى التوراة من توحيد وعلوم وحكم بقوله :﴿ **مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ [1] .

وأنت : إذا كنت تملك كتباً لم تكن عند مالك ـ رضى الله عنه ـ ولكنك لم تحفظ منها سطراً ، فأنت تشبه الحمار فى حمله الأثقال من الكتب وعدم انتفاعه بها !! وأنت أيضاً قد أسأت الأدب مع العلماء السابقين من السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ .

---

(١) ٥ : الجمعة .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ مبيناً أن ذلك من علامات اقتراب الساعة ـ :« إذا سبَّ أواخرُ الأمة أوائلها فانتظروا الساعة » .

ونحن نحمد الله ـ تعالى ـ أن حفظ لنا علوم الأزهر إلى هذه الساعة ، فاللهم زده حفظاً .. آمين .

فائدة الزكاة :ـ

الزكاة : زيادة وتطهير للمال ، يغفر الله بها للمؤمنين ذنوبهم ، ويزيد أموالهم ويبارك لهم فيها ،وتسمى الزكاة صدقة ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ (١) فهذا الحكم مستمر إلى يوم القيامة .

وقال ـ تعالى ـ :﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصَلِّ عليهم ...** ﴾ (٢) ، ومعنى « وصل عليه » أى : ادع لهم بالخير .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **حياتى خير لكم تُحْدثُونَ ويُحْدَثُ لكم ، ووفاتى خير لكم ، تعرض علىّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ،وما رأيت من شر استغفرت الله لكم** » رواه البزار .

وبعض العوام يقول : بسملة براءة موجودة فى سورة النمل ، وهذا قول لا أساس له من العلم ، لأن أصل معنى « بسم الله الرحمن الرحيم» : أنا أقرأ مستعيناً ببسم الله الرحمن الرحيم ، أى ببسم الله الذى هو الرحمن الرحيم ، صاحب النعم الكثيرة .

وفى سورة براءة أو التوبة ، لا يتفق معنى البسملة مع « براءة » ، لأن الله ـ تعالى ـ فى أول هذه السورة يعلن أنه يتبرأ من المشركين فلا يناسب ذلك ذكر الرحمة .

---

(١) ٦٠ : التوبة .

(٢) ١٠٣ : التوبة .

حكاية :-

وقد حدث أن رجلاً كان يقرأ قوله - تعالى - :﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ [1] إلى أن قرأ فى آخر الآية : ﴿ والله غفور رحيم﴾ ، وكان بجواره أعرابى ، فقال له ليس هذا كلام الله - تعالى - ، فقال القارئ : أتكذّب بكلام الله - تعالى - ؟ فقال : لا ، ولكن ليس هذا بكلام الله - تعالى - ، فعاد القارئ إلى حفظه ، وقرأ : (والله عزيز حكيم) فقال الأعرابى : صدقت : عزّ فحكم ، فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع .

كذلك هنا : لو كانت : بسم الله الرحمن الرحيم : براءة .. لم يتفق المعنى ، فلهذا السبب جاءت سورة « براءة » من غير بسملة ، لأن البسملة معناها طلب الرحمة من الله ، وهذا السياق فى أول سورة التوبة ليس موضع رحمة للمشركين .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **طه . ما أنزلنا عليك القرآنَ لتشقى** ﴾ .

اختلف العلماء فى معنى (طه):-

فقال السيوطى : الله أعلم بمراده منها ، وكذلك قال فى جميع الأحرف المقطعة الأخرى التى بدئت بها سور من القرآن الكريم .

وجماعة قالوا : (طه) منادى محذوف منه ياء النداء ، والمعنى : يا طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ،وكذلك : « يس » معناه : يا يس إنك لمن المرسلين ، وهذه من أسماء النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - .

وجماعة قالوا : « طه » طاء ،وهاء من الأحرف المقطعة .

وجماعة قالوا : كل حرف يدل على اسم من أسمائه - تعالى - ، فمعنى « طاء » : طاهر ، ومعنى « هاء » : هادى .

---

(١) ٣٨ : المائدة .

وجماعة قالوا : « طه » اسم للسورة فالمعنى : هذه سورة طه .

وجماعة قالوا : هذا فعل أمر، معناه : طأها ، أى : دُسِ الأرض بقدمك لأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يقوم الليل كله ، وإذا أدركه التعب كان يرفع قدمه عن الأرض ، حتى يريحها .

وبعضهم قال « طه » جاءت فى أول السورة تنبيها للمستمعين ، أى انتبهوا جاءكم كلام غريب ، لأن العرب لم تكن تعرف كلمة « طه » ، فلم يوجد رجل عربى اسمه طه قبل بعثة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والعرب لم تعرف مثل هذه الأسماء ، أى : « طه » ، و « يس » ، فمعنى هذا القول أن « طه » و « يس » ونحوهما : آيات وأدلة على أن القرآن ليس مخلوقاً من المخلوقات ، وإنما هو كلام الله ـ تعالى ـ ، وأيضاً فإن معناه : القرآن منى ،وليس من محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يأت فى بداية أى حديث من الأحاديث بمثل « ق » ، أو « ن » ، أو « طه » ، أو « يس » .. وهكذا ..

فهذه خلاصة الأقوال فى تفسير قوله ـ تعالى ـ « طه » ، والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب منها .

سؤال عن كتب سيدى محى الدين بن عربى :

جـ ـ ابن عربى الطائى ـ رحمة الله عليه ورضى الله عنه ـ من أكابر الصوفية ، وأكابر العلماء يقفون عند كلامه ، فإن كنت من أكابر الصوفية فاقرأ كتبه ، وإن لم تكن منهم فلا تقرأها ، وكما يقولون : إن الذى تعلم العوم فى الترعة يغرق فى البحر ، فلا تدخل المحيط ، فكتب ابن عربى يقرؤها الناس الذين يمكنهم العوم فى المحيطات ، وابن عربى من أولياء الله ـ تعالى ـ .

﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ :

لما نزل القرآن الكريم ، وصار النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقوم الليل كله ويتعب بدنه ، نزلت هذه الآيات ، والمعنى : لم ننزل عليك القرآن لتتعب بدنك ولا لتنام بالمرة وقيل : إن العرب لما رأت تعب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قيام الليل كله قالوا : لقد جاءه القرآن لشقائه ، فرد الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم بقوله : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى** ﴾ أى : إن القرآن لم ينزل عليك لتتعب ، بل لتذكر الناس بربهم ، وهم يقولون : نزل القرآن لتعبك ، ونحن نقول : كلا ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .

معنى « التذكرة » :ـ

أنت عندما يكون لك عمل فى مصر ، وكان لك دخل كبير منه ، وأبوك وأمك يعيشان فى الصعيد ، فيأتى واحد من أهلك ويقول لك : لا تنس والدتك ووالدك ، فعندما تسمع هذا الكلام ـ إذا كانت عندك الخشية والذوق والإنسانية والضمير الحى ـ فإنك تخاف الله ـ تعالى ـ ويذكرك هذا الكلام بما عليك من واجبات لأنك تلام إذا تركتها ، والناس يقولون عنك : هذا الرجل ليس عنده ضمير ولا حياء .

روى الترمذى ـ من حديث حذيفة ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربه أن يسلم علىَّ ، ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** ﴾ [1] .

---

(١) ٤٣ : الأعراف ، ٤٧ : الحجر .

فلا يمكن أن تكون هناك غيـرة بين السيدة فاطمة والسيـدة مريم ، فلا حورية تغار من إنسية ، ولا إنسية تغار من حورية .

والإنسان بطبعه يحب الجمال ، ويتطلع إلى الجميلات وكذا النساء ، أما فى الجنة فإن النساء (**قاصرات الطرف**) [1] أى : محبـوسات على أزواجهن مانعات أعينهن من النـظر إلى غير أزواجهن ،وكذلك الرجل فى الجنة ، يحبب الله له نساءه ، فلا يرى أجمل منهن .

سؤال عن طريقة نزول القرآن الكريم .

جـ : القول الصحيح : أن جبـريل ـ عليه السلام ـ يذهب إلى السماء السابـعة ويسمع الـقرآن الكريم من عند الله ـ تعـالى ـ ، ثم ينزل به على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وقيل : إنه يقف فى مكان يدرك فيه القرآن بقلبه ، ثم ينزل به إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وقـيل : القرآن الكريم مكتـوب فى اللوح المحـفوظ ، ثم يأمـر ربنا ـ سبـحانه وتعـالى ـ جبـريل أن ينزل بالآيات على النبى ـ صلى الله علـيه وآله وسلم ـ .

والنبى ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ كـان يسمع القـرآن من جبـريل بطريقة خارقة للعادة ، فيحدث له إغماء ويغطى وجهه ، وفى هذه الحالة يرى سيدنا جبريل ويسـمع منه ، ولا يشاركه أحد فى هذا الفضل ، لأنه مرسل بالوحى إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خاصة .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن علينا جمـعه وقرآنه** ﴾ [2] : أى نجعلك تقرأ كما تريد بـدون تعب ولا مشقة ، وإذا أردت أن تفسـر القرآن علَّمناك ،

---

(١) ٤٨ : الصافات ، ٥٢ : ص ، ٥٦ : الرحمن .

(٢) ١٧ : القيامة .

(ثم إن علينا بيانه) [1] أى : علينا تفسيره لـك ، من غير أن يعلمك أحد من البشر .

وهناك أمثلـة للتفسير الوارد عن النبى ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ منها ما أخرجه البخارى فى باب تفسير النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للقرآن فى تفسير ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ أن المغضوب عليـهم اليـهود ، وأن الضـالين النصـارى . ﴿ **إلا تذكرة لمن يـخشى** ﴾ فالذى عنده خوف من الله ـ تعالى ـ تنفعه التذكرة .

فإذا كان هناك رجـل يسرق ، ثم قرأ القرآن فأفـاق وتاب إلى الله ـ تعالى ـ فهـو عندما يقـرأ عقوبة السـارق فى القرآن يتـذكر أن هذا الفـعل حرام فـيندم ويتوب إلى الله ـ تعـالى ـ ، فالـقرآن هوالذى ذكـره بأن ما يفـعله حرام ، وهو الذى دفعه إلى التوبة من السرقة ، وكل ذنـب إذا تبـت إلى الله ـ تعالى ـ منه فإنه يغـفر لك ، وإذا لم تتب منه فإنه سيبقى مكتوباً عليك .

والذنوب كثيرة ، ونعلم منها ما نعلم ، ونجهل منها ما نجهل .

فـإذا قال أحـدهم : لا ذنب لى ، قـيل له : وجودك ذنب لا يقـاس به ذنب ، كيف ترى نـفسك مع الله ـ وهو رب العزة ؟ ، إن قلـت أنا عزيز فإنه يرد عليك : أنا العزيز ، إن قلت أنا غنى : فالله هوالغنى ، وهكذا إذا حدثتك نفسك بـأن لك صفة من صفاته ـ تعـالى ـ فإنه يرد عليك ، فله العظمة والغنى والكبرياء فى السموات والأرض .

الفرق بين التوبة والاستغفار :

التـوبة : مـعناها الرجـوع عن الذنب ، فـمثـلا رجل كـان ذاهبـاً إلى الخمارة ، ثم رجع عـنها ، ودخل المسجد فهـو قد تاب ورجع عن الذنب ،

---

(١) ١٩ : القيامة .

ثم يقول : أستغفر الله ، فالاستغفار إنما يكون بعد التوبة ، أما إذا لم يتب من ذنبه فإن المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ، فاستغفارك من الذنب وأنت مقيم عليه : ذنب آخر ..

وأيضاً فإنَّ البسملة على الحرام حرام ، ورجل سرق شاة وأراد أن يأكل منها فقال : بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يكون قد اقترف ذنباً آخر .

والحمد لله فإن الذين يدخنون السجائر لا يذكرون البسملة عليها ؛ لأنها حرام ! .

سؤال عن طاعة الوالدين .

جـ : أطع والديك ولو كانا كافرين .

ونفقة الأم والأب والأولاد والزوجة واجبة ، والصدقة سنة ، فلا تضيع فرضاً بسنة ،والذى يترك الواجب يدخل النار ، والذى يترك السنة لا يعذب بسبب تركها .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** ﴾ [1] معنى ذلك ، لا تقل لهما قولاً يؤلمهما ، ولو مجرد التلفظ بما يفهم منه الضجر وهو كلمة « أف » .

الخِطبة « والشبكة »

س : يا مولانا الشيخ : رجل خطب فتاة ويريد أن يخرج معها وإلا فسخ الشبكة فماذا نفعل معه ؟

جـ : الشبكة معناها أنها مجرد ارتباط ،ولكن الشرع يقول : تعال يا ابنى وأحضر المأذون والشهود ، لا يوجد شئ فى الشرع اسمه شبكة ..

---

(١) ٢٣ : الإسراء .

تريد فلانة ؟! إذن اعقد عليها عقداً شرعياً فتصبح زوجتك ، وبعد ذلك اذهب معها إلى أى مكان تريد ، لكن فى هذا الزمان أصبحت المرأة كأنها سلعة ، يتفرج عليها من يرغب فى شرائها ..

فالشبكة لا تعطى الرجل أى شئ من المرأة ، أما الخطبة فهى أن تقول للرجل : يا فلان زوجنى ابنتك ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ

: « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ،ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له » رواه مسلم .

امرأة أخذت منه مائتى جنيه مهراً ، ثم دخل بها زوجها ، ثم طلقها فلا حق له فى شئ من هذا المال ، أما إذا طلقها قبل أن يدخل بها فإنه يعطيها مائة ويأخذ مائة ـ أى لها نصف الصداق .

أَمَّا إذا دخل بها ـ ولو ساعة واحدة ـ فإن المهر يصبح لها كله ،ولا شئ له . هذا هوالزواج الشرعى الذى يحل له بعده أن يفعل معها مايريد .

ويجوز للخاطب أن يرى خطيبته ، وينظر إليها ويسمع كلامها حتى يطمئن إلى حسن اختياره لها ، أما الأعمى فإنه يأمر إحدى قريباته أن تصف له منظرها ومواطن الحسن فيها ،وفى الصعيد ـ غالباً ـ لا يراها ولا تراه عند الخطبة وإنما يكتفى هو برأى الخاطبة (أمه أو خالته أو عمته ..) وتكتفى هى باختيار أهلها له وثنائهم على مظهره ومخبره .

وقال الفقهاء : هناك عيوب سرية ، لو ظهرت فى المرأة بعد الدخول بها ، فللزوج أن يتقدم للقاضى ليطلقها منه ، وكذلك الرجل إن ظهرت فيه عيوب سرية فللزوجة أن تطلب الطلاق منه ، وذلك لما يترتب على تلك العيوب من ضرر .

سبب الولاية : العبادة ، وسبب الغنى : التجارة والزراعة .... الخ .

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب

الله يعطى ما يشاء لمن يشاء بلا سبب

فالذى يريد أن يحفظ القرآن يذهب إلى « سيدنا » والذى يطلب العلم يذهب إلى مولانا الشيخ فى الأزهر ... وهكذا .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى** ﴾ :

القرآن تذكرة لمن يخشى أى لمن يخاف الله ،وهناك ناس يسمعون القرآن بآذانهم وهم يجلسون فى « القهوة » وقد يجلس ليشرب الخمر ومع ذلك يسمع القرآن فى الراديو ولا يتأثر ، لماذا ؟ لأن الله ـ تعالى ـ قال : (لمن يخشى) أى لمن كان عنده إيمان وخوف من الله ـ تعالى ـ ، وليس ذلك عند كل الناس .

﴿ **تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى** ﴾ .

مدح الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم ، والمعنى : هذا الكتاب الذى أنزل عليك يا رسول الله لا يوجد كلام مثله ، فهو ليس بقول عالم ،ولا كاهن ، ولا جنى ، وإنما هذا الكلام ممَّن خلق الأرض والسموات العلى .

فهو كلام عظيم ، لأنه نزل من عند عظيم ، وهو الذى خلق السموات السبع والأرضين السبع ، والذى أنزل هذا القرآن عنده قوة وقدرة ، فهو قادر وحكيم وعالم بكل شئ ، فالقرآن عظيم ، لأنه اكتسب العظمة من الله ـ تعالى ـ

(رب المشارق والمغارب) لماذا لم يقل : مشرق واحد ، أو مغرب واحد ؟

جـ : نسبة إلى الفصول الأربعة حيث يتغير المشرق والمغرب عن الفصل الذى يسبقه والفصل الذى يليه .

وبعد أن خلق الله ـ تعالى ـ سبع سموات ،وسبع أرضين خلق الجنة ،

وهى فوق السماء السابعة ، وبينهما فراغ كبير ،وسقفها عرش الرحمن ، كما جاء فى الحديث .

وتحت الأرض السابعة فراغ كبير توجد بعده النار .

فإذا كان يوم القيامة : ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين** ﴾ [1] أى : نزلت من السماء السابعة ، ﴿ **وبرزت الجحيم للغاوين** ﴾ [2] أى ظهرت لهم من تحت الأرض .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم** » . رواه البخارى ، قال أبو البركات ـ الدردير ـ رضى الله عنه ـ :

والنار حقاً أوجدت كالجنه فلا تمل لجاحد ذى جنه

وهناك ما يسمى مسُّ الشيطان ، وهناك : وسوسة الشيطان .

ولقد قال العلماء : إن الجن منهم الرجال ومنهم النساء ، وفيهم المؤمن ، وفيهم الكافر .

التناكح بين الجن والانس :ـ

ولما سئل الإمام مالك : هل يجوز لإنسى أن يتزوج جنية ؟

قال : نعم ، فقيل له ، فهل يجوز للإنسية أن تتزوج جنياً ؟ قال : أكره ذلك ، وعلل ذلك بأن المرأة قد تزنى وتحمل سفاحاً ، فإذا سئلت عن ذلك الحمل قالت : إن زوجى جنى ، فيحصل الفساد ، وهذا قول صائب [3] .

حكاية :

وقد حدث أن رجلاً من أهل السودان اسمه عبد القادر تزوج امرأة

---

(١) ، (٢) ٩٠ ، ٩١ : الشعراء .

(٣) راجع تفصيل هذا الحكم فى « لقط المرجان فى أحكام الجَانّ للسيوطى .. ففيها أقوال كثيرة .. » .

كبيرة السن وإذا هى تأتى بولد عمره خمس سنوات ، فقال لها : من أين هذا الغلام ؟! فقالت له : هو من الجن ، أمه ماتت ، وأبوه أوصانى بتربيته ، فسكت الرجل ، وبعد فترة كان يسير مع زوجته فى الشارع ، وإذا والد ذلك الصبى وأمه يبحثان عنه ، فلما رأياه مع الرجل وزوجته أمسكا بهما ، فذهبوا إلى البوليس ، ولما سأل المأمور الرجل قائلاً : من الذى أحضر لك هذا الصبى ؟ رد عليه الرجل قائلاً : إنها امرأتى ، وقالت لى : إنه من الجن ، فقال له المأمور وهل صدقتها ؟ قال : نعم ، فقال له المأمور : اذهب لحال سبيلك ؟. فالجن إذن لهم أولاد ، ولهم نساء .

وهناك كتاب للسيوطى اسمه : « لقط المرجان فى أحكام الجان » ، وكتاب للشعرانى اسمه : « رفع الران عن أحكام الجان » يتكلم عن صفات الجان وأحوالهم ، فيه غرائب كثيرة .

معنى كلمة « المدد » :ـ

س : يا سيدنا الشيخ : نهانى أحدهم أن أقول : مدد يا رسول الله .

جـ : ما معنى « مدد » ؟ أنت عندما تذهب للعالم وتقول له مدد ، أى علمنى ، وعندما تقول للولى مدد ، فأنت تريد : ادع لى دعوة صالحة ، وتقول أيضاً مدد يا رسول الله ، أى استغفر لى يا رسول الله ، فكلمة «مدد» ينبغى أن يعرف مدلولها من ينطق بها ،وليس معنى أن تقول للولى : مدد ، أن تقصد منه أن يعطيك رغيفين مثلاً !! .

فافهم يا أخى معنى المدد ، فهى كلمة ليس فيها شرك ، وهى جائزة ، بشرط أن تفهم معناها : نقول : مدد يا رسول الله : أى أمدنا بالشفاعة والاستغفار وهذا أمر جائز ..

فافهم يا أخى معنى كلمة « مدد » فليست شركاً ، وافهم معناها : ـ

« مدد يا رسول الله » يعنى : الشفاعة ، والاستغفار :

تشفع يا رسول الله فينا فما نرجو الشفاعة من سواك

سؤال : هل تأخذ عروسة المولد حكم الجرس والكلب والصورة ؟ وهل ندخلها ـ أى عروسة المولد ـ بيوتنا أو لا ؟ .

الجواب : ما يسمى « عروسة المولد » .

لا يأخذ حكم الجرس والكلب والصورة فى منع دخول ملائكة الرحمة البيوت التى تحتوى على هذه الأشياء ، لأن هذه « العرائس » تمتهن باللعب وعبث الأولاد بها . والدليل على ذلك قول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان يأتينى صواحب لى فكن ينقمعن « يختفين » خوفاً من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يسرّ لمجيئهن إلىَّ فيلعبن معى » متفق عليه . والبنات المذكورة فى الحديث هى العرائس التى يلعب بها الجوارى والولدان، وكانت السيدة عائشة حديثة السن فى أول زواجها من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وقال القاضى عياض المالكى ـ إن اللعب بالبنات للبنات الصغار رخصة . ومثل لعب الأطفال التماثيل التى تصنع من الحلوى وتباع فى الأحيان ، ثم لا تلبث أن تؤكل .

س : هل يسمع مولانا الإمام الحسين كلام الزائر له ؟

جـ : سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ يسمع كل كلمة يقولها الزائر وكذلك جميع الأولياء والصالحين ، بل وجميع الأموات كما وردت به الأحاديث .

كرامتان للسيد البدوى ـ رضى الله تعالى عنه ـ

أحد الحاضرين : يا مولانا الشيخ : تاه ابنى ، فمكثت ثلاثة أيام أبحث عنه فلم أجده ، فصعدت على مكان مرتفع ، وناديت بأعلى صوتى قائلاً : يا شيخ العرب يا سيد ، أنا أريد ابنى ، فما أن انتهيت من كلامى حتى وجدت رجلاً بجوارى يقول لى : أهذا ابنك ، فنظرت فوجدته حقاً ولدى الذى كنت أبحث عنه ، وأقسم بالله إنَّ هذا هو الذى حدث لى فعلاً .

(فقال الإمام الجعفرى للرجل) لقد حكيت لى حكاية وأنا أحكى لك حكاية أخرى :

لقد أعطيت شهادة ميلادى لرجل كتبى (صاحب مكتبة) لمدة سنتين ، وكنت إذا سألته عن الشهادة يقول لى : لقد أعطيتها لك ، ثم حدث أن طلبت منى « الأوقاف » شهادة الميلاد وبدونها لن آخذ الدرجة ـ فصليت الصبح ثم جلست أمدح السيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ وقلت له : هل تضيع شهادتى وتضيع معها الدرجة وأنت موجود ؟ .

ثم ذهبت بعد ذلك إلى صاحب المكتبة وقدمت له كوب شاى بالحليب ، وقلت له : اشرب الشاى وابحث لى عن الشهادة ، فغضب وقال لى ، إن أمرك عجيب مضت سنتان ، وأنت تسأل عن الشهادة وأنا أقول لك : لقد أخذتها منى ولا تصدقنى ؟ فقلت له : لأجل خاطرى ابحث عنها مرة أخرى .

فما أن وضع يده ورفع أحد الكتب حتى وجد فيه الشهادة ،ولما تعجب من ذلك قلت له : أنا كلمت السيد البدوى ، وهو ولى ذو دعوة مستجابة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إذا قال الإمام (غير**

المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقولوا آمين ، فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى .

وأفضل الدعاء ما فى الفاتحه وإنها لكل خير فاتحه

وقال عليه الصلاة والسلام ـ : « **فأما الركوع فعظموا فيه الرب ـ عز وجل ـ وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء ، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم** » رواه مسلم .

ومعنى « قَمِنٌ » أى حقيق .

س : ما معنى الاستواء فى قوله ـ تعالى ـ :﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ .

جـ : اختلف العلماء فى تفسير الاستواء :

فقال السابقون منهم « وهم السلف الصالح » حتى القرن الخامس الهجرى : الله أعلم بمراده ، أما نحن فلا نعرف تفسير « استوى » فى الآية ، لأن معناها ـ فى العربية ـ جلس ،وذلك يستحيل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، لذلك نقول : استوى كما أراد هو ـ سبحانه وتعالى ـ .

وقال المتأخرون « وهم الخلف » ـ من أوائل القرن السادس ـ «استوى» بمعنى :

استولى وملك العرش ،واستولى عليه وقهره ، فقيل لهم : من أين لكم هذا التفسير ، قالوا : هناك رجل اسمه بشر ، جلس على حكم العراق فقيل :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دمٍ مهراق

فليس معنى « استوى » عمل كرسياً ثم جلس عليه ، بل استولى ، أى ملك وقهر .

قال الغزالى : الله سبحانه وتعالى مُسْتَوٍ على عرشه بالمعنى الذى أراده ـ سبحانه وتعالى ـ بالاستواء ـ وهو الذى لا ينافى وصف الكبرياء ، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء ،وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء ، كما قال فى القرآن :﴿ **ثم استوى إلى السماء وهى دخان** ﴾ (١) وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء وهناك عالمان :

فى الحقيقة : عالم الروح .

وفى الشريعة : عالم الجسد .

وروح من غير جسد لا تنفع ، وجسد من غيرروح لا ينفع .

وفى عالم الحقيقة : عندما تقف فى الصلاة تحصل لك قشعريرة فى جسدك حتى تبكى من خشية الله ـ تعالى ـ ، ومن عظمة المشاهدة القلبية .

وقال بعض العلماء : الشريعة هى العمل .

وقال بعضهم : الحقيقة هى الإخلاص .

وهذه هى حقيقة العوام ، أما حقيقة الخواص فإنها شئ آخر لا يصل إليه إلا القليل . والله أعلم وأحكم .

---

(١) ١١ : فصلت .

الدرس الثانى عشر

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (١)

الصحابى الذى أحب سورة الإخلاص :

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته ، فيختم بـ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « سلوه : لأى شئ يصنع ذلك » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن اقرأ بها ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « أخبروه أن الله يحبه » . رواه البخارى .

والسرية هى : أن يخرج الصحابة ليجاهدوا الأعداء ، يرسلهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويجعل عليهم أميراً منهم ، فإذا خرج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معهم ، فتسمى عند ذلك غزوة .

فانظروا إلى الصحابة : لقد حكموا على الرجل بالخطأ ، ثم جاءوا إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يشتكون إليه صنيع الرجل ، ولكن صاحب الرأى السديد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يحكم إلا بعد سؤال الرجل ، فقال : نادوه ، ثم سأله : لماذا تصلى بسورة الإخلاص فى الصبح ، وتترك السنة وهى التطويل ؟

ثم انظر إلى جواب الرجل : يا رسول الله : هذه سورة فيها صفة الرحمن وأنا أحب الرحمن ..

فهذا سبب عظيم ،ومن أجله بشره النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ببشارة عظيمة ، بشره بمحبة الرحمن .

---

(١) سورة الإخلاص .

فضائل سورة الإخلاص :

فلعلنا نأخذ عبرة من هذه القصة ، فنكثر من قراءة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ، ففيها قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إنها تعدل ثلث القرآن** » رواه البخارى وغيره .

وأنت أيها الرجل الأمى الذى لا يستطيع قراءة القرآن : احفظ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ وداوم على قراءتها ، فإنها « **تعدل ثلث القرآن** » أى : تساوى ثلث القرآن فالدين يُسْرٌ ، وأنت ترى رجلاً يقرأ القرآن ويختمه كله ، وليس معك شئ من القرآن : فاقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات فتكون كأنك قرأت القرآن كله .

بوجهك يا رسول الله صار الدين ميسراً ، وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **وقد تركتكم على البيضاء** [1] ، **ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك** » رواه ابن ماجه .

صور من سماحة الإسلام :

فالملة الإسلامية سمحاء فى كل الأمور ، ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ [2] .

فشرعه ـ سبحانه ـ فيه إرادة اليسر ،وليست فيه إرادة العسر :

فإنك إذا لم تجد الماء تيممت ، وعند المالكية أنك إذا استيقظت من نومك قبل طلوع الشمس ، ولكن الوقت لا يتسع للوضوء وإدراك ركعة قبل طلوع الشمس ، فإنه يجوز لك فى هذه الحالة أن تتيمم

---

(١) أى الملة البيضاء .

(٢) ١٨٥ : البقرة .

وتدرك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ،ولا تعيد الصلاة مرة أخرى ، فهذا من باب اليسر فى الدين .

مثال آخر : رجل يريد أن يتوضأ ، فلم يجد إلا الماء البارد ، الذى لو توضأ به للحقه ضرر شديد ، ولو انتظر حتى يسخن الماء لطلعت عليه الشمس ؛ لأنه لم يتبق على بروزها إلا لحظات ، فإنه يتيمم ليدرك الصبح حاضراً ، ويشكر الله ـ تعالى ـ فهذه من محاسن الشريعة السمحاء ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » رواه البخارى والترمذى .

يعنى أدركه حاضراً ، ليس عليه ذنب ، لأن الإنسان إذا استيقظ بعد طلوع الشمس ثم قام ليصلى ، فإنه يكون فى هذه الحالة ممن أضاع الصلاة وصلاها فى غير وقتها المحدد لها ، كذلك إذا غربت عليه الشمس ولم يصل العصر ،ومع ذلك هو فرح مسرور لا يدرى ، نقول له : لا تفرح : ، فقد قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » رواه الإمام مالك فى الموطأ فالذى تفوته صلاة العصر فى وقتها فكأن أهله قد هلكوا جميعاً ، وكأن ماله كله قد ضاع .

فانظر واحكم بنفسك : أولاده وزوجته وأبوه وأمه قد ماتوا ، ودكانه وأمواله كلها كأنها قد ضاعت ، لأى شئ ؟ لأنه فاتته صلاة العصر ، لم يتركها ، ولكنه أخرها حتى غابت الشمس ، فهذا هو الذى « فاتته » صلاة العصر ، فكيف يكون حاله ؟ : « فكأنما وتر (ضيع) أهله وماله » كأنما فقد أهله وماله فمن ذا الذى يفكر فى هذا الكلام ؟ من يفكر ؟ إنهم يجلسون يتحدثون ويثرثرون حتى تغيب الشمس ، ثم يتوضأون لصلاة العصر ؟ !

ولكن : من يسر الدين ومحاسن الإسلام أنك تستطيع أن تنجو من إثم تضييع وقت الصلاة ؛ فأنت تخاف أن يضيع أهلك ومالك ، فتسرع إلى الوضوء ، ثم تقوم لتصلى العصر فى وقتها مع الجماعة فإنك قد خرجت من المأزق ، الحمد لله ! ، لقد خرجت من الوعيد الذى فى الحديث السابق ، لقد أدركت صلاة العصر فى وقتها الاختيارى .. وقد ذُكرَ عند النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رجلٌ نام ليله حتى أصبح ، قال ـ : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه » ـ أو قال « فى أذنه » رواه البخارى ومسلم .

أما إذا قام قبل طلوع الشمس وبعد الركعة الأولى طلعت الشمس ، فقد خرج من الوعيد وأدرك الصبح ، وسلم من بول الشيطان .

يا سيدى يا رسول الله : بجاهك عند الله اسأل الله ـ تعالى ـ أن ينقذ الأمة من هذا البلاء ، الناس الآن يصلون الصبح بعد طلوع الشمس ، ويبول الشيطان فى آذانهم ، فيصبح كل منهم خبيث النفس كسلان .

أنا لا أتكلم على المريض وإنما أتكلم على الصحيح ، فهل كنت مريضاً طول عمرك ؟ لقد كنت قوياً مثل الأسد ،ولكنك لم تصل ، فإذا ما خفت من البرد تقول : أنا مريض ، هذا حكم وهذا حكم ، المحكمة يوم القيامة ، يقال لك : أيها الرجل لماذا لم تصل الصبح ؟ فتقول : كنت مريضاً ، فينظر فى صحيفتك ، فإذا كنت مريضاً مرضاً لا يمكنك معه الصلاة فإنك تسامح ، أما إذا كان يمكنك الصلاة فإنك لاتسامح . والله ـ تعالى ـ عالم بذلك كله ، والملائكة شهود عليك .

حكاية :

رجل من السودان أيقظته أمه ليصلى ، قائلة له : يا عبد الله : قم فصل ، فتأوه مدعياً التعب ، فتركته ثم عملت له طعاماً محبباً إليه (عصيدة) ،

ثم نـادته يا عبـد الله : قم لـتأكل العصـيدة ، فهـب من نومـه قائلاً : أى والله !! ، وقام ليأكل العصيدة التى يحبها .

فعبد الله هذا ليس له عذر ، ويستحق المحـاكمة ، فيسأل : أنت يا عبد الله : لماذا لم تصل ؟ ، فيـقول : كنت مـتعبـاً ، لا ، هناك كرابيج [1] يوم القيامة للكسالى !

ولكن إذا كان مريضاً فله عذر ، ﴿ **فمن كان منكم مريضاً** ﴾ [2] فهذا عذر .

فاللهم سلمهم يارب ،واهدهم لصلاة الصبح فى وقتها .

والمصيبة الكبرى : أن أحدهم ينام مع امرأته بعد العشاء ،ويظل نائماً بالجنابة إلى أن تطلع عليه الشمس ، فإذا سئل : لماذا لم تصل الصبح فى وقتـها ؟ قال : لقد خـفت من البرد إذا اغتـسلت من الجنابة ؟! ، لماذا لم تخف من البرد عنـدما قضيـت مأربك ؟! ، عند الوضوء والصـلاة فقط تخاف من البرد ؟ ﴿ **قل نار جهـنم أشد حراً لو كـانوا يفقـهون** ﴾ [3] ، ففى نار جهنم نار شديدة الإحراق .

صورة أخرى تبين يسر الدين :

ومن سماحة الدين : لو كان الرجل صائماً فى رمضان ، فأجنب ، ثم أذن لصـلاة الصبح ، فـمن سمـاحـة الدين أنه يجوز أن ينوى الصـوم ، وبعد ذلك يـغتسل ثم يتـوضأ ليـصلى الصبح ،وصـومه صـحيح ؛ لأن الطهارة ليست شرطاً فى صحة الصوم .

والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسـلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ

---

(١) سياط .

(٢) ١٨٤ : البقرة .

(٣) ٨١ : التوبة .

« أن رجلاً جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يستفتيه وهى تسمع من وراء الباب ، فقال يا رسول الله : تدركنى الصلاة وأنا جنب أفأصوم ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب فأصوم ، فقال : لست مثلنا يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى » .

فإذا أذن عليك الأذان فى رمضان ، وأنت جنب ، فنقول لك : إذا نويت الصيام قبل الأذان فصومك صحيح ؛ لأن الصوم لا يشترط لصحته الطهارة ، فهذا تخفيف من ربكم ورحمة .

شرح حديث :

« قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن »

قال العلماء : كيف يحصل ذلك ؟ هذه سورة صغيرة ،والقرآن فيه ١١٤ مائة وأربع عشرة سورة ثلثها ٣٨ ثمان وثلاثون سورة ، فكيف تساوى « **قل هو الله أحد** » ٣٨وحدها ثمانى وثلاثين سورة ؟

قال جماعة منهم : معنى الحديث أنها تعدل ثلث القرآن فى المعنى ، وليس فى الألفاظ ، وذلك لأن القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء : توحيد ، وتشريع ، وقصص :

فالتوحيد : جاء لأن الله ـ تعالى ـ يعلم أن الخلق يعجزون عن وصفه ، فوصف نفسه فى القرآن ، وهذا هو التوحيد .

والتشريع : نحو قوله ـ تعالى ـ :﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ [1] ، فهذا يسمى تشريعاً .

---

(١) ٢٠ : المزمل .

والقصص : نحو ﴿ **واذكر فى الكتاب مريم** ﴾[1] ، ﴿ **واذكر فى الكتاب إبراهيم** ﴾[2] ، فهذا يسمى قصص الأولين ، يعنى : أخبارهم .

والقسم الأول من هذه الأقسام الثلاثة موجود فى سورة الإخلاص ، ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ : اشتملت على التوحيد ، فمعنى أنها « تعدل ثلث القرآن » أنها ـ فى المعنى ـ تعدل قسم التوحيد من القرآن الكريم .

بعض العلماء قال هذا الكلام ، منهم الحافظ ابن حجر العسقلانى ـ رحمه الله ـ وقد تعرض له فى الجزء التاسع من شرحه على صحيح البخارى ، فقد شرح العلامة ابن حجر العسقلانى صحيح البخارى فى ثلاثة عشر جزءاً ، وقد جمع فى شرحه مختلف العلوم ولا يستغنى عالم عنه ، فجزى الله ـ تعالى ـ المشايخ عنا خيراً .

قال لى شيخنا حبيب الله ـ الشنقيطى ـ رحمه الله : ـ

يا ولدى ، إن الذى عنده شرح ابن حجر ـ على صحيح البخارى ـ عنده كتب السنة جميعها ؛ لأنه يروى الحديث بهذه الطريقة فيقول : عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : « **سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن أشياء كرهها فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال : سلونى ، فقام رجل فقال يا رسول الله : من أبى ؟ قال أبوك حُذافة ، ثم قام آخر فقال : يا رسول الله : من أبى ؟ فقال : أبوك سالم مولى شيبة .**

فلما رأى عمر مابوجه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الغضب قال : إنا نتوب إلى الله عز وجل ـ » ثم يقول ابن حجر مبينا الروايات الأخرى : زاد فى رواية الزهرى « فبرك عمر على ركبتيه فقال :

---

(١) ١٦ : مريم .

(٢) ٤١ : مريم .

رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا » وفى رواية قتادة من الزيادة « نعوذ بالله من شر الفتن » وفى مرسل السدى عند الطبرى فى نحو هذه القصة « فقام إليه عمر فقبل رجله وقال : « رضينا بالله ربا » فذكر مثله وزاد « وبالقرآن إماما فاعف عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضى » .

ثم يقول ابن حجر العسقلانى وفى هذا الحديث دليل على مراقبة الصحابة أحوال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لأمر يعم فيعمهم ..

حكم تقبيل اليد :

ثم يأتى ، فيقول وسط هذا الكلام ويفرع الأحكام على الزيادات الواردة فى الحديث : ويجوز تقبيل رِجْلِ الرَّجُل ، لأن الرواية الصحيحة أن عمر بن الخطاب قَبَّلَ رِجْلَ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وروى أبو داود فى باب وفد عبد القيس : أنهم رموا بأنفسهم من فوق دوابهم وابتدروا يد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورجله فقبلوهما .

فتقبيل اليد والرجل ـ فيما أعلم ـ رواه ابن حجر فى شرحه على البخارى فى باب الأخذ باليدين ، ورواه أبو داود فى قصة وفد عبد القيس .

والإمام البخارى له كتاب سَمَّاه « الأدب المفرد » فيه باب : «تقبيل اليد ، يذكر فيه أحاديث بأسانيدها» .

بين الإمام الجعفرى والشيخ محمود خطاب :

والشيخ محمود خطاب السبكى ـ اللهم اغفر له فإنك غفور ، وارحمه فإنك رحيم ـ حضرت عليه الدرس ، وكان يجلس أمامه

خمسة وخمسون طالباً ، فلما انتهى من درسه ، قام يريد الخروج ، فقمت إليه ـ وكنت قد حضرت من بلادى حديثاً ـ فتناولت يده لأقبلها ، فمنعنى من ذلك ، فقلت له : أخرج أبو داود فى باب وفد عبد القيس أنهم ألقوا بأنفسهم من فوق دوابهم ، وابتدروا يد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورجله فقبلوهما » ، فما أنت بأورع من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

فنظر إلىَّ ملياً ، ثم التفت إلى من حوله ، ثم قال لى : من أين أنت ؟ فقلت : من بلاد الله ! ، وكان قد مضى علَّى شهران فى الأزهر ، فالتفت إلى من معه ثم قال لهم : انظروا إلى هذا ، له شهران فى الأزهر ، ويخاطبنى بسنن أبى داود وفى الأزهر من له ثمانون سنة ، ولا يدرى أين سنن أبى داود .

كان هذا جوابه ، وأنا أشكره ؛ لأنه امتثل للدليل ، وكان ـ بعد ذلك ـ كلما سلمت عليه يرسل يده لى فأقبلها ، فأنا أشكره لأنه اقتنع بالدليل وأشهد له يوم القيامة بهذا عند الله ـ تعالى ـ .

موقف فى عرفات :

وفى عرفات سنة ١٩٥١ م كنت جالساً ، فجاء جماعة من المغاربة ليسلموا على ، ثم قبلوا يدى ، فجاء عالم من أهل نجد ، له لحية كبيرة ، بعد أن انصرف المغاربة فقال لى : أين الدليل على هذا ؟ (أى على جواز تقبيل اليد) ـ فقلت له : فى سنن أبى داود ، باب وفد عبد القيس ، فقال لى : فى سنن أبى داود ؟ إذن بارك الله فيك ، واقتنع بالدليل .

فهناك أناس إذا ذكرت لهم الدليل فإنهم يقتنعون ، هؤلاء هم المؤمنون حقاً ، وهناك ناس إذا ذكرت لهم الدليل تثعلبوا !! ، فهم

يتحاورون ويحرفون فاسمهم : المتشعلبون ! ، فاللهم ارزقنا الاستقامة ، ووفقنا إلى العمل بالكتاب والسنة .

هذه سنة وردت ، لماذا تذم المسلم على فعلها ؟ أمن أجل تقبيل اليد تغتاب أخاك المسلم ، وأنت تعلم أن الغيبة حرام ، إن الشرع أبوابه واسعة .

صلاة التراويح :

ولقد عرفت الشيخ السبكى من هو ، وعلى أى مبدأ كان ، ولقد اشتريت كتابه « شرح سنن أبى داود ، وقرأت فى باب صلاة التراويح ما يلى :

« وصلاة التراويح سنة ، والعدد فيها غير معلوم » ، وذلك صحيح ، وهذا إجماع الأمة ؛ لأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »

ولم يقل : من قام عشرين ركعة ، أو خمسين .

وفى زمن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ جمع أمير المؤمنين الناس على عشرين ركعة فى صلاة التراويح ، فالشيخ السبكى قال فى صلاة التراويح : « والعدد فيها غير معلوم » فرحمة الله عليه ، والآن بعض المنتسبين إليه يقولون : الثمانية هى السنة ، والعشرون بدعة ، هذا الكلام دخيل على هذا الشيخ الرجل الصالح ، والحمد لله فقد أطلعنى على الحقائق .

والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يصل التراويح ـ كيف ذلك ؟ لأن الله ـ تعالى ـ أوجب عليه قيام الليل فى رمضان وفى غيره ، أما صلاة التراويح فهى سنة للأُمة فى رمضان ،ودليلها الحديث : « من قام

رمضان » يعنى بأى عدد من الركعات « إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وفى رسالة للشيخ على الأجهورى المالكى ذكر أنه وجد حديثاً صحيحاً فيه زيادة : « وما تأخر » .

إذن : العدد غير معين ، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكن يصلى التراويح وإنما كان يصلى قيام الليل المفروض عليه فى رمضان وفى غيره ، وهناك روايتان فى مقدار صلاة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

إحداهما : أنه مازاد على إحدى عشرة ركعة : ثمان للقيام ، واثنتان للشفع وواحدة للوتر .

والأخرى : أنه مازاد على ثلاث عشرة ركعة : عشرة للقيام ، واثنتان للشفع وواحدة للوتر .

ولم يزد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على ذلك المقدار فى رمضان ولا فى غيره .

فالذى يقول إن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلى التراويح فى رمضان ، ولم يزد على ثمانى ركعات نقول له : لقد كذبت ، لأن التراويح سنة ، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يصلى قيام الليل الذى هو واجب عليه ، وإنما جعلت التراويح سنة للأمة .

فكفاكم هذا الجدال ، هل أنتم أعلم من سيدنا عمر ، ومعه آلاف الصحابة ؟

هل أنتم أعلم من سيدنا عثمان ، ومن سيدنا على ، ومن الأئمة الأربعة ؟ يقول الإمام مالك : ويستحب قيام التراويح فى رمضان ، وهى عشرون ركعة ، ويقول الشافعى : وهى عشرون ركعة .

فلماذا هذا الشقاق يا مسلم ؟ صل أنت ثمانية ، ولكن أمسك لسانك عن السلف من الصحابة وغيرهم ، كيف تقول إن صلاة التراويح عشرين ركعة بدعة ؟ ،وقد صلاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عشرين ؟ هذا عيب ، فأمسك لسانك عن السادات ، ألا تعرف حديث البخارى عن سيدنا عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال : **قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « خيركم قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »** ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : **« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : «بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل** » رواه أبو داود .

ومعنى « كغثاء السيل » أى : مثل ورق الشجر والتبن وغيره مما يطفو فوق ماء الترعة ، إذن : أنت من غثاء السيل ، وتريد أن تغلط سيدنا عمر والصحابة والأئمة الأربعة ؟ أفلا تستحى من الله ؟!

قل : أنا اخترت لنفسى أن أصلى التراويح ثمانى ركعات ، أما السابقون فقل : رضى الله عنهم ، ولا تقل إن مافعلوه بدعة ، اتقوا الله يا ناس ، تعلموا العلم ، أتقولون إن صلاة التراويح ثمانى ركعات ، والعشرون بدعة ، فهل يفعل سيدنا عمر البدعة ؟!

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « اقتدوا باللذيْن من بعدى أبى بكر وعمر » . وفى رواية : « أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رأى أبا بكر وعمر ، فقال : « هذان السمع والبصر » . رواه الترمذى .

وقال عليه الصلاة والسلام ـ :« ...فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » . رواه الترمذى .

أتجيئون بعد ١٣٩٧ الف وثلاثمائة وسبع وتسعين سنة وتقولون إن الناس كانوا يصلون التراويح بدعة ؟ أعرفتم هذا العلم وحدكم ،

والعالم المتقدم عليكم كان لا يعرف ؟ لماذا ؟! فاستغفر ربك يا هذا ، وصل وأمسك لسانك عن المؤمنين ، صل كما تريد ، فلم يمنعك أحد ، لأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :« من قام رمضان » ولم يحدد عدداً .

والشيخ محمود خطاب السبكى ـ رضى الله عنه ـ لم يذكر عدداً ، وإنما قال : يصلى كما يريد فصل أنت ستاً ، أو ثمانى عشرة ، أو مائة ، واسكت عن غيرك ، لكن إياك أن تقول :

هذه بدعة وضلالة وفى النار !

عود إلى الشيخ محمود خطاب :

ويعجبنى الرجل (محمود خطاب) وأنا لا أحب أن أغتاب أحداً ، أنا أتكلم الحق ولقد رأيت الرجل بنفسى ، وسمعت منه ، فلا أظلمه ، ولا أقول عنه إلا أننى رأيته معتدلاً ورجلاً طيباً وصالحاً ، ورأيته رجاعاً إلى الحق .

وسمعت منه فى الدرس عند شرح حديث تعبد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى غار حراء قوله : « من هذا أخذ الصوفية الخلوة » ثم تكلم على التصوف والصوفية وطريقته خلوتية ، وقد رأيت من أخذوا عنه الطريق ،ورأيت له كتاباً ألفه يسمى « العهد الوثيق فى آداب الطريق » ، وقد طبعه مرتين ، فى حياته والآن قد اختفى .

فالإنسان لا يذم المسلمين ، ولكن يسلم الأمر لله ،ويستغفر لذنبه وللمؤمنين .

س : هل وردت : « **لا إله إلا الله الملك الحق المبين** » فى حديث أولا ؟ فبعض الناس يقول لى : لا تقلها ، فهى لم ترد ،وهذا حرام عليك .

ج : « **لا إله إلا الله الملك الحق المبين** » هذا أثر وارد ..

حكمة :

إن طال العمر لابد من القبر وإن طال الليل لابد من الفجر

هل هناك ليل من غير فجر ؟ أبداً . ! هل هناك عمر من غير قبر ؟ أبداً أبداً . ولكن ابن آدم غافل .

نزول عيسى آخر الزمان :

س : لماذا ينزل سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ ؟!

ج : قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « والذى نفسى بيده : ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ،ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » رواه البخارى ومسلم .

هذه رواية الصحيحين ، فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الذى قال هذا الكلام فلا تقل : لماذا ينزل ؟ ، ولكن قل : بماذا ينزل ؟ ، ولماذا يموت ابن آدم ؟ إن الحكمة يعلمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

ينزل عيسى ـ عليه السلام ـ لأن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ قال : ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ [1] ، إن النصارى متمسكون بعيسى ـ عليه السلام ـ ، فهو ينزل ليقول لهم : ليس هناك نبى إلا محمد ، فالساعة لا تقوم حتى يظهر الله ـ تعالى ـ هذا الدين على كل الأديان .

فينزل سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ ويحكم بالكتاب والسنة ،ويمكث خمس سنين أو سبعاً ـ الله أعلم ـ فهناك أقوال فى مدة بقائه ، ويموت بالمدينة ، ويدفن بجوار النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويتزوج امرأة من العرب ، فلا يموت عزباً .

---

(١) ٣٣ : التوبة ، ٢٨ : الفتح ، ٩ : الصف .

س : ما تفسير ﴿ **إنى متوفيك ورافعك إلىَّ** ﴾ [1] ؟

جـ : (متـوفيك) يعنى بالنوم ، و(رافعك) أى : إلى السـماء وأنت نائم ، فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ قد أنام عيسى ـ عليه السلام ـ ورفعه .

س : هذه الوفاة قبل النزول أو بعده ؟

جـ : الوفـاة ـ فى القـرآن ـ تطـلق على النوم ،وعلى المـوت ، قـال ـ تعالى ـ :﴿**وهو الذى يتوفاكم بالليل** ﴾ [2] فهل معناها يميتكم ؟ فالنوم يسمى وفاة ،والموت يسمى وفاة ، ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ [3] يعنى وفاة الموت ، (وهو الذى يتوفاكم بالليل) يعنى : ينيمكم .

وقال العلماء فى تفسير آية ﴿ **إنى متوفيك ورافعك إلىَّ** ﴾ قولين :

قالوا : (إنى متوفيك) يعنى : منومك ورافعك .

وقالوا : آية عيسى كآية أمه . كيف ذلك ؟

الجواب : قـال الله ـ تعالى ـ فى قصـة مريم : ﴿ **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركـعى مع الراكعين** ﴾ [4] فهل السـجود أولاً أو الركوع ؟ فـالملائكة لم تقل لهـا اركـعى ، ولكن : (اسجـدى) ثم (واركـعى مع الراكـعين) فـهناك تقـديم وتأخـير ،والمعـنى : اركـعى مع الراكـعين ، واسجـدى مع الساجـدين ،وكذلك آية عيسى ، الأصل فى المعنى : إنى رافعك إلىَّ ومتوفيك بعد أن تنزل إلى الأرض ، فآية عيسى كآية أمه .

ومـعنى (اقنتى) أى ادعى ، (واسـجـدى واركـعى مع الراكـعين)

---

(١) ٥٥ : آل عمران .

(٢) ٦٠ : الأنعام .

(٣) ٤٢ : الزمر .

(٤) ٤٣ : آل عمران .

وقدم السجود للاهتمام به ، لا لتقديم الرتبة ، ولكنه تقديم الاهتمام ، أما تقديم الرتبة فهو : اركعى واسجدى مع الساجدين .

﴿ **إنى متوفيك ورافعك إلىَّ** ﴾ : يريد الله ـ تعالى ـ أن يطمئن سيدنا عيسى فهو يقول له : أنا سأتوفاك بنفسى ، والناس الذين دخلوا عليك لن يستطيعوا أن يقتلوك ، لأننى سأتوفاك بنفسى ، فالتقديم للاهتمام ، قال ـ تعالى ـ :﴿ **إنى متوفيك ورافعك إلىَّ** ﴾ والأصل : إنى رافعك إلىَّ ، وبعد ذلك ستنزل إلى الأرض ، وأنا متوفيك فى الأرض ، وقدم (متوفيك) للاهتمام .

أولية النور المحمدى :

روى عن سيدنا جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أنه سأل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن أول شئ خلقه الله ـ تعالى ـ ، فقال : «أول ما خلق الله ـ تعالى ـ نور نبيك يا جابر » . أخرج هذا الحديث عبد الرزاق اليمنى الزبيدى فى مصنفه فى الحديث ، ونقله عنه الشيخ أحمد القسطلانى شارح البخارى ، فى كتابه « المواهب اللدنية » ونقله أيضاً الشيخ الدردير ـ أبو البركات ـ فى مولده ... والشيخ الباجورى ، وجاء به الشيخ ابن حجر الهيتمى فى مولده ، وجاء به الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى فى مصنفه المسمى : « الأنوار المحمدية » .

فهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أول ما خلق الله ، و لا شئ فى ذلك ، إذا قلنا إنه أول خلق الله ، فما المانع من ذلك ؟ هل النبى مخلوق أولاً نعم هو مخلوق أولاً .. فالله ـ تعالى ـ قدمه على الخلق تكرمة له واحتراماً .

والمراد بالنور :الروح ، والنور يعلمه الله ؛ لأن الأرواح خلقت قبل الأجساد وقال الله ـ تعالى ـ :﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾[1] ،

(١) ٢٥٣ : البقرة .

فخلق نبينا أولاً تفضيلاً له ، ونحن نتكلم بالقرآن ، فليس العلم بالكلام ، ولكن العلم نقل ، فنحن نسمع كلام الله ـ تعالى ـ ، وننقل عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعن العلماء أما أصحاب الجرائد ، فإنهم يتكلمون كما يريدون ، ولكن لا ينقلون عن العلماء .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ [1] ، فكلام الله ـ تعالى ـ حق لا يختلف ، ﴿ **والشمس تجرى لمستقر لها** ﴾ [2] فعلاً ، ﴿ **والقمر قدرناه منازل** ﴾ [3] لاشك فى ذلك ، ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ [4] ، فلا ملك ولا غنى ولا وزير .

س : سمعنا أن آدم ـ عليه السلام ـ لما نفخت فيه الروح تلفت حوله ، فرأى اسم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مكتوباً على العرش ، فهل هذا صحيح ؟

جـ : نعم ، أخرج الحاكم فى المستدرك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب : أسألك بحق محمد لما غفرت لى ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يارب ، لأنك لما خلقتنى بيدك ، ونفخت فىَّ من روحك ، رفعت رأسى ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله: صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إلىَّ ، ادعنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك ».

---

(١) ٨٢ : النساء .

(٢) ٣٨ : يس .

(٣) ٣٩ : يس .

(٤) ٤٢ : الزمر .

وروى الترمذى فى سننه ، أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال :

« كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد »

فهذا حديث صحيح ، أما الذين يعارضون هذا ، فهم غير علماء ، غير باحثين عن النصوص والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه** ﴾ فى الأزل ، ﴿ **ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾ ، أخذ الميثاق على النبيين كلهم ، وقال لهم : آمنوا بمحمد ، وإذا حضرتموه فانصروه ، ﴿ **قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ [1] ، فكل الأنبياء أخذ ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم الميثاق بأن يكونوا جنوداً له ، وإذا حضروه يحاربون معه فى غزواته : ﴿**لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾ .

قال النبهانى :

نورك الكل والورى أجزاء يا نبياً من جنده الأنبياء

الشيوعية والشيوعيون :

س : ما معنى الشيوعية ، ومن هم الشيوعيون ؟

جـ : الشيوعيون هم قوم يحكمون عقولهم ، ويقولون : لا رب ، ولا كتب ،ولا رسل ،وهم يرون أن الإنسان وجد فى الدنيا ليحكم عقله فيها ، ولا وجود عندهم لإله يأمر وينهى ، ولا يعترفون بالرسل ، فهم أكفر من أبى لهب ، وأكفر من اليهود والنصارى ، لأن النصارى يقولون : آمنا بعيسى ، واليهود يقولون : آمنا بموسى ، والمسلمون يقولون آمنا بالأنبياء والرسل جميعهم ..

---

(١) ٨١ : آل عمران .

والشيوعيون يكفرون بالجميع ! ، فالشيوعيون قوم لا دينيون ، ورئيسهم يسمى ماركس ، وهو كافر وأبواه كافران ،والذين يتبعونه كافرون هالكون ، يقودهم زعيمهم إلى الهلاك ، كما صنع فرعون بمن تبعه ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ، وبئس الورد المورود** ﴾ (١) .

فالشكر لله ـ تعالى ـ أن جعلنا مسلمين ، اللهم لك الحمد يارب ، اشكروا الله على محبة الله ، وعلى معرفة الله ، وعلى محبة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

الصحابة الذين عاشوا مع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يمدحهم بقوله : ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ (٢) لماذا ؟ لأنهم كانوا مع الحبيب ، فالله ـ تعالى ـ يحبهم لأن الحبيب راض عنهم ، يقول البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

رضى الله عنهم ورضوا عنه فأنى يخطو إليهم خطاء

بأبى بكر الذى صح للناس به فى حياتك الاقتداء

فأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ صار إماماً فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأين نحن من هؤلاء ؟ نحن الآن فى آخر الزمان .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل ، ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحد ينكرها ، قيل : وما المثناة ؟ قال : ما اكتتبت سوى كتاب الله عز وجل » رواه الحاكم فى المستدرك وصححه .

---

(١) ٩٨ : هود .

(٢) ١٠٠ : التوبة .

قال شيخنا الشنقيطى : « المثناة » هى الجرائد التى نراها الآن ، فهى كلام مكرر يكتبه ناس يذكرون فى الجرائد ما يريدون قوله من غير نكير من أولى الأمر ، فهذا من علامات الساعة .

ونحن نؤمن بأن القيامة آتية ، فهل الدنيا ستستمر هكذا ؟ أين إذن قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذا البحار سجّرت** ﴾ (١) ، ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ (٢) ، ﴿ **ويَوْمَ تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ (٣) ، أين ذلك ؟ إنه آت ، فصدق ، وآمن ، واجعل قلبك يؤمن بأن القيامة آتية .

إذن : لماذا يصبر الله ـ تعالى ـ على الكفار ؟ لأنه أعدّ لهم عذاباً أليما ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **فاصبر صبراً جميلاً . إنهم يرونه بعيداً . ونراه قريباً** ﴾ (٤) ، وهو يوم القيامة ، لكن الكفار والشيوعيين لا يؤمنون ، ولا يصدقون بيوم القيامة .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب** ﴾ (٥) .

آخر الزمان :

كيف تأتى القيامة ؟ تأتى بقوله كن ، وجاء فى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد أن ذكر خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم قال : « ... ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض من أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير

---

(١) ٦ : التكوير .

(٢) ١ : الانشقاق .

(٣) ٢٥ : الفرقان .

(٤) ٥ : ٧ : المعارج .

(٥) ٧٧ : النحل .

أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » . وهذا عند قرب الساعة ، فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يقبض أرواح المؤمنين أولاً ، فلا يبقى مؤمن على وجه الأرض .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع** » رواه الترمذى .

أى شرير ابن شرير .

س : هل هذا يتعارض مع الحديث : « **الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة** » .

جـ : لا تعارض ، فالحديث الذى معنا يدل على أن الريح اللينة تقبض أرواحهم .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ، الله » رواه مسلم .

وقال : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق » رواه مسلم .

علامات الساعة :

وقد ذكرت لكم ـ قبل هذا الدرس ـ علامات الساعة ، ويجمعها رمز هو (تَمدٌّ عيْرٌ دَقّ) فالتاء : تُرْكٌ ، والميم مهدى ، والدال : دجال ، والعين : سيدنا عيسى ، والياء : يأجوج ومأجوج ، والراء : رفع القرآن ، والدال : دابة ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض** ﴾ [1] ، والقاف : قيامة .

وأنا مع خوفى عليكم من الشيوعيين ، لكن بركة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ستمنعهم عنكم ، فقولوا معى : آمنا بالله ، آمنا بأن الله أقوى من كل شئ .

---

(١) ٨٢ : النمل .

س : عندى بنت متزوجة فهل يجوز أن أعطيها من الزكاة ؟

جـ : يجوز لك أن تعطى الزكاة لزوجها وأولادها ، لأنهم أجانب عنك ، أما هى فلا ، قال الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فابن ولدك ابنك وابن بنتك غريب عنك .

س : هل يكون نزول المهدى أولاً أو سيدنا عيسى ؟

جـ : سيدنا عيسى ينزل آخر الزمان ، أما المهدى فإنه ينزل أولا ، ثم يظهر الدجال ثم ينزل سيدنا عيسى ليساعد المهدى على قتل الدجال ، فيقتله بالشام فى فلسطين عند بيت « لد » وفى رواية أنه ينزل على المنارة البيضاء فى الشام .

حكاية عن الاستعمار فى مصر وغيرها من الدول العربية :

أول ما حضرت إلى الأزهر ، كان يقف على باب الأزهر (كونستابل) انجليزى وكان يركب حصاناً أبيض ،وكان يلبس طربوشاً ، وكانت القلعة ملأى بالإنجليز ، وعند كوبرى قصر النيل كان يوجد مكان متسع ملآن بالانجليز ، وكنا نذهب لنتفرج عليهم ،وكانت مصر ملأى بالإنجليز ،وقد قال الناس الأكبر منا سناً : إن الذى كان يرأس الشرطة فى مصر انجليزى ، والمأمور : مصرى وكذلك رأيتهم بعينى فى السودان : المأمور مصرى والمدير انجليزى : وفى فلسطين : كذلك ، وفى سوريا كانت فرنسا ، وفى العراق : إنجليز ، وفى ليبيا : طليان ، وفى تونس : فرنسا ، وفى الجزائر : فرنسا ، وفى المغرب : فرنسا ..

يعنى أن بلاد المسلمين كانت مستعمرة كلها ، فمن الذى أخرج الاستعمار وقضى على هذا البلاء الكبير ؟

إن المسلمين لم يكن بوسعهم ذلك ، فلا سلاح ولا قوة ،ولا عدد ، ولا عُدَد أمام هذا البلاء ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخرج الإنجليز من مصر بقدرته من غير مدفع ولا بندقية ، أخرجهم الملك الأعلى من مصر ، ثم أخرجهم من السودان ثم أخرج الطليان من ليبيا ، ثم أخرج فرنسا من تونس ، وفى الجزائر قيض الله ـ تعالى ـ رجالاً مخلصين ، جاهدوا ، حتى أخرجوا الفرنسيين من بلادهم ، وكذلك أخرج الفرنسيين من المغرب ، فحرر الله ـ تعالى ـ البلاد جميعاً .

فزماننا هذا زمان الاستقلال ، فالآن بلادنا كل حكامها مسلمون .

والله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ **لننظر كيف تعملون** ﴾ [1] فهل ترى يا من أعطيتكم البلاد بعد طرد أعدائى الكفار منها ، هل تعملون مثل عملهم ، أو ترجعون إلى شرعى وحكمى ؟ إن عملتم بالشرع : زدتكم قوة إلى قوتكم وزدتكم خيراً إلى خيركم ، أما إن تمسكتم بقوانينهم ، وقلدتموهم فى ضلالهم ، فسوف يكون الجزاء عسيراً .

وإن شاء الله ـ تعالى ـ أرى الدول العربية كلها تفكر فى الرجوع إلى الحكم بالقرآن الكريم ، وعلى كل حال فالحاكم المسلم ـ وإن كان فاسقاً ـ خير من مليون حاكم كافر ، لأنه مسلم ونسأل الله أن يديم علينا العزة .

وقد أخرجهم الله ـ تعالى ـ من بلاد المسلمين ،وقطع دابرهم ، وإن شاء الله ـ تعالى ـ لا رجوع لهم :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فالمستعمرون قد خرجوا من البلاد ،وهم يتمنون العودة ، ولكن هذا لا يمكن ، لأنهم حينما دخلوا السودان لم يكن عند السودانيين شئ إلا

---

(١) ١٤ : يونس .

العصا ، فاصبح الآن عندهم المدافع ، والبنادق ،والجيش المتعلم ، وحينما دخلوا مصر لم يكن عند المصريين شئ إلا الكلام ! ، فأصبح الآن عندهم المدافع بأنواعها ،والصواريخ ،والجيش المنظم والطائرات التى يقودها الطيارون الماهرون ، فالحال الآن قد تغير ، والله ـ عز وجل ـ قد أعطانا ، وأعزنا بالنعم ،ولكن لا ينقصنا إلا شئ واحد ،وهو أن نلتفت إليه ـ سبحانه وتعالى ـ فهو قد أبعد عنا العدو ، وأعطانا قوة ، وحينما جاء اليهود ، وأرادوا أن يتجرأوا علينا أنزل الله عليهم البلاء ، ونصرنا عليهم ، فهذه نعمة من نعمه ـ سبحانه وتعالى ـ علينا .

س : مسافر صلى الجمعة ، وأراد السفر ، فهل يجوز له أن يصلى العصر بعدها جمع تقديم ؟

جـ : نعم يجوز له ذلك ما دام مسافراً .

(الله الصمد) من هو الصمد ؟ هو الله .

رجل من علماء اللغة كان يؤلف كتاباً فى التفسير واللغة ، فلما وصل إلى كلمة « صمد » لم يعرف معناها ، فقال لنفسه : أخرج إلى البوادى ، حتى أسمع من العرب مايقولون فى معناها ، فخرج إلى الصحراء ، فوجد خيمة ، بجوارها جمل قد ربط ، وهو هائج ، صائم لا يأكل ، ولا يشرب ،وبينما هو واقف جاءت فتاة صغيرة ، فنادت على من فى الخيمة : ما بال بعيركم لم يذهب إلى المرعى ؟ فقالت لها فتاة من الداخل : إنه صَمَد ، لا يأكل ولا يشرب ـ ففهم رجل اللغة معنى «صمد » .

فمن معانى الصمد : إنه الذى لا يأكل ولا يشرب .

س : هل من معانيه : الذى يصمد إليه فى الحوائج ؟

جـ : نعم ، هو من معانى الصمد ، أى : الذى يُقْصَدُ إليه فى الحوائج .

و« الصمد » لـه معانٍ كثيـرة ، حتى إن بعضهم ألف كـتاباً فى ذلك ، وفى بعض البلاد يسمونَ المسئول عن الزراعة : الصمد .

فالصـمد : هو المقـصود فى الحـوائج ، لكن لا تقال هذه الكلـمة فى صفات الله ـ تعالى ـ على أنها مـثل صفات الناس ، وإنما الله « الصمد » الذى عنده جمـيع الحوائج ، كل حـاجة تخطر ببـالك فهى عنده ، فـهو القائـل لعباده :(ادعـونى أستـجب لكم) [1] أى اقصـدونى فهـو عنده جميـع الحوائج ،ويأمر بطلبهـا منه ، صحة ، ذرية ، زوجة ، مـال ، نصر على الأعداء ، كل حاجة عنده .

سبحانه وتعالى : يدافع عنك ، ويداويك ، ويغنيك ، ويفرحك :

(وأنه هو أضحك وأبكى) [2] : يأتى بأسباب تضحكك ، وبأسباب أخرى تبكيك ـ سبحانه وتعالى ـ .

« صَمَدٌ » ليس كمثله شئ ، من عنده جميع الحوائج ؟ لا أحد غيره ، الملوك يقولون : يارب ، إذا مرضوا : يقولون : اللهم اشفنا ، فليس هناك أحد عنده الصحة والعافية غير الله ـ تعالى ـ :

وكان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا رفع من سجوده ،وجلس بين السجـدتين يقول : « اللهم اغفـر لى وارحمنى واهدنى ، وارزقنى ، واعف عنى ، وعافنى » .

فالمغفرة من الله ، والرحمة من الله ، والهداية من الله ، والرزق من الله ، والعافية من الله .

والعبد إنما يفـرح إذا كان سيده يمتلك كل شئ ، من كـسوة ،وطعام ،

---

(١) ٦٠ : غافر .

(٢) ٤٣ : النجم .

وشراب فإذا أراد العبد أن يلبس : كساه سيده ، وإذا أراد أن يأكل أو يشرب وجد ما يأكله وما يشربه ، فالعبد يفرح بغنى سيده ، لأنه يعطيه ما يأكله وما يشربه .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** ﴾ (١) .

لماذا يفرحون ؟ لأن ربهم عنده كل شئ ، وإذا كان هناك شئ غير موجود عند الله ، فمن أين نأتى به ؟ ، ولكن الله ـ تعالى ـ عنده كل شئ ، وقد أعطانا الإذن بأن نسأله ، فلنفرح بذلك .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ **إن الله تعالى يحب الملحين فى الدعاء** ﴾ . رواه البيهقى ، أى الذين يكثرون من الدعاء ، فجرب تجد الإجابة ، فمن عنده حاجة ، وقال : يارب . فإن حاجته تقضى وإن طال الزمن ؛ لأنَّها موجودة عنده ، وهو كريم ، وكم سمعنا : اسمه الكريم ، واسمه الغنى ، فهو غنى وكريم ، وهناك من عباده من هو غنى فى المال ولكنه بخيل ، لا يحصل منه أحد على شئ ، لكن الله ـ تعالى غنى كريم والله ـ تعالى ـ يقول ﴿فإن ربى غنى كريم ﴾ (٢) .

سبحانك يارب ، الحمد لله على الإسلام ، نحن فرحون بك يارب ، وأعظم فرح : الفرح بالله ،ومن يريد ذرية يقول : يارب : هب لى من لدنك ذرية طيبة .

س : سمعنا أن من معانى « الصمد » الذى أعطى كل شئ خلقه ، فَما تفسير ذلك ؟ .

جـ : هذا من معانى « الرب » لأن فرعون لما قال لموسى وهارون :

---

(١) ٥٨ : يونس .

(٢) ٤٠ : النمل .

﴿**فمن ربكما يا موسى**﴾ [1] كان رد موسى : ﴿ **قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى** ﴾ [2] يريد فرعون : لماذا أنكرتم ربوبيتى ـ وهو الذى قال أنا ربكم الأعلى ؟! ـ فقال له موسى : أنت كذاب ، فقال له فرعون : فمن ربكما يا موسى ؟ قال : ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، أى : أعطى كل مخلوق مخلوقَه ، فمثلاً : ماذا يأكل العصفور ؟ إنه يأكل الحب ، فمن الذى هداه وعرفه أن يأكل الحب ؟ هو الله . إذن العصفور مخلوق خلقه الله ، وهداه إلى الحب الذى خلقه له ، وهيأ المعدة له .

والنسر الطائر : من الذى هداه إلى أكل البقر ؟ الله الذى خلقه ،وقد رأيت منقاره كمثل ساطور الجزار ، يشق جلد الجمل .

(ثم هدى) أى : أعطاه وهداه ، أى دله ، حكيم عليم ، أين الأسد ؟ فى الجبال ، لماذا لا يدخل البلد ؛ لأنه إما أن يفترس أحداً ، وإما أن يقتله أحد الناس .

فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ جعله يسكن الجبل ، وأعطاه جلداً قوياً يتحمل به الحر والبرد ولكن : هل حرمه من الرزق ؟ لا ، ولكن أنزل المطر حتى تنبت الحشائش ،وأوجد له الغزلان والبقر ، لكى يأكل الأسد والنمر والضبع ، فهى مخلوقة لهم ، وترى الثعبان يأكل العصافير .. وهكذا ، سبحانك يارب ، سبحانك فالدنيا مليئة بأصناف الحيوانات ، فهل رأيت قطاً قدم إلى أحد شكوى بأنه جوعان ؟ ، وهل رأيت قطة طلبت تحديد نسلها ؟ إنها تلد أكثر من سبع قطط فى المرة الواحدة ، والله ـ تعالى ـ يرزقها هى وأولادها ، وهى تعرف ربها وتحمى أولادها ولا تفرط فيهم ، وتغطيهم بجسمها من البرد لتدفئهم .

---

(١)، (٢) ٤٩، ٥٠ : طه .

فسبحان الله الخلاق الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى، فانظر فى المخلوقات وفكر ، فإنك ترى العجائب ، ترى الأسد الحيوان المفترس يحن إلى أولاده الصغار يلعقهم بلسانه ، ويلاطفهم ، هذا خلق الله ـ تعالى ـ .

(الله الصمد . لم يلد) ، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ لأن الذى يلد يموت . (ولم يولد) يعنى ليس له أب ولا أم ، لأن الذى له أب يرث عن أبيه ، وفى العادة أن الذى له أولاد فإنهم يرثونه بعد أن يموت ، والذى يولد لابد أن يرث أباه وأمه فى المال الذى تركاه ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عن الأولاد ،وعن الآباء وعن الأمهات .

(لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كُفُواً أحد) هذه قراءة حفص : بدون همز ، وقرأ أبو عمرو : « كفؤاً » ، والمعنى واحد ، ومعنى «كُفواً» : أى مساوياً فالمعنى : لاَ أحد يساويه ، يعنى : لا ند له ، ولا مثيل ، ولم يكن له مساوياً أحد ، فصفاته عالية ـ سبحانه وتعالى ـ .

المقدمة

الدرس الأول

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾ (٦ : ٢٨)

محتوى الدرس :

كل الفرائض لها أسرار وحكم من الله المشرع الحكيم . (٦ : ٢٨)

من أسرار الحج وحكمه

الطواف بالبيت العتيق وتقبيل الحجر الأسود

شرح مقالة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى الحجر الأسود

من فضائل الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ

عود إلى تفسير الآيات موضوع الدرس

بناء البيت على يد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ

معنى الأمن لمن يدخل الحرم

الصلاة فى مقام إبراهيم

صلاة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند الشجرة التى استراح إليها موسى ـ عليه السلام ـ

حكاية عن دفن إبراهيم وإسحاق ويوسف وسارة ـ عليهم السلام ـ

سؤال عن التوبة وإجابة الشيخ عنه

عفو المظلوم عن الظالم

أقوال ومدائح فى المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

أحكام فقهية حول : وقت الحلق والتقصير ، ومكان ذبح الهدى

الموضوع	الصفحة
سنة رسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى ذبح الهدى والتصرف فيه	
مسألة فى : التحلل من الإحرام ، وأخرى فى المبيت بمنى أيام التشريق	
فرض الحج	
ثواب أعمال الصبيان	
الاستطاعة فى الحج	
حكم الحج من مال مسروق	
النوافل اليومية	
التنفل يوم الجمعة	
التنفل جلوساً	
رؤى وتأويلها	
الدرس الثانى	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ الآيات (٢٩ : ٤٧)	
محتوى الدرس :	
القضايا الرئيسية التى يحدثنا عنها القرآن الكريم	
الحروف المقطعة فى أوائل السور	
رحمة الله تعالى العظيمة لعبده زكريا	
تفسير لمفردات الآيات	
قدرة الله ـ تعالى ـ على الخلق	
مقارنة ما حدث لسيدنا زكريا بما حدث لإبراهيم ـ عليه السلام ـ .	

الموضوع	الصفحة
شرح قوله ـ تعالى ـ إخباراً عن يحيى ـ عليه السلام ـ ﴿واتيناه الحكم صبياً﴾	
عود إلى تفسير المفردات	
تفسير معنى عدم المعصية فى قطع صوم النفل	
حفظ الله ـ تعالى ـ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من مس الشيطان عند الولادة	
وسوسة الشيطان للإنسان عند وفاته	
وفاة سيدنا يحيى ـ عليه السلام ـ .	
عصمة الله ـ تعالى ـ للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .	
وحدة الوجود عند الصوفية	
الدعاء لا يتعارض مع ما كتب فى اللوح المحفوظ	
رؤية الله ـ تعالى ـ فى النوم	
والرؤية فى اليقظة فى الدنيا ، والرؤيا فى الجنة	
رؤية المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى النوم واليقظة	
تقبيل الإمام أحمد الرفاعى لليد الشريفة	
تلقين النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أوراد الطريق للسيد أحمد بن إدريس	
سؤال عن دعاء مخصوص لرؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والإجابة عنه	
عود إلى تفسير آيات الدرس	
الفرق بين خلق عيسى ـ عليه السلام ـ وبين خلق سائر الناس	

الموضوع	الصفحة
تفسير ما جاء فى سورة مريم من حمل السيدة مريم وولادتها المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ .	
العبرة فى هذه القصة	
دعوات	
الدرس الثالث	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الله نور السموات والأرض﴾ الآيات .. ويحتوى على شرح معنى قول القارئ فى ختام قراءته : صدق الله العظيم(٤٨ : ٦٦)	
القرآن كلام الله ـ تعالى ـ وصفته	
كل ما فى الكون من آثار قدرة الله ـ تعالى ـ	
تفسير معنى النور فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾	
حديث السيدة عائشة عن نور النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ	
تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾	
أنوار القرآن الكريم تهدى الناس إلى طريق الحق	
أقوال العلماء فى تفسير (النور) فى الآية	
شرح المثل فى الآية (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)	
بيان الأوجه المختلفة فى التشبيه	
ألوان الطاعات لها مقدارها من الأنوار	
من صفات الله ـ تعالى ـ : القدرة والإرادة	
دقائق وأسرار فى تمييز الطاعة من المعصية	

الموضوع	الصفحة
الهجرة من أرض المعاصى واجبة (٥٠ : ٥٥)	
حكاية تبين ثمرة مجاهدة النفس والابتعاد عن أسباب الانحراف	
رحلة الشيخ حسن العدوى الحمزاوى إلى الأزهر الشريف ونزوله عند الإمام الحسين	
زيارة علماء الأزهر للإمام الشافعى وسبب مداومتهم عليها كل يوم جمعة	
رؤيا الشيخ حبيب الله الشنقيطى لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .	
حديث يبين فضل المحافظة على الصلوات الخمس	
شرح قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ ـ الآيات	
حكاية تظهر فضل التصدق فى سبيل الله وإكرام الفقراء والمساكين	
وأخرى فى الغرض نفسه عن الشيخ العدوى الحمزاوى ، وعن الشيخ الأمير	
وعن الشيخ سليم البشرى تبين ما كان عليه علماء الأزهر من جود وكرم	
الدرس الرابع	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾	(٦٧ : ٨٠)
محتوى الدرس :	
مجمل تفسير الآيات	
معنى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ﴾	

الموضوع	الصفحة

لا يحكم أحد بين اثنين حتى يسمع منهما

بيان حقيقة حكم ـ داود عليه السلام ـ بين الخصمين

القول المحرر فى تفسير ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾

ما ورد فى قصة داود من إسرائيليات ليس بصحيح وينبغى الإعراض عنه

عصمة الأنبياء والرسل

إشارة إلى تفسير الشيخ الصاوى وتفسير الحافظ ابن كثير

قصة المرأة التى خطبها يزيد بن معاوية وأنقذها منه مولانا الحسين ـ رضى الله عنه ـ .

حكم سليمان وداود ـ عليهما السلام ـ فى قضية الغنم

حديث طويل عن الشفاعة

سند الدعاء عند زيارة المقابر

حديث عن مسجد السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ .

العلة فى النهى عن الصلاة فى المقابر

السر فى أن المالكية كرهوا أن يصلى على الجنازة فى المسجد

سؤال عن نجاسة الدم وإجابة عليه

حقيقة التوسل

الاستعانة بالله ـ تعالى ـ

رؤيا الشيخ للإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ وبيان مغزاها

دليل الصوفية على الخلوة

الموضـوع	الصفحة
عود إلى الحديث عن السؤال والاستعانة	
الإنسان : مسير أم مخير ؟	
تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء	
الرضاع المحرم عند المالكية والشافعية	
ما يشهد عليه الإنسان ، وحديث شريف فى ذلك	
الدرس الخامس	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن ﴾ (٨١ : ٩٤)	
محتوى الدرس :	
تحرير القول فى خلق نور النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .	
محاورة بين أحد القساوسة وعالم مسلم حول خلق عيسى ـ عليه السلام ـ .	
أسرار فى خلق الروح	
تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾	
مناجاة وذكر	
فائدة فى الدعاء	
الله ـ تعالى ـ يحب عباده الذاكرين الشاكرين	
أبيات للشيخ على وفا	
تعريف القرآن الكريم	
المعجزة التى حدثت فى قميص يوسف ـ عليه السلام ـ	
خير الأمور الوسط	
فى التوسل والوسيلة	

الموضوع	الصفحة
سند قوى فى التوسل	
التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .	
الدليل على وزن الأعمال يوم القيامة	
حديث شريف فى تلقين الميت	
حكاية فى تلقين الميت	
ما يلقن به الميت بعد الدفن	
آيات وآثار فى بيان فضل العلماء	
مصادر التشريع الإسلامى	
مسألة فى السجود عند المالكية	
حكم الصلاة فى الطائرة	
مقدار ما يمسح من الرأس	
دعاء عظيم عند الطواف بالكعبة	
تفسير لبعض آيات سورة الرحمن التى فيها ذكر أحوال الجن	

الدرس السادس

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ﴾ (٩٥ : ١١٠)

محتوى الدرس :

ما يحدثنا عنه القرآن

جميع الكائنات تسبح الله ـ تعالى ـ .

﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾

المؤمن يفرح بالله ـ تعالى ـ .

لا يستطيع أحد مهما كانت قوته أن يمنع أى أذى من

الموضوع	الصفحة

الوصول إليه

دعاء

حكاية فى الزواج

تفسير

لمفردات الآيات موضوع الدرس

حكاية تبين أن تصريف كل شئ بيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

فى قلب المؤمن نوريفرق بين الحلال والحرام

أفضل الذكر

حديث : الثلاثة الذين انطبقت عليهم المغارة

الفرق بين دعاء ودعاء

الله ـ سبحانه وتعالى ـ يحب التوابين

الزواج عصمة

نادرة فى أخبار المرأة مع زوجها

حكم من صلى خلف إمام فى صلاة رباعية فقام الإمام للخامسة

حديث عن الأشراف

السنة الحسنة والسنة السيئة

من طرائف العلماء

تفسير معنى « الرقيم » فى قصة أصحاب الكهف

محاورة إبليس مع أحد الأولياء الصالحين

مضار النظر إلى العورة

الفرق بين الحديث القدسى والقرآن

الموضوع	الصفحة

الدرس السابع

في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ الآيات (١١١ : ١٢٣)

محتوى الدرس :

جميع الجوارح تدرك كلام الله ـ تعالى ـ وهى تشهد على الإنسان بعمله يوم القيامة

صوت داود ـ عليه السلام ـ .

حكم الذكر على نغمة المزمار

حكمة عظيمة تبين إحسان الله ـ تعالى ـ إلى عباده

خزائن الله ـ تعالى ـ

حكم منع الحمل

الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد تكفل بأمر الرزق

الناس فى غفلة لا يفيقون منها إلا عند الموت

كلام حول سؤال القبر

الإيمان بالبعث واجب

تفسير لمعنى القتل فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾

الصنعة والصانع

عود إلى مسألة منع الحمل

أبيات يستعان بها عند الشدة

الزواج نعمة من نعم الله ـ تعالى ـ لما فيه من المودة والرحمة

الحديث الصحيح لا يتعارض أبداً مع القرآن الكريم

الموضوع	الصفحة
شرح لبعض كلمات فى الأوراد	
مسألة فقهية حول الذباب	
طلب رؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ	
الأطفال محبوبون لدى جميع الناس	
الظهار وبيان كفارته	
الدرس الثامن	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾ الآيات	(١٢٤ : ١٣٥)
محتوى الدرس :	
شرح المراد من الفتح والنصر	
إذا أردت النصر فعليك بالأخذ بأسبابه	
حديث « المصلى يناجى ربه » وبيان لذة المناجاة	
العارفون وأهل الله لهم شأن فى تلاوة القرآن وسماع حروفه	
صور أخرى من النصر والفتح	
نصيحة غالية من شيخ عارف فى علاج الوسواس	
أبيات للشيخ أحمد زروق ينصح فيها بعدم مجادلة الشيطان	
الشيطان يوسوس للإنسان بما يحبه ويهواه	
مناجاة لأحد العارفين فى الرجاء والخوف	
من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى : ذو الجلال والإكرام	
من حكم ابن عطاء الله السكندرى	
مقالة الشيخ حبيب الله الشنقيطى فيما يغضب الشيطان	

الموضوع	الصفحة
ويذله	
مسائل فى باب الحج	
الإحرام وما يتعلق به	
الفرق بين حرم مكة وبين حرم المدينة	
الفدية فى باب الحج وأنواعها	
النفس والروح والعقل	
مسألة فى الوصية الواجبة	
معنى اسم سيدنا « موسى » ـ عليه السلام ـ .	
حبل الوريد	
فى المراقبة والمحاسبة	
رفع القلم عن ثلاث	
منزلة صلاة الجماعة	
كيف يحشر الناس يوم القيامة	
مصير الأطفال فى ذلك اليوم	
حديث شريف ينبئنا عن بعض ما يحدث لنا اليوم	
الدرس التاسع	
فى شرح قول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » . (١٣٦ : ١٤٦)	
محتوى الدرس :	
حكم زيارة القبور وشد الرحال إليها	
الرد على ابن تيمية فى تحريمه شد الرحال	
زيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لشهداء بدر	

الموضـوع	الصفحة

فى يوم معين من السنة

وكذلك زيارته لمسجد قباء ـ وما يستنبط من أحكام حولها

زيارة الإمام الحسين هى اقتداء بزيارة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لشهداء بدر

كلام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع أصحاب القليب ـ وهم موتى الكفار وما يستفاد منها من جواز الكلام مع الأموات

قاعدة شرعية : ما يوصل إلى الواجب فهو واجب ،وما يوصل إلى السنة فهو سنة

فتوى فى الطلاق بين الإمامين : مالك والشافعى ـ رضى الله تعالى عنهما ـ .

بيان شاف فى حكم شد الرحال لزيارة القبور

ما يقع فى بعض الموالد من مخالفات وزرها على أصحابها

خير الناس أنفعهم للناس

قصة « عين زبيدة »

حياة الأنبياء فى قبورهم

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إمام الأنبياء وخاتمهم وأمته خير أمة

أول نفس قتلت فى الأرض

تفسير معنى (وسراجاً منيراً)

بيت لابن الفارض وتفسير الشيخ لبعض ألفاظه

حديث عن امرأة فرعون

الدرس العاشر

في شرح حديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ
« من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » (١٤٧ : ١٥٨)
محتوى الدرس :
معنى التفقه فى الدين
مظاهر التقوى ،وآثار المعاصى
الإنسان إما أن يكون مع الله فهو فى نور ، وإما مع الشيطان فهو فى ظلام
بيت لابن الفارض فى التجلى
تعجب الملائكة من خلق آدم ـ عليه السلام ـ .
مختارات من شعر الإمام على ـ رضى الله عنه ـ ومن شعر البارودى
تبليغ العلم والشريعة مسئولية العلماء
حديث فى فضل الرحمة
تعريف علم الفقه ،وبيان مصادره
وحتمية اتباع الأئمة فى الفروع
رؤيا يستفاد منها معرفة عاقبة أكل الحرام
بين الحياة والموت نفس واحد
العالم الذى لا يغضب لله ـ تعالى ـ يكون أول الناس عذاباً فى الدنيا والآخرة
حكم من سب نبياً أو ملكاً
شفاعة الملائكة ،وشفاعة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ
دفن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

الموضوع	الصفحة
من علامات الساعة	
إخبار النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالمغيبات	
قصة ثمرتها : معرفة أن الله ـ تعالى ـ هو الذى يسير الخلق فى أمور القضاء والقدر	
أبيات لسيدى عبد السلام الأسمر	
عمامة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ	
الصلاة بالعمامة وبدونها	
من مناقب السلطان الحنفى ـ رضى الله عنه ـ .	
حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم وتلاوته	
الدرس الحادى عشر	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ الآيات .	(١٥٩ : ١٧٨)
محتوى الدرس :	
استماع القرآن فيه رحمة للسامعين	
الصوت الحسن الجميل مطلوب من قارئ القرآن	
والمؤذن أيضاً : يستحب أن يكون ندى الصوت	
السر فى اختيار بلال ليؤذن للناس ، بأمر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ	
قراءة أبى موسى الأشعرى للقرآن ، وإعجاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بحسن قراءته وجمال صوته	
درجات التلاوة	
دور الأزهر الشريف فى حفظ العلوم العربية والإسلامية	

الموضوع	الصفحة

حكم من يجادل فى الدين بغير علم

العبرة ليست باقتناء الكتب ، وإنما هى بالقراءة والانتفاع بالكتب

فائدة الزكاة

البسملة وحكمها والسبب فى عدم وجودها فى أول سورة التوبة

عودة إلى تفسير سورة « طه » وبيان أقوال العلماء فى معنى « طه »

كلام حول كتب ابن عربى .

عودة إلى تفسير (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)

فضل السيدة فاطمة الزهراء ، والسيدة مريم ابنة عمران

كيف نزل القرآن الكريم على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

القرآن يذكر الناس ،ويزجرهم عن اقتراف المعاصى

الفرق بين التوبة والاستغفار

من حقوق الوالدين

الشبكة والخطوبة وما يتصل بهما من أحكام

من الذى يستفيد من الموعظة فى القرآن

خلق الجنة والنار

الحكمة من إباحة زواج الإنسى من جنية ومنع العكس

بيان شاف فى معنى « المدد »

حكم عروسة المولد وعرائس الأطفال

كرامتان للسيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ .

الموضوع	الصفحة
تفسير (الرحمن على العرش استوى)	
فى الشريعة والحقيقة	
الدرس الثانى عشر	
فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد﴾ الآيات . (١٧٩ : ٢٠٦)	
محتوى الدرس :	
قصة الرجل الذى أحب سورة الإخلاص	
فضائل « قل هو الله أحد »	
صور من سماحة الإسلام ويسر الدين	
عظة صادقة فى المحافظة على الصلوات فى أوقاتها	
حكاية ثمرتها أن الإنسان قد يتكاسل عن العبادات وينشط إلى الشهوات	
صور أخرى من التيسير فى الشريعة	
شرح حديث « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن »	
أقسام القرآن	
تنبيه القراء إلى كتاب فتح البارى لابن حجر العسقلانى	
أسانيد يستدل بها على جواز التقبيل	
موقف للإمام الجعفرى مع الشيخ محمود خطاب السبكى	
وموقف آخر مع عالم من نجد على جبل عرفات	
صلاة التراويح والخلاف الدائر حول عدد ركعاتها	
صلاة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قيام الليل	

الموضوع	الصفحة

التحذير من التجرؤ على السابقين

عودة إلى الحديث عن الشيخ محمود خطاب السبكى

تفصيل القول فى نزول عيسى ـ عليه السلام ـ آخر الزمان

تفسير قول الله ـ تعالى ـ للمسيح عيسى بن مريم : (إنى متوفيك ورافعك إلى)

حديث حول خلق نور النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

توسل آدم ـ عليه السلام ـ بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

حقيقة الشيوعية والشيوعيين

من علامات الساعة : بقاء الأشرار وذهاب الأخيار

ضابط يجمع رموز علامات الساعة

كلام حول الاستعمار وخروجه من البلاد العربية

عودة إلى التفسير ، وشرح معنى « الصمد »

فرحة المؤمنين إنما تكون بالله ـ تعالى ـ

تفسير (الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)

تفسير بقية آيات سورة الإخلاص